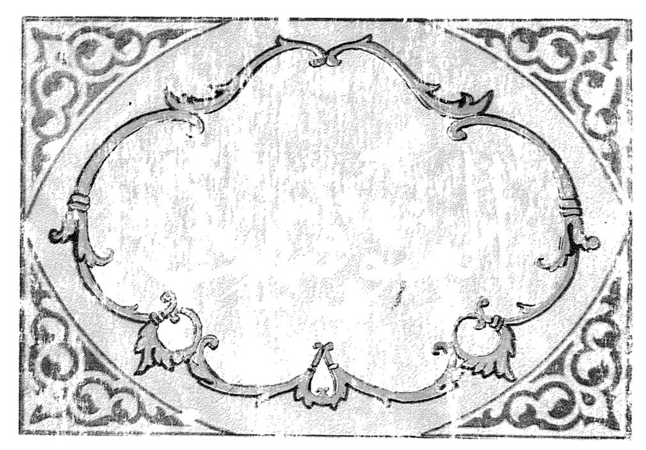
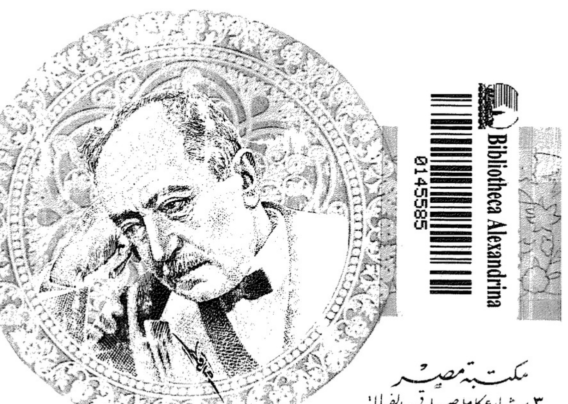


لأمير الشعراء

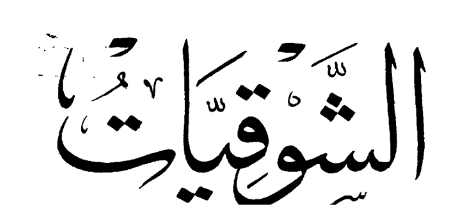
# أحمد شوقي





الجزء الثالث

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة




لأمير الشعراء

أحمد شوقي

الجزء الثالث

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

# سليمان باشا أباظة(*)

مَن ظنَّ بعدَكَ أن يقولَ رِثاءَ ... فلْيَرثِ مِن هذا الورى مَن شاءَ

فَجع المَكارمَ فاجعٌ فى رَبِّها ... والمجدَ فى بانيهِ ، والعلياءَ

ونعَى النعاةُ إلى المروءَة كنزَها ... وإلى الفضائل نجمَها الوضَّاءَ

أأبا محمدٍ ، اتَّئِدْ فى ذا النَّوى ... وارفُق بآلك ، وارحمِ الأبناءَ

واستبق عِزَّهمُ ( بطهراءَ ) التى ... كانوا النجومَ بها وكنتَ سماءَ(١)

أُدجى بها ليلُ الخطوبِ ، وطالما ... مُلِئتْ منازلُها سَنًى وسَناءَ(٢)

وإذا سليمان استقلّ محلَّةً ... كانت بساطًا للندى ورجاءَ(٣)

فانظر من الأعواد حولك هل ترى ... من بعدِ طبِّك للعُفاة دواءَ(٤)

سارت جنازةُ كلِّ فضلٍ فى الورى ... لما ركبتَ الآلةَ الحَدْباءَ(٥)

---

(*) سليمان باشا أباظة : أحد سراة مصر الكبار ، وكان فى حياته كبير الأسرة الأباظية الشهيرة ، وقد أسندت إليه وزارة المعارف العمومية سنة ١٨٨٢ ، وتوفى سنة ١٩٠١ .

(١) طهراء : علم على بلد الفقيد ، وهى من أعمال إقليم الشرقية بمصر .

(٢) تدجى الليل وأدجى : كلاهما بمعنى أظلم ، والسنى ــ بالقصر ــ : الضوء ، والسناء ــ بالمد ــ الرفعة .

(٣) المحلة فى الأصل هى الناحية التى ينزل بها القوم ، ولا تقل عن مائة بيت ، والمراد هنا بقوله : « استقل محلة » أى أنه كان عميدها المنفرد بزعامتها وبالعمل لرفعتها .

(٤) الأعواد : جمع عود ، يطلق على المنبر ، وعلى السرير للحى أو الميت . كان رجل من العرب يلقب « ذا الأعواد » لأنه كا يحمل دائما فى سرير ، والشعراء العظماء يستعملون الأعواد للموتى ، وقلما يستعملون النعش ، تعظيما للموت وتكريما للميت . قال الشريف الرضى : أرأيت من حملوا على الأعواد .. إلخ . والعفاة : جمع عاف ، وهو كل طالب فضل أو رزق .

(٥) الجنازة بكسر الجيم وفتحها ، وقيل : بالكسر : هى الميت ، وبالفتح هى النعش ، وقيل بالعكس ، وأرجح تعريف يتناسب مع مألوف عصرنا هو إطلاقها بالكسر على سرير الميت والمشيعين له . والآلة الحدباء : كناية عن النعش ، وشكله أحدب كما هو معروف .

وتيتَّمَ الأيتامُ أوَّلَ مرَّةٍ ورمى الزمانُ بِصَرفه الفقراءَ[1]
ولقد عَهِدتُكَ لا تُضيِّع راجيًا واليومَ ضاع الكلُّ فيك رجاءَ
وعلمْتُ أنك مَنْ يَوَدُّ ومَنْ يَفِى فقف الغداةَ لو استطعتَ وفاءَ
وذكرتُ سعيَكَ لى مريضًا فانيًا فجعلتُ سَعْيِى بالرثاءِ جزاءَ
والمرءُ يُذْكَر بالجمائل بعدَه فارفع لِذِكْرِكَ بالجميل بِناءَ[2]
واعلمْ بأنك سوف تُذْكَر مَرةً فيقالُ : أَحسنَ ، أو يقالُ : أساءَ
أَبَنيه ، كونوا للعِدَى مِن بعده كيدًا ، وكونوا لِلْوَلِّى عَزَاءَ
وتجلَّدُوا لِلخطْب مثلَ ثَباته أيامَ كان يُدافع الأَرْزاءَ
واللهِ ما مات الوزيرُ وكنتمُ فوقَ الترابِ أَعِزَّةً أحياءَ

●●●

(١) صرف الزمان : نوائبه وحدثاته .

(٢) جمائل : جمع جميلة ، والمقصود أن المرء يذكر بصنيعته الجميلة ، أو بمأثرته الجميلة ، فحذف الموصوف ، ثم جمع الصفة واستعملها . أقول : وهذه صنعة قصد بها التجميل الفنى فى الكلام بذكر الجمائل والجميل فى البيت .

# مصطفى باشا فهمى(*)

يـا أيها الناعـى أبــا الـــوُزراءِ     هــذا أوانُ جلائـلِ الأنبــاءِ
حُثَّ البريــدَ مشارقًــا ومغاربًـــا     واركبْ جناحَ البَرْقِ فى الأرجاءِ(١)
واستبكِ هذا الناسَ دمعًا أو دَمًا     فاليـومُ يـومُ مدامـعٍ ودمـاءِ
لم تَنْـع للأحيـاءِ غيــرَ ذخيرةٍ     ولَّتْ ، وغيـرَ بَقِيَّـةِ الكُبَـراءِ
رُزْءُ البريَّـةِ فى الوزيـر زيــادةٌ     فيمـا أَلَـمَّ بها مــنَ الأرزاءِ
ذهبَتْ على أثـرِ المشيَّـع دولــةٌ     برجـالها وكـرائم الأشيــاءِ
نَدمــانُ ( إسماعيــلَ ) فى آثــاره     ذهبوا ، وتلك صُبابةُ الندمـاءِ(٢)
وُلِدوا على راحِ العُلا ، وترعرعُوا     فى نعمـة الأمـلاك والأمــراءِ
أَوْدَى الرَّدى بمُهَـذَّبٍ لا تـنتهى     إلا إليــه شمائــلُ الـــرؤساءِ
صافى الأديمِ ، أغرَّ ، أبْلَجَ لم يَزِدْ     فى الشَّيب غيرَ جلالـةٍ ورُواءِ(٣)
مُتجـنِّبَ الخُيــلاءِ إلا عــزةً     فى العزّ حُسنٌ ليس فى الخيلاءِ

---

(*) مصطفى باشا فهمى : كان إلهاما موفقا لأمير الشعراء حين كناه بأبى الوزراء ، فهو والد الزعيمة صفية زغلول زوجة الزعيم الخالد سعد زغلول ، وكان ياورا للخديو إسماعيل ، ووزيرا فى عهد توفيق ، فرئيسا للوزراء ، ثم استقال ، ثم عاد للرئاسة و لم يتركها إلا لمرضه قبيل الحرب ، وقد توفى أول سنة ١٩١٤ م .

(١) البريد : كلمة فارسية ، معناها القطع ، كانوا يقطعون أذناب وأعراف الخيل المستعملة لنقل رسائلهم ، علامة لها حتى لا يعوقها أحد فى الطريق ، وأول اصطناع العرب لهذه الطريقة كان فى زمن معاوية ، وكانوا يسمون الخيل المستعملة فى ذلك خيل البريد ، ونحن نطلق كلمة البريد على رسائل البوستة وغيرها كما هو معروف ، والمقصود بقوله : « حث البريد » « واركب جناح البرق » : هو الأمر للناعى بإذاعة النعى فى الدنيا بأسرع وسائل الإذاعة ، والغرض من ذلك هو إظهار ما للنعى من قيمة وخطر وعلو شأن .

(٢) الندمان ــ بفتح النون الأولى ــ : جمع نديم ، وهو الظريف الكيس ، أو المجالس على الشراب . وإسماعيل : هو سمو الخديو إسماعيل .

(٣) الرواء فى المرء : هو مظهر السيادة والعظمة .

عَفُّ السرائرِ والمَلاحَظِ والخُطا ... نَزِهِ الخلائقِ طاهرِ الأهواءِ[١]

مُتدرِّعٍ صَبْرَ الكرامِ على الأذى ... إن الكرامَ مشاغلُ السفهاءِ

نقموا عليه رأيَهُ وصَنِيعَه ... والحكمُ للتاريخ فى الآراءِ

والرأىُ إنَ أَخلَصْتَ فيه سريرةً ... مثلُ العقيدةِ فوقَ كلِّ مِراءِ[٢]

وإذا الرجالُ على الأمور تعاقبوا ... كشفَ الزمانُ مواقفَ النُّظراءِ

يا أيُّها الشيخُ الكريمُ ، تحيةً ... أَنْدَى لقبرِكَ من زُلالِ الماءِ

هذا المصيرُ ، أكان طولَ سلامةٍ ... أَمْ لم يكن إلا قليلَ بَقاءِ ؟

ماذا انتِفاعُك بالليالى بعد ما ... مرَّتْ بك السبعونَ مَرَّ عِشاءِ ؟[٣]

أو بالحياةِ ، وقد مشى فى صفوها ... عادى السنين ، وعاثَ عادى الداءِ؟

من لم يُطبِّبْه الشبابُ فداؤه ... حتى يغيِّبه بغير دَواءِ

قسماتُ وجهِك فى الترابِ ذخائرٌ ... من عِفَّةٍ ، وتكرُّمٍ ، وحياءِ[٤]

ولكم أغارَ على مُحَيَّا ماجدٍ ... وطوى محاسنَ مَسمحٍ مِعطاءِ[٥]

كم مَوقفٍ صعبٍ على من قامه ... ذلَّلْتَه ، ونهضتَ بالأعباءِ

كِبْرُ الغضنفرِ يومَ ذلك زاده ... من نَخْوةٍ وحَمِيَّةٍ وإباءِ[٦]

---

(١) الملاحظ : جمع ملحظ : اسم مكان لما تقع عليه اللحاظ . يقول : إنه عفيف القلب ، وعفيف الأعين ، فلا يقع لحظه على الريب .

(٢) المراء : الجدل .

(٣) يقصد سبعين عاما ، ولكنه فى استعمال لفظ السبعين يجرى مجرى العرب الفصحاء فى استعمال هذا اللفظ للدلالة على الكثرة فقط لا العدد بعينه ، وفى هذا الباب جاء القرآن الكريم ( إن تستغفر لهم سبعين مرة ) فليس المقصود عدد الاستغفار ، ولكن يراد الدلالة على كثرته .

(٤) القسمات : ملامح وتقاسيم الوجه .

(٥) مسمح — بفتح — : واسع السماحة . وفى القاموس المحيط : « يقال إن فيه لمسمحا كمسكن . أى متسعا » . والمعطاء : كثير العطاء.

(٦) الغضنفر : اسم من أسماء الأسد .

مَن يَكذبِ التاريخَ يَكْذِبْ رَبَّـه ويُسيء للأمواتِ والأحيـاءِ
السلم لو لم تُودِ أَمْسِ بجُرحِها أَوْدَتْ بهذى الطعنةِ النَّجلاءِ[1]
لو أُخِّرَتْ فى العيشِ بعدكَ ساعةً لبَكَتْ عليك بمَدْمَع الخنساءِ[2]
آنفض غبارَكَ عنك ، وانظر ، هل ترى إلاَّ غبـارَ كتيبـةٍ ولـواءِ ؟
يا ويحَ وجهِ الأَرض : أَصبح مَأْتمًا بعدَ الفوارس من بنى حَوَّاءِ
مِن ذائدٍ عن حَوْضه ، أَو زائدٍ فى مُلْكِه من صَولةٍ وثـرَاءِ
أَو مانعٍ جارًا يُناضلُ دونَـه أَو حافظٍ لِعهودِه مِيفـاءِ[3]
يتقاذفون بذاتِ هولٍ ، لم تَـهَبْ حَرَمَ المسيحِ ولا حِمى العذراءِ[4]
من مُحدَثاتِ العِلْمِ ، إلا أَنها إثمٌ عواقبها على العلمـاءِ

* * *

لهفى على رُكنِ الشيوخ مُهدَّما والحامِلاتِ الثُّكْلَ واليُتَماءِ[5]
وعلى الشبابِ بكلِّ أَرضٍ مَصرَعٌ لهمُ ، وهُلْكٌ تحتَ كلِّ سماءِ
خرجوا إلى الأَوطان من أَرواحِهم كرمٌ يليق بهم ومَحْضُ سخاءِ[6]

---

(١) يشير إلى اتفاق موته مع نشوب الحرب العالمية ، كأنه يقول : إن اتفاق موت المرثى مع نشوب الحرب لم يكن إلا لأن المتوفى كان سلما لقومه يشبه السلم العام للناس ، فهو والسلم توأمان .

(٢) يقول فى هذا البيت : إن السلم لو عاشت بعد الفقيد ساعة لبكت عليه بدمع الخنساء ، وهى شاعرة عاشت فى صدر الإسلام اشتهرت برثائها فى أخيها صخر ، وهذا البيت تأكيد لمعنى البيت قبله .

(٣) ميفاء : كثير الوفاء .

(٤) بذات هول : أى مقذوفات موصوفة بأنها ذات هول ، وهذا من باب إقامة الصفة مقام الموصوف .

(٥) الثكل : فقد الأبناء . واليتماء : من اليتم ، وهو فى الناس فقد الأب ويكون فى غير الناس فقد الأم .

(٦) المحض : الخالص من كل شيء .

من كلِّ بانٍ بالمنيَّةِ فى الصِّبا ... لم يتَّخِذ عِرْسًا سِوى الهَيْجاءِ[1]
المُرضِعاتُ سَكبْنَ فى وِجْدانِه ... حُبَّ الدِّيار وبِغضةَ الأَعداءِ
وقرَرْنَ فى أُذُنيهِ يومَ فِطامِه ... أن الدماءَ مُهورةُ العلْياءِ

* * *

أأَبَا البناتِ ، رُزِقْتَهُنَّ كرائمًا ... ورُزِقْت فى أَصهارِك الكُرَماءِ
لا تذهَبنّ على الذكورِ بحسرةٍ ... الذِّكْرُ نعمَ سُلالةُ العظماءِ
وأَرى بُناةَ المجدِ يَثْلِمُ مجدَهم ... ما خلَّفوا من طالحٍ وغُثاءِ[2]
إن البناتِ ذخائرٌ من رَحمةٍ ... وكنوزُ حبٍّ صادقٍ ووَفاءِ
والساهراتُ لِعلَّةٍ أو كَبْرَةٍ ... والصابراتُ لشدّةٍ وبِلاءِ
والباكياتُكَ حينَ ينقطعُ البكا ... والزائراتُكَ فى العَرَاءِ النائى[3]
والذاكِراتُكَ ما حَيِينَ تحدُّثًا ... بسَوالِفِ الحُرماتِ والآلاءِ
بالأَمس عزَّاهنّ فيكَ عقائلٌ ... واليومَ جامَلَهُنّ فيك رِثائى
وأَبيكَ ما الدنيا سِوى معروفِها ... والبِرِّ ، كلُّ صَنيعةٍ بجزاءِ
أَجزِعنَ أن يجرى عليهنّ الذى ... مِن قبلهنّ جرى على « الزهراءِ » ؟[4]
عذرًا لهن إذا ذَهبْنَ مع الأَسى ... وطلبن عندَ الدمعِ بَعضَ عَزاءِ
ما كلُّ ذِى ولَدٍ يُسمَّى والدًا ... كم من أَبٍ كالصخرةِ الصمَّاءِ
هبْهُنّ فى عقلِ الرجالِ وحلمِهم ... أَقلوبُهن سوى قلوب نِساءِ ؟

● ● ●

---

(١) يقال : بنى على فلانة ، إذا اتخذها زوجة . والعرس بكسر العين : الزوجة ، يصف هذا الشباب السخى بروحه للأوطان بأنه يألف الحروب ، ويحبها كما يحب غيره من الناس الزوجات والعرائس والعيشة الوادعة .

(٢) الغثاء ، بضم الغين : الفاسد .

(٣) العراء النائى : الخلاء البعيد . ويعنى به هنا القبور .

(٤) الزهراء : فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلوات الله عليه ، والذى جرى عليها هو موت أبيها سيد الخلق .

# أبو هيف بك(*)

اجعَلْ رِثـاءَكَ للرجـالِ جَـزاءَ ... وابعثْهُ للوطـنِ الحزيـن عَـزاءَ
إن الديـارَ تُريـقُ مـاءَ شئونِهـا ... كالأمهـاتِ وتنـدُبُ الأبنـاءَ[1]
ثُكْلُ الرجـالِ مـن البنيـنَ ، وإنما ... ثكلُ الممالكِ فَقْدُها العلمـاءَ
يَجْزَعْنَ للعَلَـم الكبيـرِ إذا هَـوى ... جَزَعَ الكتائبِ قد فَقَدْنَ لِواءَ[2]
عَلَـمُ الشريعةِ أدركتْـهُ شريعـةٌ ... للموتِ يَنظِمُ حكْمُها الأحياءَ[3]
عانى قضاءَ الأرضِ عِلْمَ مُحصِّلٍ ... واليـومَ عالـجَ للسمـاءِ قَضاءَ
ومضى وفيه مـن الشبـابِ بقيّـةٌ ... للنفعِ أرْجى ما تكونُ بقـاءَ
إنَّ الشبابَ يُحَبُّ جَمًّا حافِـلاً ... وتُحَبُّ أيامُ الشبـابِ مِـلاءَ[4]
بالأمس كانت لابن هَيْفٍ غَضبةٌ ... للحقّ نَذكرُها يـدًا بَـيضاءَ[5]
مَشَتِ البلادُ إلى رسالةِ ( ملنرٍ ) ... وتحفَّـزَتْ أرضًا لها وسماءَ[6]

---

(*) هو فقيد العلم والقانون عبد الحميد بك أبو هيف ، شغل منصب الأستاذ بكلية الحقوق ، ومنصب القيم على دار الكتب المصرية ، وقد وقف فى معارضة مشروع ملنر موقفا قانونيا لامعا ، فاقترن اسمه من ذلك الحين بأعلام المجاهدين الكبار فى قضية البلاد ، وقد توفى سنة ١٩٢٦ .

(١) ماء الشئون : الدموع .

(٢) الكتائب: جمع كتيبة، وهى الجماعة أو الفرقة من الجيش لها لواء، أى رئيس تلتف وحدتها حوله.

(٣) الشريعة : القانون .

(٤) الملاء : الأغنياء المتمولون ، الواحد منهم ملىء ومن معانى الملاء أيضا : الحسنو القضاء . يقول : إن الشباب يحب كثيرا على أى حال ، ولكن أيام الشباب يحببن أكثر وهن فى غنى ، من المال الكثير ، ومن تولى المناصب ، كالحال فى شباب الفقيد .

(٥) يريد غضبته على مشروع ملنر ، وموقفه فى طليعة معارضيه .

(٦) اللورد ملنر : هو أحد وزراء إنجلترا ، ورسالته التى مشت البلاد إليها وتحفزت لها : هى تقريره المشهور ، بعث من لندن مع أربعة من رجالات مصر الساسة ، وكادت البلاد تتأثر بهذا المشروع ، لولا الفقيد ومعه نفر قليل جدا قاموا بحملتهم ضده ، وفى هذه الحملة نشر الفقيد بحوثا قانونية فى تفنيد المشروع ، كانت من أهم مراجع رجال السياسة فى رفضه بعد .

فلمحْتُ أعرجَ فى زَوايا الحقِّ لم ... أعلمْ عليه ذِمَّةً عَرْجاءَ(١)

ارتَدَّت العاهاتُ عن أخلاقِه ... لسُمُوِّهِنَّ وحَلَّتِ الأعضاءَ

عَطفَتْهُ عَطْفَ القوسِ يومَ رِمايةٍ ... وثَنَتْهُ كالماضى ، فزادَ مَضاءَ(٢)

لما رأى ( التقريرَ ) ينفُثُ سُمَّهُ ... سَبَقَ الحُواةَ فأخرجَ الرَّقْطاءَ(٣)

هَتَكَ الحمايةَ والرجالَ وراءَها ... يتلمَّسون لها السُّتورَ رياءَ

ما قبَّحوا بالصبح من أشباحها ... راحوا إليك فحسَّنوه مَساءَ

يا قيِّمَ الدارِ التى قد أخرجَتْ ... للمُدْلِجين مَنارةً زَهراءَ(٤)

وترى لديْها الوارِدِين ، فلا ترى ... إلا ظِماءً ينزلون رواءَ(٥)

وتُجالِسُ العلماءَ فى حُجُراتِها ... وتُسامِرُ الحكماءَ والشعراءَ

تَكفيكَ شَيطانَ الفراغِ ، وتَعتنى ... بالجاهلين تردّهم عُقَلاءَ

دارُ الذخائر كُنْتَ أكملَ كُتْبِها ... مجموعةً ، وأتمَّها أجزاء

لما خلَتْ من كنز علمِكَ أصبحَتْ ... من كلِّ أعلاقِ الكنوزِ خَلاءَ(٦)

هزَّ الشبابُ إلى رثائك خاطرى ... فوجدْتَ فِيَّ وفى الشباب وَفاءَ

---

(١) كانت ساق الفقيد مبتورة ، وكان يمشى على ساق صناعية .

(٢) فى هذا البيت وصف لهيئة الأعرج ، بلغ من جماله أنه قد يحبب المشية العرجاء للناس ، فتأمل . والماضى : السيف .

(٣) قوله : « سبق الحواة فأخرج الرقطاء » لا يمكن أن يكون هناك أبلغ فى الإعجاز وأدق فى الإيجاز من هذا الكلام ، فقوله : « سبق الحواة » صورة كاملة ، تريك كيف وثب الفقيد فوقف أمام المشروع ، كما يثب الحاوى ، فيقف أمام جحر الحية . وقوله : « فأخرج الرقطاء » أعظم ما يمكن فى تصوير ذلك المشروع ، فقد نبه على السم الكامن فيه ، بالرغم من جماله الظاهرى ونعومته الشبيهة بنعومة الحية .

(٤) الدار : هى دار الكتب المصرية ، وكان الفقيد يشغل منصب مديرها .

(٥) الرواء : الماء الكثير .

(٦) أعلاق الكنوز : نفائسها .

( عبدَ الحميد ) ، ألا أُسِرُّك حادثًا ... يَكسو عِظامَكَ فى البِلَى السَّراءَ ؟[١]

قُمْ من صفوف الحقِّ تَلقَ كتيبةً ... ملمومةً ، وتَرَ الصفوفَ سَواءَ

وتَرَ الكِنانةَ شِيبَهَا وشبابَها ... دونَ ( القضيَّةِ ) عُرْضَةً وفِداءَ

جَمَعَ السلامُ الصُّحْفَ مِن غاراتها ... وتآلَفَ الأَحزابَ والزُّعَماءَ

فى كلِّ وِجْدانٍ وكلِّ سَريرةٍ ... خلَفَ الودادُ الحقْدَ والبَغْضاءَ

وغَدا إلى دين العشيرةِ ينتهى ... مَنْ خالَفَ الأَعمامَ والآباءَ

لا يحجبون على تجنِّيهم ، ولا ... يجدون إلا الصفْحَ والإغْضاءَ

والأَهلُ لا أَهلاً بحَبْلِ وَلائهم ... حتى تراهم بَيْنَهم رُحَماءَ

كذب المُرِيبُ يقول : بعدَ غدٍ لنا ... خُلْفٌ يُعِيدُ ويُبْدِئُ الشَّحْناءَ

قلبى يُحدِّثُنى وليس بخائنى ... إن العقولَ ستقهرُ الأَهواءَ

* * *

يا ( سعدُ ) ، قد جَرَت الأُمورُ لغايةٍ ... اللهُ هيَّأها لنا ما شاءَ[٢]

سُبْحانَهُ جمعَ القلوبَ من الهوى ... شَتَّى ، وقوَّى حولَهُ الضُّعَفاءَ

الفُلْك بعد العُسْرِ يُسْرٌ أَمرُها ... واستَقبلتْ ريحَ الأُمورِ رُخاءَ

وتأَهَّبَتْ بك تستعدُّ لزاخرٍ ... تَطأُ العواصفَ فيه والأَنواءَ

رجَعَتْ براكبها إلى رُبَّانها ... تُلقِى الرجاءَ عليه والأَعباءَ

فاشْدُدْ بأَرباب النُّهى سُكَّانَها ... واجعل مِلاكَ شِراعِها الأَكفاءَ[٣]

من ذا الذى يختارُ أَهلَ الفضلِ أَو ... يَزِنُ الرجالَ إذا اختيارُك ساءَ ؟

أَخرجْ لأَبناءِ الحضارة مَجْلِسًا ... يُبقى على اسمك فى العصور ثَناءَ

---

(١) الحادث : هو حادث ائتلاف الأحزاب المصرية فى وقت نظم هذه القصيدة التى تعد من مفاخر المراثى فى الشعر العربى .

(٢) سعد : هو الزعيم الخالد الذكر سعد باشا زغلول ، وكان رئيس البرلمان فى عهد ذلك الائتلاف .

(٣) السكان : مؤخر السفينة . وملاك الشيء : قوامه الذى يملك به .

# مولانا محمد على(*)

بَيْتٌ على أَرضِ الهدى وسمائِـه الحقُّ حائطُـه وأُسُّ بِنائـه

الفتحُ من أَعلامه ، والطُّهرُ مـن أَوصافه ، والقُدْسُ من أَسمائه

تَحْنو مَناكِبُه على شعب الهدى وتُطِـلُّ سُدَّتُـه على سينائـه[1]

مَـنْ ذا يُنازِعُنـا مَقالِـدَ بابِـه وجلالَ سُدَّتِه ، وطُهْرَ فِنائه ؟

ومحمـدٌ صلَّـى على جَنَباتِـه واستقبل السَّمحاتِ فى أُرجائه ؟

واليـومَ ضَمَّ النـاسَ مَأْتَـمُ أَرضِه وحَوَى الملائكَ مِهْرَجانُ سَمائه

يا ( قدسُ ) ، هَيِّئْ من رياضك رَبْوَةً لنَزِيل تُرْبكَ ، واحتفِل بلقائـه[2]

هو من سُيوفِ اللهِ جَلَّ جلالُـه أَو من سيوف الهندِ عندَ قضائه

فَتَـحَ النبـىُّ لـه منـاخَ بُراقـه ومَعارجَ التشريفِ من إِسرائه

بَطَلُ حقوقُ الشرقِ مِن أَحمالـه وقضيَّةُ الإِسلامِ مِن أَعبائـه

لم تُـنْسِهِ الهنـدُ العزيـزةُ رِقَّـةً للشرق ، أَو سهرًا على أَشيائه

وقَبَاؤه نَسْجُ الهنودِ ، فهل تُـرى دفنوا الزعيمَ مُكَفَّنًا بقَبائه ؟[3]

( النيلُ ) يذكر فى الحوادث صَوْتَهُ والتُّرْكُ لا يَنْسَوْنَ صِدْقَ بَلائه

* * *

(*) هو كبير زعماء الهند المسلمين ، توفى سنة ١٩٣١ ، وكان لا يألو جهدا فى خدمة الإسلام فى شتى أقطاره ، وقد أقيمت له فى القاهرة حفلة تأبين كبيرة ألقيت فيها هذه القصيدة .

(١) السدة : باب الدار .

(٢) يا قدس : لأنه دفن فى القدس .

(٣) القباء بفتح القاف — : نوع من الثياب .

قل للزعيم محمدٍ : نزل الأسى ( بالنيل ) واستولى على بَطحائه[١]

فمشى إليكَ بجَفنه وبدمعه وإلى أخيك بقلبه وعَزائه[٢]

اجْتَزْتَهُ فحَواك فى أطرافه ولو انتظرْتَ حَواك فى أحشائه

ولقد تعوّد أن تمرّ بأرضه مَرَّ الغَمامِ بظلِّه وبمائه

نَمْ فى جِوار اللهِ ما بِكَ غُرْبَةٌ فى ظِلِّ بيتٍ أَنتَ مِن أبنائه

الفتحُ — وهو قضيةٌ قُدْسيَّةٌ — يا طالما ناضلتَ دونَ لِوائه

أفتى بدَفْنِكَ عندَ سيِّدةِ القُرى مُفْتٍ أراد اللهُ من إفتائِه[٣]

بلدٌ بَنُوه الأكرمونَ قصورُهم وقبورُهم وقفٌ على نُزَلائِه[٤]

قد عِشْتَ تنصره وتَمنح أهله عَوْنًا، فكيف تكون من غُرَبائه ؟

●●●

---

(١) محمد : هو المرثى .

(٢) يريد بأخيه : مولانا شوكت على ، وقد آلت إليه زعامة المسلمين فى الهند بعد أخيه .

(٣) سيدة القرى : المقصودة هى القدس الشريف ، ولا بد للدفن فى هذا الحرم من تصريح دينى يصدره مفتى الإسلام هناك ، ولا يصرح بذلك إلا لمن ثبت نفعه للإسلام وللعرب .

(٤) يقصد بالبلد : فلسطين وسوريا جميعا ، وكثيرا ما هتف أمير الشعراء بأهل هذه البلاد إعجابا بأخلاقهم .

# سيد درويش(*)

كـلَّ يـومٍ مِهْرَجـانٌ كَلَّلـــوا　　فيــه مَيْتًــا بريــاحين الثنــــاء[1]
لم يعلَــم قومَــه حرفًـــا ، ولم　　يُضيءِ الأرضَ بنور الكَهْرُباء
جُومِـل الأحيـــاءُ فيـــه وقَضَى　　شَهَـوات أهلِـه والأصدقــاء
ما أضلَّ الناسَ ؟ حتـى الموتُ لم　　يَخْلُ من زُورٍ لهم ، أو من رِياء[2]

* * *

إنما يُبْكَـــى شُعـــاعٌ نابـــغٌ　　كلَّمـا مرّ بــه الدهــرُ أضاء
مـــلأَ الأفــــواهَ والأسماعَ فى　　ضَجَّةِ المَحْيا ، وفى صَمْتِ الفناء
حائـطُ الفـنِّ ، وبانِـــى رُكْنِــهِ　　(مَعْبَدُ) الألحانِ ، (إسحقُ) الغِناء[3]
مــن أنــاسٍ كالــدّرارى جُــدُدٍ　　فى سَمـوَاتِ الليـالى قُدَمــاء
غَرَس النــاسُ قديمًـــا ، وبَنَــوْا　　لم يَدُمْ غَرْسٌ ، ولم يَخْلُد بناء
غيرَ غَرْسٍ نابغٍ ، أو حَجَــرٍ　　عَبْقَـرِىٌّ فيهمـا سِرُّ البقــاء
مــن يَــدٍ مَوْهُوبَـــةٍ مُلْهَمَـــةٍ　　تَغرِسُ الإحسانَ ، أو تَبْنِى العَلاء

* * *

بُلْبُـــلٌ إسْكَنْـــدَرِىٌّ أَيْكُـــهُ　　ليس فى الأرض ، ولكن فى السماء[4]
هَبَــطَ الشاطِــئَ مـــن رابِيَـــةٍ　　ذاتِ ظِـلٍّ ورَياحِيــنَ ومــاء

---

(*) الشيخ سيد درويش : كان يعد رحمه الله فى طليعة المجددين فى الموسيقى العربية ، وقد ألقيت هذه القصيدة فى حفلة أقيمت لذكراه فى سنة ١٩٣١ .

(١) المهرجان : الاحتفال ، معرب .　　(٢) الزور : الكذب .

(٣) معبد وإسحاق : رجلان من أشهر رجال الغناء والموسيقى .

(٤) كان رحمه الله من نشء الإسكندرية . والأيك : فى الأصل هو الشجر الملتف الكثير . يقول : إنه إذا كان لكل بلبل من أيك يتخذه عشا ، فهذا البلبل الإسكندرى أيكه ليس محله الأرض ، ولكن السماء هى محله اللائق به .

يَحْمِـل الفــنُّ نَميـرًا صافيًـا غَـدَقَ النَّبـع إلى جيـلٍ ظِمـاء[١]

حـــلَّ فى وادٍ على فُسْحَتِـــه عَزَّت الطَّيْرُ بـه إلاّ الحِـداء

يملأ الأسحـــارَ تغريـــدًا إذا صرف الطَّيرَ إلى الأَيْكِ العِشاء

رُبَّمـا استلْهَـم ظَلْمـاءَ الدُّجـى وأتى الكوكبَ فاستوحى الضياء

ورمـــى أُذْنَيْـــهِ فى ناحيـــةٍ يَخْلِسُ الأَصواتَ خَلْسَ الببَّغاء

فتلقَّـــى فيهمـــا مـــا راعَـــهُ من خَفيِّ الهمْس ، أو جَهْرِ النِّداء

* * *

أيها الـدرويشُ ، قُمْ بُثَّ الجَـوى واشرَح الحبَّ ، وناجِ الشهداء

اضرب العُــودَ تَفُــهْ أوتــارُه بالذى تَهْوَى ، وتَنْطِقْ ما تشاء

حَرِّك النَّاىَ ، ونُـحْ فى غابـه وتنفَّسْ فى الثُّقوبِ الصُّعَداء[٢]

واسكُب العَبْــرَةَ فى آماقـــه من تَباريحَ ، وشَجْوٍ ، وعَزاء

واسْمُ بـالأَرواحِ ، وادفعْهـا إلى عالَمِ اللُّطْفِ وأقطارِ الصفـاء[٣]

* * *

لا تُرِقْ دمعًـا على الفـنِّ فلـن يَعـدِمَ الفنُّ الرُّعـاةَ الأُمَنـاءْ

هـــو طيـــرُ اللهِ فى رَبْوَتـــه يبـعثُ الماءَ إليـه والغِــذاء

رَوَّحَ اللهُ على الدنيـــا بـــه فهى مثلُ الدارِ ، والفنُّ الفِناء

تكـــتسى منـــه ومـــن آذاره نَفحةَ الطِّيبِ وإشراقَ البَهـاء[٤]

وإذا مـــا حُـــرِمَتْ رِقَّتَـــه فَشت القَسْوَةُ فيها والجَفـاء

---

(١) الغدق — بفتح الغين والدال : الكثير .

(٢) الصعداء — بضم الصاد وفتح العين — : تنفس ممدود .

(٣) عالم اللطف : هو عالم المعانى والأرواح ، ولا تسمو إليه الأنفس إلا فى أوقات الصفاء والانشراح .

(٤) آذار : شهر من فصل الربيع ، أعجمى .

وإذا مـا سَئِـمَتْ أو سَقِـمَتْ طاف كالشمس عليها والهواء
وإذا الفـنُّ على الْمُـلْكِ مشى ظهر الحسنُ عليه والـرُّواء
قد كسا الكرنكُ مصرًا مـاكسا من سَنَى أَبْلى اللّيالى وسَنـاء
يُـرْسِلُ اللهُ بـه الـرُّسْلَ على فتـراتٍ من ظُهـورٍ وخَفـاء
كلّمـــا أدَّى رسولٌ ومضى جاءَ من يُوفِى الرِّسالاتِ الأداء

* * *

سَيِّدَ الفنِّ ، استـرح مـن عالـمٍ آخـرُ العهـدِ بنُعْمـاهُ البَـلاء
ربَّمـا ضِقْتَ فلـم تنعـم بـه وسَرى الوَحْىُ فنسَّاك الشقاء
لقـد استخلـفْتَ فنًّـا نابغًـا دَفـع الفـنُّ إليـه باللّـواء
إن فى مُـلْكِ فـؤادٍ بُلبـلاً لم يُتـحْ أمثالُـه للخُلَفـاء[1]
ناحلٌ كالكُـرةِ الصغـرى سرى صوتُهُ فى كُرَةِ الأرضِ الفضاء
يستحـى أن يهتـفَ الفـنُّ بـه وجمالُ العبقرِيَّـاتِ الحَيَـاء

●●●

(١) يراد بالبلبل هنا : الموسيقار النابغة الأستاذ محمد عبد الوهاب ، وهو الذى حمل لواء التجديد فى الموسيقى بعد الشيخ سيد درويش .

# عمر المختار(*)

رَكَزُوا رُفاتَكَ فى الرِّمالِ لِواءَ ... يَستنهضُ الوادى صباحَ مَساءَ[(١)]

يا وَيْحَهم ! نصبوا مَنارًا من دمٍ ... تُوحِى إلى جيل الغدِ البَغْضاءَ[(٢)]

ما ضرَّ لو جَعلوا العَلاقةَ فى غدٍ ... بين الشعوب مَوَدَّةً وإخاءَ ؟

جُرْحٌ يَصيحُ على المدَى ، وضَحِيَّةٌ ... تتلمَّسُ الحريَّةَ الحمراءَ[(٣)]

يأيُّها السيفُ المجرَّدُ بالفَلا ... يكسو السيوفَ على الزمان مَضاءَ

تلك الصحارى غِمْدُ كلِّ مُهَنَّدٍ ... أَبْلَى فأَحسنَ فى العدوِّ بَلاءَ

وقبورُ مَوْتَى من شبابِ أُمَيَّةٍ ... وكهولِهم لم يبْرَحُوا أَحياءَ

لو لاذَ بالجوزاءِ منهم معقِلٌ ... دخلوا على أَبراجِها الجوزاءَ[(٤)]

فتحوا الشَّمالَ : سُهولَهُ وجبالَهُ ... وتوغَّلوا ، فاستعمروا الخضراءَ

وبَنَوْا حضارتَهم ، فطَاوَلَ ركنُها ... (دَارَ السلامِ) ، و (جِلَّقَ) الشَّمَّاءَ[(٥)]

* * *

(*) شهيد المسلمين والعرب بطل طرابلس الخالد عمر المختار ، هو من الأسرة السنوسية أصحاب الطريقة السنوسية ذات النفوذ الروحانى العظيم فى كثير من أقطار الإسلام ، ظل يقاتل الطليان فى سبيل الذود عن وطنه وقومه ، حتى قبضوا عليه وأعدموه شنقا سنة ١٩٣١ ، وأشيع وقتئذ أنهم سلكوا فى إعدامه سبلا بشعة متوحشة ، و لم يرحموا سنه التى نيفت على التسعين .

(١) ركز اللواء : غرزه فى الأرض . وهذا استعمال لغوى مشتق من الركيزة ، وهى قطع الفضة والذهب والمعادن ، كأن العرب فى الجاهلية يحفرون لها فى الأرض ، ويسمونها الدفائن ، فقوله : « ركزوا رفاتك » استعمال أريد به الإشارة إلى أن هذا الرفات من النفائس والذخائر ، التى يضن بها ويحرص عليها .

(٢) المنار : موضع النور ، وجعلها منارا من دم : هو لون من التشبيه العجيب ، كأنه يعجب كيف جعلوا موضع النور والائتناس محلا للتنفير والإزعاج .

(٣) الحرية الحمراء : هى المكتسبة بالدم ، إشارة إلى قولهم : الحرية شجرة لا تنبت إلا بالدماء .

(٤) الجوزاء : نجم معروف فى السماء .

(٥) دار السلام : بغداد . وجلق : دمشق .

خُيِّرتَ فاخْترْتَ المبيتَ على الطَّوى ... لم تَبْنِ جاهًا ، أو تَلُمَّ ثَـراءَ[١]
إنَّ البطولةَ أن تموتَ من الظَّمـا ... ليس البطولةُ أن تَعُبَّ الماءَ
إفريقيا مَهْـدُ الأُسودِ ولَحْدُهـا ... ضجَّتْ عليكَ أراجلاً ونساءَ
والمسلمون على اختلافِ ديارِهم ... لا يملِكون معَ المُصابِ عَزاءَ
والجاهليـةُ مـن وَراءِ قُبورِهـم ... يبكون زَيْدَ الخيلِ والفلْحاءَ[٢]

* * *

فى ذِمَّـةِ اللهِ الكريـمِ وحفظِـه ... جسَدٌ ( ببرْقة ) وُسِّدَ الصحراءَ[٣]
لم تُبْقِ منه رَحَى الوقائعِ أعظُمًـا ... تَبْلَى ، ولم تُبْقِ الرِّماحُ دِماءَ
كرُفـاتِ نَسْرٍ أو بَقِيَّـةِ ضَيْغَـمٍ ... باتـا وراءَ السَّافيـاتِ هَبـاءَ[٤]
بطلُ البَداوةِ لم يكـن يَغْـزو على ... «تَنْكٍ»، ولم يَكُ يركبُ الأجواءَ[٥]
لكنْ أخو خَيْلٍ حَمَى صَهَواتِهـا ... وأَدارَ مـن أعرافهـا الهيجـاءَ

* * *

لَبَّى قضاءَ الأرضِ أمسِ بُمهْجَةٍ ... لم تـخْشَ إلاَّ للسمـاءِ قَضاءَ
وافـاهُ مَرْفـوعَ الجبيـنِ كأنـه ... سُقْراطُ جَرَّ إلى القُضاةِ رِداءَ
شَيْـخٌ تَمـالَكَ سِنَّـهُ لم ينفجـرْ ... كالطفل من خوفِ العِقابِ بُكاءَ
وأخـو أُمورٍ عـاشَ فى سَرَّائهـا ... فتغيَّـرَتْ ، فتوقَّـع الضَّرَّاءَ

---

(١) اللم : الجمع .
(٢) الفلحاء : لقب عنترة العبسى ، أما زيد الخيل فعلم على فارس بهذا الاسم .
(٣) برقة : هى المنطقة الشرقية من ليبيا ، فتحها عمرو بن العاص سنة ٦٤١ م ، وسميت باسم عاصمتها القديمة . وقد اشتهرت بوقائعها الحربية المتعددة التى حدثت بين العرب والطليان .
(٤) السافيات : الرياح .
(٥) تنك : هى الدبابة المستعملة فى الحروب .

الأُسْدُ تزأَرُ فى الحديدِ ولن ترى فى السِّجنِ ضِرْغامًا بكى استِخْذاءَ
وأتى الأَسيرُ يَجُرُّ ثِقْلِ حَديدِهِ أَسَدٌ يُجَرِّرُ حَيَّةً رَقْطاءَ
عَضَّتْ بساقَيْهِ القُيودُ فلم يَنُؤْ ومَشَتْ بهَيْكله السّنون فناءَ
تِسْعُونَ لو رَكِبَتْ مَناكِبَ شاهِقٍ لترجَّلَتْ هَضَباتُه إعياءَ(١)
خَفِيَتْ عن القاضى ، وفات نَصيبُها من رِفْق جُنْدِ قادةً نُبَلاءَ
والسِّنُّ تَعْصِفُ كُلَّ قَلْبِ مُهَذَّبٍ عَرَفَ الجُدودَ . وأَدرَكَ الآباءَ

* * *

دفعوا إلى الجلاَّدِ أَغلَبَ ماجِدًا يأْسُو الجِراحَ ، ويُطلِقُ الأُسَراءَ
ويُشاطِرُ الأَقرانَ ذُخْرَ سِلاحِهِ ويَصُفُّ حَوْلَ خِوانِه الأَعداءَ(٢)
وتخيَّروا الحبلَ المَهينَ مَنيَّةً للَّيْثِ يلفِظ حَوْلَهُ الحَوْباءَ(٣)
حَرموا المماتَ على الصَّوارِمِ والقَنا مَنْ كان يُعْطِى الطَّعْنَةَ النَّجْلاءَ
إنى رأيتُ يَدَ الحضارةِ أُولِعَتْ بالحقِّ هَدْمًا تارةً وبِناءَ
شَرَعَتْ حُقوقَ الناسِ فى أَوطانِهم إلاَّ أُباةَ الضَّيْمِ والضُّعَفاءَ

* * *

يأيُّها الشعبُ القريبُ ، أَسامِعٌ فأَصوغَ فى عُمَرَ الشَّهيدِ رِثاءَ
أَمْ أَلجَمَتْ فاكَ الخطوبُ وحَرَّمت أُذنَيْكَ حينَ تُخاطَبُ الإِصْغاءَ ؟
ذهب الزعيمُ وأَنتَ باقٍ خالدٌ فانقُدْ رِجالَكَ ، واخْتَرِ الزُّعَماءَ
وأَرِحْ شيوخَكَ من تكاليفِ الوَغَى واحْمِلْ على فِتْيانِكَ الأَعْباءَ

●●●

(١) الشاهق : الجبل . والتسعون : هى التسعون عاما التى يحدد بها عمر المرثى حين قبضوا عليه ليعدموه .

(٢) الخوان : مائدة الطعام .

(٣) الحوباء : النفس .

## عبد الحليم العلايلى بك(*)

لقد لَبَّى زعيمُكُم النِّداءَ ... عَزاءً أهلَ دِمْياطٍ عَزاءَ

وإن كان المُعَزِّى والمُعَزَّى ... وكُلّ الناسِ فى البَلْوَى سَواءَ

فُجِعْنا كلُّنا بعلايْلىٍّ ... كركنِ النَّجمِ أو أسنى عَلاءَ

أَرَقُّ شبابِ دِمْياطٍ عليها ... وأنشطُهم لحاجتها قَضاءَ

وخيرُ بيوتِها كرمًا وتَقْوَى ... وأصلاً فى السِّيادة وانتهاءَ

فتًى كالرمحِ عاليةً وعُودًا ... وكالصَّمْصام إفْرِنْدًا وماءَ(١)

وأعطى المالَ والهِمَمَ العَوالى ... ولم يُعْطِ الكرامةَ والإباءَ

شبابٌ ضارَعَ الرَّيْحانَ طِيبًا ... ونازَعَهُ البَشاشةَ والبَهاءَ

وجُنْدِىُّ القضيّةِ منذُ قامَتْ ... تعلَّمَ تحتَ رايَتِها اللِّقاءَ

ورُوِّعَ شيخُها العالى بيومٍ ... فكان بمَنْكِبَيْهِ له وِقاءَ

سعَى لضميرِه، ولوَجْهِ مصرٍ ... ولم يَتَوَلَّ ينتظر الجزاءَ

* * *

ونَعْشٍ كالغَمامِ يَرِفُّ ظِلاً ... إذا ذهب الزِّحامُ به وجاءَ

ولم تقع العيونُ عليه إلاّ ... أثارَ الحزنَ أو بعثَ البكاء

---

(*) عبد الحليم العلايلى : كان عالية دمياط ، توفى سنة ١٩٣٢ ، بعد أن ترك له فى القضية المصرية مواقف مذكورة . اشتهر منذ نشأ بعلو الهمة ونفوذ الكلمة فانتخب للمجالس النيابية بالنيابة عن دائرة دمياط عدة مرات ، وانتخب سكرتير حزب الأحرار الدستوريين فكان فى رجالات ذلك الحزب ممن يشار إليهم ، وكان من أمير الشعراء بمنزلة الصهر والصديق .

(١) عالية الرمح : نصفه الأعلى الذى يلى السنان . والصمصام : السيف . وإفرنده وماؤه : كلاهما تمييز لجوهره .

(٢) يقصد « بشيخها العالى » : المغفور له سعد باشا زغلول .

عَجبنا كيف لم يَخْضَرّ عُـودًا ... وقـد حمل المُروءَةَ والرُّفـاءَ
مشَتْ دِمْياطُ فالتـفتْ عليـهِ ... تنازعُـهُ الـذَّخيرة والرجـاءَ

* * *

بَنى دِمْياطَ ، مـا شَىْءٌ ببـاقٍ ... سوى الفردِ الذى احتكر البقاءَ
تعـالى اللهُ ، لا يبقَـى سِواه ... إذا وردتْ برِيَّتُـه الفنـاءَ
وأنتم أهـلُ إيمانٍ وتقـوى ... فهل تلْقَوْنَ بالعَتْبِ القضاءَ ؟
مـلأتم مـن بيـوتِ الله أرضًا ... ومن داعى البُكـورِ لها سماءَ
ولا تستقبلـون الفجـرَ إلاّ ... على قَـدَمِ الصلاةِ إذا أضاءَ
وترتقبـون مَطْلَعَـهُ صِغـارًا ... وتَسْتبِقُـونَ غُرَّتَـهُ نِساءَ
وكم من مَوْقِفٍ ماضٍ وقفتم ... فكنتم فيـه لِلوطـن الفِداءَ
دفـعتم غـارةً شعـواءَ عنـه ... وذُدْتُمْ عـن حواضره البَلاءَ

* * *

أخى ( عبدَ الحليم ) ولسْتُ أدرى ... أأدعو الصِّهْرَ أم أدعو الإخاءَ ؟
وكم صَحَّ الودادُ فكان صِهـرًا ... وكان كأقرَبِ القُرْبَى صَفاءَ
عجيبٌ تركُكَ الدنيا سقيمًـا ... وكنتَ النَّحْلَ تملؤها شِفـاءَ[١]
وكنَّا حيـنَ يُـعْضِلِ كـلُّ داءٍ ... نجىءُ إليكَ نجعلك الـدَّواءَ
مضت بك آلـةٌ حَدْبـاءُ كانت ... على الزمن المَطِيَّةَ والوِطـاءَ[٢]
وسارَتْ خلْفكَ الأحزابُ صفًّـا ... وسِرْتَ ، فكُنْتَ فى الصفِّ اللِّواءَ
تؤلِّـفُ بـينهم مَيْتًـا ، وتبنـى ... كعهـدِكَ فى الحيـاة لهم وَلاءَ

---

(١) يريد تشبيه المساعى الكثيرة النبيلة التى كان يقوم بها المرثى بعسل النحل .
(٢) الآلة الحدباء : النعش .

# حافظ إبراهيم(*)

| | |
|---|---|
| قد كنتُ أُوثرُ أن تقولَ رِثائى | يا مُنصِفَ الموْتى من الأَحياءِ |
| لكنْ سبقَتَ ، وكلُّ طولِ سلامةٍ | قدرٌ ، وكلُّ مَنِيَّةٍ بقضاءِ |
| الحقُّ نادَى فاسْتجَبْتَ ، ولم تَزلْ | بالحقِّ تحفِلُ عندَ كلِّ نِداءِ |
| وأُتيْت صحراءَ الإمامِ تذوب من | طُولِ الحنينِ لساكن الصحراءِ[1] |
| فلقيت فى الدار الإمامَ محمدًا | فى زُمْرَةِ الأَبرارِ والحُنفاءِ[2] |
| أَثَرُ النعيم على كريمِ جبينه | ومراشدُ التفسيرِ والإفتاءِ |
| فشكوتما الشَّوْقَ القديمَ ، وذُقْتُما | طِيبَ التدانى بعدَ طولِ تنائى |
| إنْ كانت الأُولى منازلَ فُرْقةٍ | فالسمْحَةُ الأُخرى ديارُ لِقاءِ[3] |
| ووددْتُ لو أَنى فداكَ من الرَّدَى | والكاذبون المُرْجِفونَ فِدائى |
| الناطقونَ عن الضَّغينةِ والهوى | المُوغِرُو المَوْتَى على الأَحياءِ |
| من كلِّ هَدَّامٍ ويَبنى مجدَه | بكرائم الأَنقاضِ والأَشلاءِ |
| ما حَطَّموكَ ، وإنما بكَ حُطِّموا | من ذا يُحطِّم رَفْرَف الجوزاء ؟[4] |

---

(*) هو المرحوم محمد حافظ إبراهيم بك ، شاعر سباق معدود فى الطليعة ، وكان يلقب بشاعر النيل ، توفى سنة ١٩٣٢ ، فرثاه أمير الشعراء شوقى بك بهذه القصيدة ، التى ينبىء مطلعها عن مبلغ تقديره لصاحبه ووفائه له .

(١) صحراء الإمام : المقبرة التى دفن بها ، وهذه الصحراء تنسب للإمام الشافعى لوقوع ضريحه — رضى الله عنه — فى نطاقها .

(٢) الإمام : هو المرحوم الشيخ محمد عبده العالم الدينى الكبير ، وقد اشتهر المرحوم حافظ فى حياته باكتساب عطفه ورضاه .

(٣) الأولى : الحياة الدنيا .

(٤) الرفرف : ما يجعل عليه طرائف البيت . والجوزاء : نجم معروف فى السماء ، فالتعبير برفرف الجوزاء : كناية عن أسنى مواضع الشرف والسمو .

أُنظُره ، فأَنت كأَمْسِ شأْنُكَ باذخٌ ... فى الشرقِ ، واسْمُكَ أَرفعُ الأَسماءِ
بالأَمسِ قد حَلَّيْتَنى بقصيدةٍ ... غراءَ تُحفَظُ كاليدِ البيضاءِ[١]
غِيظَ الحَسُودُ لها وقمتُ بشكرِها ... وكما علمتَ مَوَدَّتى ووفائى
فى مَحفلٍ بَشَّرْتُ آمالى بهِ ... لما رَفعتَ إلى السماءِ لِوَائى
يا مانِحَ السُّودانِ شرْخ شبابِه ... ووَلِيَّهُ فى السِّلمِ والهيْجاءِ
لما نزلْت على خمائِلِه ثوَى ... نبْعُ البيانِ وراءَ نَبْعِ الماءِ
قَلَّدْتَهُ السيفَ الحُسامَ ، وزدْتَهُ ... قلمًا كصدرِ الصَّعْدةِ السمراءِ[٢]
قلم جرى الحِقبَ الطِّوالَ فما جرى ... يومًا بفاحشةٍ ولا بهجاءِ[٣]
يكسو بِمِدْحَتِه الكِرامَ جلالةً ... ويُشَيِّعُ المَوْتى بحسنِ ثَناءِ

* * *

إسْكَنْدَرِيَّةُ يا عروسَ الماءِ ... وخميلةَ الحكماءِ والشعراءِ[٤]
نشأَتْ بشاطِئِكِ الفنونُ جميلةً ... وتَرعرعَتْ بسمائِكِ الزهراءِ
جاءَتْكِ كالطيرِ الكريمِ غرائبًا ... فجمعتِها كالرَّبْوَةِ الغنَّاءِ
قد جمَّلوكِ ، فصِرْتِ زِنْبقَةَ الثرَى ... للوافدينَ ودُرَّةَ الدَّأْماءِ

---

(١) يريد القصيدة التى أنشأها المرحوم حافظ وأنشدها فى المهرجان العظيم الذى أقيم فى القاهرة ، وقد حضرت إليه وفود الأقطار العربية ، وظل سبعة أيام تكريما لمبايعة أمير الشعراء شوقى بإمارة الشعر فى الشرق العربى عامة ، وهى التى يقول فيها :

أمير القوافى ، قد أتيت مبايعا ... وهذى وفود الشرق قد بايعت معى

(٢) الصعدة : قناة الرمح ينبت عودها مستويا .

(٣) الحقب : جمع حقبة — بكسر الحاء — وهى المدة من الزمن أو السنة .

(٤) نظم المرحوم شوقى هذه القصيدة وهو فى الإسكندرية ، فكان لابد لشاعريته المستوعبة من وصف هذه المدينة وفاء لإقامته فيها وقتئذ .

غرَسُوا رُباكِ على خمائلِ بابلٍ ... وبَنَوْا قصورَك فى سَنا الحمراءِ[١]
واستحدثوا طُرُقًا مُنوَّرة الهدى ... كسبيلِ عيسى فى فِجاجِ الماءِ[٢]
فخُذى كأسِ من الثقافة زينةً ... وتجمَّلى بشبابكِ النُّجَباءِ
وتقلَّدى لغةَ الكتابِ ؛ فإنَّها ... حَجَرُ البناءِ ، وعُدَّةُ الإنشاءِ
بَنَتِ الحضارةَ مرَّتين ، ومهَّدتْ ... للمُلكِ فى بغدادَ والفَيْحاءِ
وسَمَتْ بقرطبةٍ ومصرَ ، فحلَّتا ... بين الممالكِ ذِرْوَة العَلياءِ[٣]
ماذا حشدتِ مِن الدموع « لحافظٍ » ... وذخرْتِ من حزنٍ له وبُكاءِ ؟
ووجدْتِ مِن وقع البلاءِ بفقدهِ ... إن البلاءَ مَصارِعُ العظماءِ
اللهُ يشهدُ قد وَفيْتِ سخيَّةً ... بالدَّمع غيرَ بَخيلةِ الخطباءِ
وأخذتِ قِسطًا من مَناحةِ ماجدٍ ... جَمِّ المآثِرِ ، طيِّبِ الأنباءِ
هَتف الرُّواةُ الحاضرون بشعره ... وحدا به البادون فى البَيْداءِ[٤]
لبنانُ يَبكيه ، وتبكى الضادُ من ... حَلبٍ إلى الفيْحا إلى صَنْعاءِ
عربُ الوَفاءِ وَفَوْا بذمّةِ شاعرٍ ... بانى الصفوفِ ، مُؤلِفِ الأجزاءِ
يا حافظَ الفصحى ، وحارسَ مَجْدِها ... وإمامَ مَنْ نجلتْ من البُلغاءِ[٥]
ما زِلْتَ تهتفُ بالقديم وفضلهِ ... حتى حَمَيْت أمانةَ القُدماءِ
جدّدت أُسلوبَ ( الوليدِ ) ولفظَه ... وأتيْت للدّنيا بسحر ( الطائى )[٦]

---

(١) بابل : موضع مدينة بالعراق ، ينسب إليها السحر والخمر . والحمراء : قصر مشهور فى الأندلس .

(٢) الفجاج — بكسر الفاء : جمع فج — بفتحها — الطريق الواسع بين الجبلين .

(٣) قرطبة : إحدى عواصم الأندلس الكبرى ، وكانت فى المغرب مثل بغداد فى المشرق ، كلتاهما منبع للعلوم والفنون فى أزهر عصور الإسلام .

(٤) البادون : السائرون فى البادية .

(٥) نجلت : أى ولدت .

(٦) الوليد : هو أبو عبادة البحترى الشاعر العباسى الشهير . والطائى : هو حبيب الطائى الشهير بأبى تمام .

وجريْت فى طلبِ الجديدِ إلى المدى — حتى اقترنْت بصاحب البُؤساءِ[1]

ماذا وراءَ الموت من سَلْوَى ، ومن — دَعَةٍ ، ومن كرَم ، ومن إغضاءِ ؟

اشرحْ حقائقَ ما رأَيت ، ولم تزل — أهلاً لِشرْح حقائِق الأَشياءِ

رُتبُ الشجاعةِ فى الرِّجالِ جلائلٌ — وأَجَلُّهُــنَّ شجاعــةُ الآراءِ

كم ضِقتَ ذَرْعًا بالحياة وكيْدِهــا — وهتفت بالشكوى من الضَّراءِ

فهلُمَّ فارِقْ يأْسَ نفسِك ساعــةً — واطلُعْ على الوادى شُعاعَ رجاءِ

وأَشرْ إلى الدنيا بوجــهٍ ضاحكٍ — خُلِقتْ أَسِرَّتُــهُ مــن السَّراءِ

يــا طــالما مَلأَ النَّــدِىَّ بشاشةً — وهدى إليك حوائجَ الفقــراءِ

اليومَ هــادنْت الحوادِثَ ؛ فاطَّــرِحْ — عِبْءَ السنين ، وأَلْقِ عِبْءَ الداءِ

خلَّفْت فى الدنيا بيانًــا خالــدًا — وتركْت أَجيالاً مــن الأَبنــاءِ

وغدًا سيذكرك الزمانُ ، ولم يَزلْ — للدَّهرِ إنصافٌ وحسنُ جزاءِ

●●●

(١) البؤساء : كتاب لفكتور هوجو ، عربه الفقيد .

# محمد تيمور[*]

ضربـوا القبـابَ على اليَبَـابِ ... وثـوَوْا إلى يـوم الحسابِ[1]
هَمَـدوا ، وكـلُّ مُحَـرِّكٍ ... يومًا سيسكـنُ فى التـراب
نزلـوا على ذِئْبِ البِلَـى ... فتضيَّفـوا شرَّ الذئـاب
وكـأنهم صَرْعَـى كـرَى ... بالقـاع أو صَرْعَـى شراب
فـإذا صَحَـوْا وتنبّهـوا ... فـاللهُ أعلـمُ بـالمآب

* * *

مـن كـلِّ مُنْـفضِّ الوفـو ... دِ هناك مهجـورِ الجَنـابِ
مَـوْرُوثِ كـلِّ مَضِنَّـةٍ ... إلا الـذَّخِيرة مِـن ثـواب[2]

* * *

يـا نائحـاتِ محمـدٍ ... نُخْتَنُّـهُ غضَّ الإهـاب
فى مَأْتـمٍ لم تخـلُ فيـ ... ـه المكرماتُ مِن انتحـاب
تبكـى الكريـمَ على العشـ ... ـيرة ، والحبيبَ إلى الصحاب
حَسْبُ الحِمـامِ دُموعُكـ ... ـنَّ المُسْتهِلَّـةُ مِـن عِتـاب[3]
فارْجِعْـنَ فيـه لحكمـةٍ ... أو جِئْنَ فيه إلى احْـتِساب
فى العـالم الفـانى مَصـ ... ـيـرُ العـالمين إلى ذهـاب
مَـنْ سارَ لـمْ يَنْنِ العِنـا ... نَ ، ومَنْ أقام إلى اقتـراب

* * *

---

(*) محمد تيمور : أديب كبير اشتهر بوضع القصص الاجتماعية ، ولكن الموت لم يمهله فاخترم شبابه فى سنة ١٩٢١ .

(١) القباب : جمع قبة ، والمقصود بضرب القباب هنا : هو الكناية عن المقبرة .

(٢) المضنة: هى الشيء النفيس يكون موضعا للضن به.(٣) الحمام ـ بكسر الحاء ـ : الموت.

يـا وارثَ الـحَسَبِ الصميـــمِ وكاسبَ الأدبِ اللُّبـاب
وابـنَ الـذى علـم الرجـال حيـاءَه مـن كل عـاب[١]
وكأنـــه فى كُتْبـــهِ عثمانُ فى ظـل الكِتـاب[٢]
مـاذا نقـمْتَ مِـن الشبـابِ ، وأنت فى نِعَم الشباب ؟
مُتحليًـا هِبَـة النبـوغِ ، مُطوَّق المِنح الرِّغاب ؟
ولِـم الترحُّـلُ عـن حيـاةٍ أنت منها فى رِكاب ؟
لم تغْـدُ شاطِئَهـا ، ولم تبلـغْ إلى ثَبَـجِ العُبـاب ؟[٣]

* * *

رِفقًـا على محزونـة الـأبياتِ ، مُوحِشةِ الحِجـاب[٤]
فقـدَتْك فى العمـر الطريـرِ ، وفى زها الدنيا الكعـاب[٥]
تبكـى ، وتنْـدُب إلْفهـا بين الأفـانين الرطـاب
وانظـر أبـاك وثُكْلَـه ورُزوحَـه تحت المصاب
لـو كان يملك سِرَّ يُـوشعَ ردّ شمْسَك من غِيـاب[٦]

* * *

(١) وابن الذى .. إلخ : هو المرحوم أحمد باشا تيمور ، كان عالما بحاثا اشتهر بالاطلاع الواسع وباقتناء أثمن الكتب .

(٢) يشبه والد الفقيد فى إقباله على الكتب فى شيخوخته بعثمان بن عفان الخليفة الثالث الذى مات والكتاب العزيز فى يده .

(٣) العباب : البحر . وثبجه : وسطه .

(٤) موحشة الحجاب : كناية عن شدة مصاب هذه السيدة ، يقول : إن خدرها أقفر من الأنس حتى صار يبعث الوحشة والهلع فى قلب صاحبه .

(٥) العمر الطرير : هو سن الشباب ، ويقصد بقوله : « الدنيا الكعاب » أنه كان يعيش فى دنيا مزهوة بنعيمها وثروتها .

(٦) يوشع — كما فى التوراة — : هو يوشع بن نون ، اصطفاه الله وأرسله لبنى إسرائيل بعد موسى ، وأمره بمحاربة الجبارين ، ففى بعض وقائعه ابتهل إلى الله أن تقف الشمس حتى ينتقم من أعدائه ، فوقفت و لم تغرب مدة يوم أو نحو ذلك .

أعلِمْت غيرَك منْ جَلا التـ ـمثيلَ فى جُدُدِ الثياب
وكسا غرائبَ جِدِّهِ حُلَلاً، مِن الهزل العُجاب
مُتميزًا حينَ التميُّـ ـزُ ليس من أَرَبِ الشباب
أُفُقُ العُلا كنتَ الشها بَ عليه ، لا ذَنَبَ الشهاب
يا رُبَّ يومٍ ضاق ذَرْ عُك فيه بالحُسُدِ الغِضاب
سَعْهم فأنت جمعتَهم الشهدُ مائدةُ الذُّباب
خُذْ منهُمُ نقْدَ العَفا فِ ، ودَع لهم نقْدَ السباب
دونَ النُّبوغِ وأَوْجِهِ ما لا تعُدُّ من الصعاب
فإذا بلغت الأَوْجَ كُنْـ ـت الشمس تهزأ بالضَّباب(١)

* * *

لا تبعدنّ ؛ فهذه آمالُ قومِك فى اقتراب
أَشْرِفْ بروحك فوقَهم ملكًا يُرَفْرِف فى السحاب
وانظر بعينِ نُزِّهَتْ عن زُخْرُفِ الدنيا الكِذاب
ترَ مِنْ لِداتِك أُمّةً كسَتِ الديارَ جلالَ غاب(٢)
أُسْدٌ تجول بغير ظُفْـ ـرٍ ، أو تصول بغير ناب
جعلوا الثباتَ سِلاحَهم نِعْمَ السلاحُ مع الصواب(٣)
أَمّا الأُمورُ فإنها بلغتْ إلى فصْلِ الخِطاب
فإذا ملكْتَ تَوَجُّهًا لله فى قُدس الرحاب
سَلْ فاتحَ الأَبوابِ يفـ ـتح للكِنانةِ خيرَ باب

---

(١) الأوج : العلو .
(٢) لدات الإنسان : المقاربون له فى السن . والغاب : جمع غابة ، وهى مأوى الآساد .
(٣) يصف شباب الأمة المصرية فى ثورة سنة ١٩١٩ .

# يعقوب صروف(*)

سماؤُكِ يا دنيا خِداعُ سَرابِ ... وأرضُكِ عُمْرانٌ وَشِيكُ خراب[١]

وما أنتِ إلاَّ جيفةٌ طالَ حولَهَا ... قيامُ ضِباعٍ ، أو قُعودُ ذِئاب

وكم ألجأَ الجوعُ الأُسودَ فأَقبلَتْ ... عليك بظُفْرٍ لم يَعِفّ وناب

قَعَدْتِ من الأَظعان فى مَقْطع السُّرى ... ومَرُّوا رِكابًا فى غُبارِ رِكاب

وجُدْتِ عليهم فى الوَداعِ بساخرٍ ... من اللَّحْظِ عن مَيْتِ الأَحِبّةِ نابى[٢]

أَقاموا ، فلم يؤنِسْكِ حاضرُ صحبةٍ ... ومالوا فلم تستوحشى لِغياب

تسُوقِينَ للموتِ البَنينَ كقائدٍ ... يرى الجيشَ خلقًا هَينًا كذُباب

رأَى الحربَ سُلطانًا له وسلامةً ... وإن آذنتْ أُجنادَه بتَباب[٣]

ولولا غرورٌ فى لُبانكِ لم يجد ... بَنوكِ مَذاق الضُّرِّ شهدَ رُضاب[٤]

ولا كنتِ للأَعمى مَشاهِدَ فتنةٍ ... وللمُقْعَدِ العانى مَجالَ وثاب[٥]

ولا ضلّ رأْىُ الناشئِ الغِرِّ فى الصِّبا ... ولا كَرَّ بعدَ الفُرصةِ المتصابى

ولا حسبَ الحفَّارُ للموتِ بعدَما ... بَنى بيديه القبرَ أُلف حِساب

يقولون : يَرثِى كلَّ خِلٍّ وصاحبٍ ... أَجَلْ ، إنما أَقضى حقوقَ صِحابى

---

(*) هو الدكتور يعقوب صروف ، أحد صاحبى مجلة المقتطف وجريدة المقطم ، كان متبتلا للعلم ، معدودا فى طليعة الكتاب والعلماء الذين يشار إليهم بالبنان ، توفى سنة ١٩٢٨ .

(١) السراب : هو ما يرى فى وسط النهار كأنه الماء . ووشيك : سريع .

(٢) النابى : المتجافى المتباعد .

(٣) يقال : آذنته بكذا ، أى أنذرته . والتباب : الهلاك .

(٤) اللبان — بتشديد اللام مضمومة — : جمع لبانة ، وهى الحاجة يطلبها الإنسان من غير احتياج إليها ، بل بدافع من علو الهمة والرغبة . الرضاب : هو ريق الإنسان ما دام فى فمه .

(٥) العانى : المقيد ، وهنا سمى الأسير بالعانى ، لأن من شأنه أن يقيد .

جَزيْتُهُمُ دمعى ، فلما جرى المَدَى ... جعلتُ عيونَ الشعرِ حُسْنَ ثوابى
كفى بذُرَى الأعوادِ منبرَ واعظٍ ... وبالمستقـلِّيها لسانَ صَوابِ[1]
دعوتُك يا يعقوبُ من منزِلِ البِلَى ... ولولا المنايا ما تركْتَ جوابى
أُذكِّرك الدنيا ، وكيف ولم يَزلْ ... لها أثرا شَهدٍ بفيك وصاب ؟[2]
حملنا إليك الغارَ بالأمسِ ناضرًا ... وسُقنا كتابَ الحمدِ تِلْوَ كتاب[3]
وما انفكّتِ الدنيا وإنْ قلّ لُبْثُها ... لسانَ ثوابٍ ، أو لسانَ عِقاب
ألا فى سبيلِ العلمِ خمسون حِجَّةً ... مَضتْ بين تعليمٍ وبين طِلاب
قطعتَ طوالَيْ ليلِها ونهارِها ... بآمال نفسٍ فى الكمالِ رغاب
رأى اللهُ تُلقى إليك صحيفةً ... فنزّهْتها عن هَوشةٍ وكِذاب[4]
ولم تتَّخذْها آلةَ الحقدِ والهوى ... ولا منتدَى لغوٍ وسوقَ سِباب
مَشيْنا بنُورَيْ علمِها وبيانِها ... فلم نسْرِ إلاّ فى شُعاع شِهاب
وعشنا بها جيلْين قمتَ عليهما ... معلِّمَ نشْءٍ ، أو إمامَ شباب
رسائلُ من عَفْوِ الكلامِ كأنها ... حواشى عُيونٍ فى الطُّروس عِذاب[5]
هى المَحْضُ ، لا يَشْقى به ابنُ تمِيمَة ... غِذاءً ، ولا يشقى به ابنُ خِضاب[6]

---

(١) بالمستقليها : أى براكبيها .

(٢) الشهد : عسل النحل . والصاب : المر .

(٣) إشارة إلى الاحتفال بالفقيد فى اليوبيل الفضى لمجلته المقتطف . والغار : ورق شجر كانت تتخذ منه أكاليل الظافرين .

(٤) هذه الصحيفة هى مجلة المقتطف التى تعد بحق أمجد صحيفة علمية أدبية فى الشرق العربى كله ، وكان الفقيد مختصا بتحريرها .

(٥) قوله « كأنها حواشى عيون .. إلخ » العيون : هى عيون الماء ، ويقصد بحواشيها : النباتات والزهور التى تنبت حواليها .

(٦) المحض : هو الخالص من كل شىء ، وابن تميمة وابن خضاب : يقصد بالأول اليفع الناشىء ، وبالثانى الشائب الذى يخضب شعره .

سُهولٌ من الفُصحى وقفْتَ بها الهوى | على ما لديها من رُبىً وهِضاب
وما ضِعتَ بين الشرقِ والغربِ مِشيةً | كما قيل فى الأمثال : حَجْلُ غراب
فلم أَرَ أنقى منك سُمعةَ ناقلٍ | إذا وسَم النقلُ الرجالَ بعاب
وكم أخذ القولَ السَّرِىَّ مُعرِّبٌ | فما ردّه لاسمٍ ، ولا لِنصاب
وفدْتَ على الفُصحى بخيراتِ غيرها | فواللهِ ما ضاقت مناكِبَ بـاب
وقِدْمًا دَنتْ (يونانُ) منها و (فارسٌ) | و (روما) فحلُّوا فى فسيح رِحاب
تبتَّلْتَ للعلم الشريفِ كأنه | حقيقةُ توحيدٍ وأنت صَحابى
وجشَّمت مَيدان السياسةِ (فارسًا) | وكلُّ جوادٍ فى السياسة كابى[1]
وكنا و (نمرٌ) فى شِغابٍ ، فلم يَزلْ | بنا الدهرُ حتى فضَّ كلَّ شِغاب
رأى الثورة الكبرى ، فسلَّ يَراعَه | لتحطيم أغلالٍ وفكِّ رِقاب[2]
ومـا الشرقُ إلاّ أُسرةٌ أو عشيرةٌ | تلمُّ بنيها عندَ كلِّ مُصاب

* * *

سلامٌ على شيخ الشيوخِ ورحمةٌ | تحدَّرُ من أعطاف كلِّ سَحاب
ورفّافُ رَيْحانٍ يروحُ ويَغتدى | على طيِّباتٍ فى الخِلال رِطاب
وذِكرى وإن لم ننْسَ عهدك ساعةً | وشوقٌ وإن لم نفتكر بإياب
وويحَ السَّوافى هل عَرضْنَ على البِلَى | جَبينَك ، أم سترْنهُ بحِجاب ؟[3]

---

(١) المقصود بفارس فى هذا البيت هو الدكتور فارس نمر ، الشريك الثانى للفقيد فى مجلتى المقتطف والمقطم ، ولكنه الشريك المختص بالسياسة ، كما كان الفقيد مختصا بالعلم ، وقوله : وكل جواد فى السياسة كابى ، إشارة رقيقة إلى المثل القائل : « لكل جواد كبوة ولكل عالم هفوة » .

(٢) يريد أن الدكتور نمر لم يشاغب حبا فى المشاغبة ، ولكنه كان متأثرا بفكرة عامة .

(٣) السوافى : الرياح .

وهل صُنَّ ماءً كان فيه كأنه ... حياءُ بَتولٍ فى الصلاة كَعاب[1]
ويا لحياةٍ لم تدَعْ غيرَ سائلٍ ... أكانت حياةً ، أم خلِيَّةَ داب ؟[2]
وأين يدٌ كانتْ وكان بنانُها ... يَراعَةَ وَشْيٍ ، أو يَراعةَ غاب ؟
ولَهْفى على الأخلاقِ فى رُكْنِ هَيْكلٍ ... ببطن الثرى رَثٌّ المعالم خابى

* * *

نعيش ونمضى فى عذابٍ كلذَّة ... من العيش ، أو فى لذَّةٍ كعذاب
ذهبنا من الأحلام فى كلّ مذهبٍ ... فلما انتهينا فُسِّرتْ بذهاب
وكلُّ أخى عيشٍ وإن طال عيشُهُ ... تُرابٌ لعَمْرُ الموتِ وابنُ تُراب

●●●

(١) البتول : المنقطعة عن الرجال وعن الدنيا إلى الله تعالى .
(٢) الداب : بمعنى الدأب .

# حسين شيرين بك(*)

أرأيت زينَ العابدينَ مُجَهَّزًا نقلوه نقلَ الوَرْدِ من محرابِه[١]

من دار توْأمِهِ وصِنْوِ حياتِه والأوَّلِ المألوفِ من أترابِه[٢]

ساروا به من باطلِ الدنيا إلى بُحْبوحَةِ الحقِّ المبينِ وغابِه[٣]

ومضَوْا به لسبيلِ آدمَ قَبلَه ومَصايرِ الأقوامِ من أعقابه

تحنو السماءُ على زَكِيِّ سَريرِه ويَمَسُّ جِيدَ الأرضِ طِيبُ رِكابه

وتَطيب هامُ الحاملين وراحُهم من طِيب مَحْمِلِه، وطِيبِ ثيابه

وكأنَّ مصرَ بجانِبَيْهِ رَبْوَةٌ آذارُ آذنها بوَشْكِ ذَهابه

ويكاد من طربٍ لعادته الندى يَنْسَلُّ للفقراءِ من أثوابه[٤]

الطَّيِّبُ ابنُ الطَّيِّبينَ، وربَّما نضح الفتى فأبان عن أحسابه

والمؤمنُ المعصومُ فى أخلاقه من كل شائنةٍ، وفى آدابه

أبدًا يراه اللهُ فى غَلسِ الدُّجى من صَحْنِ مَسجده، وحول كِتابه

---

(*) حسين بك شيرين: كان مثالا عاليا من أمثلة مكارم الأخلاق، وكانت بينه وبين أمير الشعراء صداقة تشبه القربى، وقد توفى فى سنة ١٩٣١، فنظم فيه هذه القصيدة رثاء له وتعزية لشقيقه إسماعيل بك شيرين.

(١) أراد تشبيهه بعلى زين العابدين بن سيدنا الحسين رضى الله عنهما، وفى زين العابدين هذا يقول الشاعر الفرزدق:

ما قال «لا» قط إلا فى تشهده لولا التشهد كانت لاءه «نعم»

وتجهيز الميت: تهيئته للقبر.

(٢) الصنو: الأخ الشقيق. والتوأم: المولود مع غيره فى بطن، وهذه حال الفقيد مع أخيه، والأتراب: لدات المرء وزملاؤه الذين ولدوا فى سن متقاربة معه.

(٣) بحبوحة المكان: وسطه.

(٤) الندى: الكرم.

ويرى اليتامى لائذين بظلّه | ويرى الأرامل يعتصمن ببابه
ويراه قد أدّى الحقوق جميعها | لم ينس منها غير حقّ شبابه
أدّى من المعروف حصّة أهله | وقضى من الأحساب حقّ صحابه[1]

* * *

(مهويشُ) . أين أبوكِ ؟ هل ذهبوا به | لِمَ لمْ يَعد ؟ أيّانَ يومُ إيابه ؟[2]
قد وكَّل اللهَ الكريمَ وعَيْنَه | بكِ ، فاحسبيه على كريم رِحابه
ودَعِي البُكا ، يكفيه ما حَمَّلْتِه | من دمعكِ الشاكى ، ومن تَسْكابه
ولقد شربْتِ بحادث يا طالما | شربَتْ بناتُ العالمين بِصَابه
كلُّ امرىءٍ غادٍ على عُوّاده | وسؤالِهم : ما حالُه ؟ ماذا به ؟
والمرءُ فى طلب الحياةِ طويلةً | وخُطى المنيّةِ من وراءِ طِلابه ؟
فى برِّ ( عَمِّكِ ) ما يقوم مكانه | فى عَطْفه ، وحنانِه ، ودِعابه

* * *

(إسكندريةُ) ، كيف صَبْرُكِ عن فتًى | الصبرُ لم يُخلق لمثل مُصابه[3]
عَطِلَتْ سماؤكِ من بَريق سَحابِها | وخَبا فَضاؤكِ من شُعاع شِهابه
زَيْنُ الشبابِ قَضَى ، ولم تتزوَّدِى | منه ، ولم تتمتَّعى بقَرابه
قد نابَ عنكِ ؛ فكان أصدقَ نائبٍ | والشعْبُ يَهْوَى الصِّدق فى نُوّابه
أعلمتِه اتَّخذ الأمانةَ مَرَّةً | سبَبًا يُبلِّغه إلى آرابه ؟
لو عاش كان مؤمَّلاً لمواقفٍ | يرجو لها الوادى كِرامَ شبابه

---

(١) المعروف هنا بمعنى البر بالناس والقيام بواجب المحتاجين .
(٢) مهويش : اسم تركى ، وهو علم على ابنة الفقيد .
(٣) كان الفقيد من الإسكندرية منشأً ، وعضو مجلس بلديتها .

يَجلو على الألبابِ هِمّةَ فِكْرِه ويناوِلُ الأسماعَ سِحرَ خِطابه
ويَفِي كدَيْدَنِهِ بحقِّ بلادِه ويَفِي بعهد المسلمين كَدابه[(١)]

* * *

تَقْواكَ ( إسماعيلُ ) ؛ كلُّ عَلاقةٍ سَبَبُتُها الدهرُ العَضوضُ بنابه[(٢)]
إنَّ الذى ذُقتَ العَشِيَّةَ فَقْدَه بتَّ الليالى مُوجَعًا لعذابه
فارقتَ صِنْوَكَ مَرّتَيْنِ ، فَلاقِهِ فى عالَم الذكرى وبينَ شِعابه[(٣)]
من عادة الذكرى تَرُدُّ من النوى مَن لا يَدَيْنِ لنا بِطَىِّ غِيابه
حُلمٌ كأحلام الكَرَى وسِناتِه مُسْتَعْذَبٍ فى صدقه وكِذابه
اسكُبْ دُموعَكَ لا أقول : استَبْقِها فأخو الهوى يَبكى على أحبابه

●●●

(*) (١) الديدن : العادة .
(٢) إسماعيل بك شيرين شقيق المرثى .
(٣) يشير هذا البيت إلى أن الفقيد كان مغتربا فى سويسرا طيلة زمن الحرب الكبرى .

# محمد عبد المطلب(*)

قام من عِلَّته الشاكى الـوَصِبْ ... وتلقَّـى راحـةَ الدّهـرِ التَّـعِبْ[1]

أيُّها النفسُ ، اصبرى واسترجعى ... هتـفَ الناعـى بعبـد المُطَّـلِب[2]

نـزل التُّـرْبَ على مَـن قبلَـه ... كـلُّ حـىٍّ مُـنتهاه فى التُّـرُب

ذهب اللَّيِّـنُ فى إرشادِه ... كالأَبِ المُشْفِقِ والجَدِّ الحَـدِب

القريبُ العَتْبِ مِنْ مَعْنَى الـرِّضا ... والقريبُ الجِدِّ من معنى اللَّـعِب

والأَخُ الصادقُ فى الـوُدِّ إذا ... ظَهـرَ الإخـوانُ بالـوُدِّ الكَـذِب

خـاشعٌ فى درسه ، مُحْـتَشِمٌ ... فَكِـهٌ فى مجلس الصَّفْـوِ طَـرِب

قلَّـد الأَوطـانَ نَشْأً صالحًـا ... وشبابًـا أَهـلَ ديـن وحَسَب

ربّمـا صالتْ بهم فى غدِهـا ... صَولـةَ الدولـةِ بـالجيش اللَّـجِب[3]

جعلـوا الأَقـلامَ أَرماحَهُـمُ ... وأَقاموهـا مقامـاتِ الـقُضُب

لا يميلـون إلى البَغْـيِ بها ... كيف يَبغِي مَن إلى العلم انتسب ؟

شاعِـرَ البَـدْوِ ، ومنهم جاءَنـا ... كلُّ معنًى رَقَّ ، أو لَفْظٍ عَـذُب

قـد جـرت أَلسُنُهُـم صافيـةً ... جرَيـانَ الماءِ فى أَصل الـعُشُب

سَلِمَتْ من عَنَتِ الطبعِ ، ومن ... كُلْفَـةِ الأَقـلام ، أَو حَشْوِ الكُـتُب[4]

---

(*) هو الأستاذ محمد عبد المطلب أستاذ الأدب فى مدرسة دار العلوم كان ينظم الشعر مؤثرا فى نظمه طريقة البادين ، ولذلك كان يلقب بشاعر البدو . وقد توفى سنة ١٩٣١ ، وأقيمت له حفلة تأبين ألقيت فيها هذه القصيدة .

(١) يريد بالوصب : المتعب من مرض أو من علو الهمة .

(٢) الاسترجاع : هو قول : ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ .

(٣) الجيش اللجب : الكثير العدد والعدة .

(٤) العنت : المشقة .

قد نزلتَ اليوم فى باديةٍ ... عَمرت فيها ( امْرَأ القيس ) الحِقَب[١]
ومشى ( المجنونُ ) فيها ساليًا ... نَفَضَ اللَّوْعةَ عنه والوَصَب[٢]
أعِر الناسَ لسانًا ينظموا ... لك فيه الشعرَ أو يُنْشئوا الخُطَب
قُمْ صِف الخُلْدَ لنا فى مُلْكِه ... من جلال الخُلْقِ ، والصُّنْعِ العَجَب
وثمارٍ فى يواقيتِ الرُّبَى ... وسُلافٍ فى أباريق الذهب[٣]
وانثر الشعرَ على الأبرار فى ... قُدُس الساحِ وعُلوِىِّ الرحب
واستعِر ( رضوانَ ) عُودَىْ قَصَبٍ ... وتَرنَّمْ بالقوافى فى القَصَب[٤]
واسْقِ بالمعنى إلٰهيًّا ، كما ... تَتساقَوْنَ الرَّحِيقَ المنسكِب
كلّما سبَّحْتَ للعرشِ به ... رَفعَ الرحْمٰنُ والرُّسلُ الحُجُب
قُمْ تأمّلْ ؛ هذه الدارُ وفى ... لكَ من طُلاَّبها الجمعُ الأرِب[٥]
وفَتِ الدارُ لبانى رُكْنِها ... وقضى الحقَّ بنو الدارِ النُّجُب[٦]
طلبوا العلمَ على شَيخِهُمُ ... زمنًا ، ثم إذا الشيخُ طُلِب
غابَ عن أعينهم ، لكنّه ... ماثلٌ فى كلِّ قلبٍ ، لم يَغِب
صورةٌ مُحْسِنَةٌ ما تختفى ... ومثالٌ طيبٌ ما يحتجِب
رجلُ الواجبِ فى الدنيا مضى ... يُنصِفُ الأخرى ويقضى ما وَجب
عاش عَيْشَ الناسِ فى دنياهُمُ ... وكما قد ذهب الناسُ ذهب
أخذ الدرسَ الذى لُقّنهُ ... عُجَمُ الناسِ قديمًا والعرب

---

(١) امرؤ القيس : الشاعر الجاهلى المعروف .

(٢) المجنون : مجنون ليلى ، من شعراء البادية كامرىء القيس .

(٣) يواقيت الربى : الأكمام المتفتحة بالورد والثمار التى تشبه الياقوت . والسلاف : الخمر .

(٤) رضوان : هو الملك القائم على الجنة . والقصب : المزمار أو الناى الذى يترنم به .

(٥) الجمع الأرب : أى الكثير الحصافة والكياسة والدهاء .

(٦) النجب : جمع نجيب .

# يرثى جدته(*)

خُلِقْنـا للحيـاةِ وللممـاتِ ... ومـن هذيـن كـلُّ الحادثـاتِ
ومَنْ يولَدْ يَعش ويَمُتْ كأن لَّمْ ... يَمُـرَّ خيالُـهُ بالكائنـات
ومَهْـدُ المرءِ فى أيـدى الـروَاق ... كنـعش المرءِ بيـنَ النائحـات(١)
ومـا سَلِمَ الوليـدُ من اشتكـاء ... فهـل يخلـو المعمَّـرُ مـن أذاة ؟(٢)
هـىَ الدنيـا ، قتـالٌ نحن فيـه ... مقـاصدُ للـحُسام وللقَنـاة
وكـلُّ النـاسِ مدفـوعٌ إليـه ... كما دُفِـعَ الجبـانُ إلى الثبـات
نُرَوَّعُ مـا نُـرَوَّعُ ، ثم نُرمَـى ... بسهـمٍ مـن يـدِ المقـدورِ آتى
صلاةُ اللهِ يـا ( تمزارُ ) تجزى ... ثَـراكِ عـن التِّـلاوةِ والصَّلاة
وعن تسعين عامًـا كـنتِ فيها ... مثـالَ المحسنـاتِ الفُضْلَيـات
بَرَزْتِ المؤمناتِ ، فقـال كـلٌّ : ... لعـلكِ أنتِ أمُّ المومنـات
وكانت فى الفضائـل باقيـاتٌ ... وأنتِ اليـومَ كـلُّ الباقيـات
تبنَّـاكِ الملـوكُ . وكـنتِ منهم ... بمنزلـة البـنين أو البنـات
يُظِلُّـون المنـاقبَ مـنكِ شتَّـى ... ويُـؤْوُونَ التُّقَـى والصالحات
وما ملكوكِ فى ( سوقٍ ) . ولكنْ ... لـدى ظـلِّ القَنـا والمرهَفـات

(*) جدته هى المرحومة السيدة « تمزار » معتوقة جنتمكان إبراهيم باشا والى مصر ، وسترى فى القصيدة كيف بلغت الجدة المحترمة تلك المنزلة العالية .

(١) المهد : الموضع يهيأ للطفل . والرواق : جمع راقية ، والراقية عند العرب هى الأم أو نحوها ، تضع التمائم والتعاويذ على الطفل حفظا له من العين أو من الشياطين ، على زعمهم .

(٢) المعمر : هو الذى يمد له فى العمر . يقول فى هذه الأبيات الثلاثة ، إن الدنيا لا ثبات لها ، فالإنسان كأنه لم يوجد ، فالراقيات والنائحات والمهد والنعش والصغر والكبر فى لقاء الأقدار سواء ، فلا شىء يرد الموت ولا يمنع القدر .

عَنَنْتِ لهم ( بمُورَةَ ) بنتَ عشرٍ — وسيفُ الموتِ فى هام الكُمَاةِ[١]
فكنتِ لهم وللرّحمٰن صيدًا — وواسطةً لعِقْدِ المسلمات
تَبِعْتِ محمدًا من بعد عيسى — لخيرِكِ فى سنيكِ الأُولَيَات
فكان الوالدان هدًى وتَقْوَى — وكان الوِلْدُ هذى المعجزات
ولو لم تَظْهرى فى العُرْبِ إلاّ — بأَحمدَ كنتِ خيرَ الوالدات[٢]
تجاوزتِ الولائدَ فاخراتٍ — إلى فخر القبائل واللغات
وأحكم مَنْ تَحكَّمَ فى يَراعٍ — وأبلغِ مَنْ تَبَلَّغَ مِن دَواة
وأبرإِ مَنْ تبرَّأَ من عداءٍ — وأنزهِ مَنْ تنزَّه مِن شَمات
وأصْوَنِ صائنٍ لأخيه عِرْضًا — وأحفظِ حافظٍ عهدَ اللِّدات
وأقتلِ قاتلٍ للدّهرِ خُبْرًا — وأصْبَرِ صابرٍ للغاشيات
كأنى والزمانُ على قتالٍ — مُساجلةً بميدان الحياة[٣]
أخاف إذا تثاقلَت الليالى — وأُشْفِق من خُفوف النائبات
وليس بنافعى حَذَرى ، ولكنْ — إباءً أن أراها باغِتات
أمأمونٌ من الفَلَكِ العوادى — و ( برجَلُهُ ) يَخُطُّ الدائرات ؟

---

(١) عننت لهم .. إلخ : مأخوذة من قولهم « عنّ الصيد للصائد » إذا ظهر . ومورة : علم على صقع بعينه هو الوطن الأول لجدته . والكماة : جمع كمى ، وهو الفارس المدجج بالسلاح . بعد أن قال إن جدته كانت متبناة للملوك بين كيف وقع لها ذلك ، فقال : إنها لاحت للفرسان المغيرين على وطنها ( مورة ) فأخذوها أسيرة حرب . وهى لم تجاوز العاشرة ، وكان هذا لخيرها ، حيث أكرمها الله ، فنشأت مسلمة . ونزلت من الملوك بمنزلة بناتهم .

(٢) أحمد : هو الاسم الشريف لأمير الشعراء ، يقول لجدته فى هذا البيت : إذا لم يكن لك نسب فى العرب إلا ولادتك لى لكنت بهذا خير أمهات العرب . لقد وضع هذا البيت نفسه توأما لبيت المتنبى الذى يخاطب به أمه فيقول :

ولو لم تكونى بنت أكرم والد — لكان أباك الضخم كونك لى أما

(٣) المساجلة فى القتال هى من قولهم : « الحرب سجال يوم لك ويوم عليك » .

تأمَّلْ : هل ترى إلاَّ شِباكًا — من الأيام حَوْلَك مُلْقَيات ؟
ولو أن الجهاتِ خُلقن سبعًا — لكان الموتُ سابعةَ الجهات
لَعًا للنعش ، لا حُبًّا ، ولكنْ — لأَجْلِكِ يا سماءَ المَكْرُمات[1]
ولا خانته أَيدى حامِليه — وَإنْ ساروا بصبرى والأَناة
فلم أَرَ قبله المريخَ مُلْقًى — ولم أَسمع بدفن النيِّرات
هناكَ وَقَفْتُ أَسأَلُكِ اتِّئادًا — وأُمِسكُ بالصفات وبالصَّفاة[2]
وأَنظرُ فى تُرابكِ ، ثم أُغضِى — كما يُغضِى الأَبىُّ على القَذاة
وأَذكر من حياتكِ ما تقضَّى — فكان من الغداة إلى الغداة

●●●

(١) لعا : كلمة دعاء تقال للعاثر ، تقول « لعا له » إذا أردت سلامته و « لا لعا له » إذا أردت غير ذلك .

(٢) الصفاة : الحجر الصلد ، والمقصود بها هنا القبر .

## محمد عبده(*)

مُـفسِّرَ آى الله بـالأمس بيننـا قُـم اليـومَ فسِّرْ للورى آيـةَ الموتِ

رُحِمْتَ ، مَصيرُ العالمينَ كما ترى وكـلُّ هنـاءٍ أو عـزاءٍ إلى فَـوْت

هـو الدهـرُ : ميـلادٌ ، فشغـلٌ ، فمأتـمٌ

فذِكرٌ كما أبقى الصَّدَى ذاهبَ الصَّوت(١)

●●●

(*) هو الأستاذ الإمام محمد عبده مفتى الديار المصرية . توفى سنة ١٩٠٥ ، وقد ظهرت أسمى ملكاته فى فهم وتفسير القرآن الشريف .

(١) يقول : إن الإنسان يشبه الصوت ، وذكره من بعده يشبه الصدى والصدى هو ما يرد على المصوت شبيها بصوته ، ويقال له الرجع أيضا .

# رياض باشا[*]

مَماتٌ فى المواكب ، أم حيـاةُ ... ونعشٌ فى المناكب ، أم عِظاتُ ؟
ويَـوْمُكَ فى البريَّـةِ ، أم قيـامٌ ... وموكـبُكَ الأدلَّـةُ والشِّيـات ؟[1]
وخطْبُكَ يا ( رياضُ ) ، أم الدواهى ... على أنواعهـا والنَّـازلات ؟
يجِلُّ الخَـطبُ فى رجـلٍ جليـلٍ ... وتَكبـرُ فى الكـبير النائبـات
ولـيس الميْتُ تَبكيـه بـلادٌ ... كمـن تَبكـى عليـه النائحـات

* * *

وهـل تَلْقَـى منايـاهـا الـرواسى ... فتَهْـوِى ، ثُـمَّ تُضْمِرهـا فَـلاة ؟[2]
وتُـكْسَرُ فى مراكزهـا العَـوالى ... وتُدْفَنُ فى التـراب المُرْهَفـات ؟[3]
ويُغشَى الليثُ فى الغابات ظُهْرًا ... وكانت لا تَقـرُّ بها الـحَصاة ؟
ويَرْمِى الدهرُ ( نادِىَ عينِ شمسٍ ) ... ولا يَحْمِـى لِواءَهُـم الرُّمـاة ؟[4]
أجَلْ ؛ حُمِلَتْ على النعشِ المعالى ... ووُسِّدَتِ التـرابَ المَكْرُمـات
وحُمِّلَتِ المدافعُ ركنَ سلـمٍ ... يُشيِّعـه الفـوارسُ والـمُشاة
وحَـلَّ المجدُ حُفْرتَـه ، وأمسَى ... يُطِيـف بـه النوائـحُ والبُكـاة

* * *

(*) يقترن تاريخ رياض باشا بتاريخ كبار الحوادث فى مصر منذ الخديو إسماعيل إلى أواخر حكم عباس الثانى تقريبا ، فتاريخه فى الواقع هو تاريخ مصر طيلة هذه الحقبة من الزمن .

(١) الشيات : جمع شية ، وهى العلامة : يشبه يوم ممات رياض بيوم القيامة ، ويشبه جنازته بأشراط وعلامات القيامة .

(٢) الفلاة : الصحراء .

(٣) العوالى : الرماح . والمرهفات : السيوف .

(٤) نادى عين شمس : موضع المؤتمر الذى أقامه أعيان المسلمين ردا على المؤتمر الذى أقامه أعيان القبط فى فترة من خلاف وقع بين الطائفتين المصريتين ، لا أعادها الله .

هَوى عن أَوْج رِفعتِه ( رياضٌ ) وحازَتْـه القـرونُ الخاليـاتُ
كـأَن لم يملإِ الدنيـا فَعـالاً ولا هَتـفَتْ بدولتـه الـرُّواة
نعاه ( البرقُ ) مُضْطرِبًا ، فماجَتْ نجومٌ فى السمـاء مُحلِّقـات
كـأَن الشمسَ قـد نُعِيَتْ عِشاءً إليها فهْـىَ حَسْرى كاسفـات
صحيفـةُ غابرٍ طُـوِيَتْ ، وولَّت على آثـارِ مـن دَرجـوا وفاتـوا
يقـول الآخـرون إذا تَلَوْهـا : كـذلك فَلْيَلِـدْن الأُمَّهـات
جزى اللهُ الرضا أَبوَىْ ( رياضٍ ) هما غـرَسَا وللوطـن النبـات
بنـو الدنيـا على سَفـرٍ عَقيـمٍ وأَسفـارُ النوابـغِ مُرجعـات
أَرى الأَمواتَ يَجمعُهـم نشورٌ وكم بُعِثَ النوابـغُ يـومَ ماتـوا
صلاحُ الأَرضِ أَحيـاءً ومَوْتـى وزينتُهـا وأَنجُمُهـا الهُـداة
قرائحُهـم وأَيـديهم عـليها هـدىً ، ويسارةٌ ، ومُحسنـات
فلـو طُلِـبَتْ لهم دِيَـةٌ لقـالت كنوزُ الأَرضِ : نحن هى الدِّيات

* * *

أَبا الوطن الأَسيفِ ، بكتْكَ مصرُ كما بكَت الأَبَ الكهـفَ البَنـاتُ
قَضَيْتَ لها الحقوقَ فتًى وكهْلا ويـومَ كبـرْتَ وانحَنَتِ القَنـاة
ويـومَ النَّهْـىُ للأُمـراءِ فيها ويـومَ الآمـرون بها الـعُصاة[1]
فكنْتَ على حكـومتها سِراجًـا إذا بَسَطتْ دُجاها المُشْكِلات
يزيد الشيبُ نفسَك مـن حيـاةٍ إذا نـقصَتْ مـع الشيب الحيـاة
وتملؤك السِّنُـونَ قـوًى وعزمًـا إذا قيـل : السِّنـون مُثبِّطـات

(١) يشير إلى أيام الثورة العرابية فى مصر وإلى لون الحكم قبل تلك الثورة .

كسيْفِ الهندِ أَبْلَى حين فُلَّتْ | ورَقَّتْ صَفحتاه والظُّبات[١]
رفيعُ القدرِ بالأَمصار يُرنى | كما نَظرتْ إلى النَّجم السُّراة[٢]
كأنك فى سماءِ المُلكِ ( يحيى ) | وآلك فى السماءِ النيِّرات[٣]
تَسوسُ الأَمرَ، لا يُعطِى نفاذًا | عليك الآمرون ولا النُّهاة
إذا الوزراءُ لم يُعطوا قِيادًا | نبذتهمُ كأَنهمُ النَّواة
زَماعٌ فى انقباضٍ فى اختيالٍ | كذلك كان ( بسمركُ ) الثُّبات[٤]
صِفاتٌ بَلَّغتْك ذُرَى المعالى | كذلك تَرفع الرجلَ الصِّفات
وجدتَ المجدَ فى الدنيا لِواءً | تلقَّاه المقاديمُ الأُباة
ويبقى الناسُ ما داموا رَعايا | ويبقى المُقدِمون همُ الرُّعاة

* * *

(رياضُ) ، طَوَيْتَ قرْنًا ما طوَتْه | مع (المأْمون) (دِجْلةُ) و (الفرات)[٥]
تمنَّت منه أَيامًا تحلَّى | بها الدُّوَلُ الخوالى الباذخات
ووَدَّ ( القيصران ) لَوَ انَّ ( روما ) | عليها من حَضارته سِمات[٦]
حَباكَ اللهُ ( حاشِيَتَيْهِ ) عُمْرًا | وأَعمارُ الكرام مُبارَكات
فقمتَ عليه تجرِبةً وخُبْرًا | ومدرسةُ الرجال التجرِبات
تمرُّ عليك كالآيات تَتْرَى | صنائعُ أَهلهِ والمحدَثات

---

(١) الظبات جمع ظبة — بضم الظاء — حد السيف .

(٢) السراة — بضم السين — : جمع سارى ، ولا يكون السرى إلا للمشى بالليل .

(٣) يحيى : هو يحيى البرمكى وزير هارون الرشيد .

(٤) بسمرك : وزير ألمانى ضرب مثلا فى الحنكة والمهارة والسياسة . والزماع : الذى يزمع الأمر فى جرأة وإقدام ثم لا ينثنى .

(٥) المأمون : هو المأمون العباسى ودجلة والفرات : نهران بالعراق .

(٦) سمات : علامات .

فأدركتَ ( البخارَ ) وكان طفلاً　　فشبَّ ، فبايعَتْــه الصافِنــات[١]
تُجاب على جناحَيْـه الفيـافى　　وتحكـم فى الريــاح المنشآت
ويُصعَد فى السماءِ على ( بروج )　　غـدًا هى فى العوالم بارِجـات[٢]
وبَيْنـا الكهرُبـاءُ تُعَـدُّ خرقًـا　　إذا هى كـلَّ يـومٍ خارقـات
ودان البحرُ حتى خِيضَ عُمقًـا　　وقِيـدَتْ بالعِنـان السافيـات[٣]
وبُلِّـغَت الرسائـلُ ، لا جَنـاحٌ　　يَجـوب بها البحـارَ ، ولا أداة
كأن القُطرَ حين يُجيب قُطـرًا　　ضمائـرُ بـينها مُتناجِيـات

* * *

رَهيـنَ الرَّمْسِ ، حدِّثنى مَلِيًّـا　　حديثَ الموتِ تبْدُ لِىَ العِظـات[٤]
هـو الخبـرُ اليقيـنُ ، ومـا سواه　　أحـاديثُ المُنـى والتُّرَّهـات[٥]
سألْتُكَ : ما المنِيَّةُ ؟ أىُّ كأسٍ ؟　　وكيف مَذاقُها ؟ ومَن السُّقاة ؟
ومـاذا يُـوجِس الإنسانُ منها　　إذا غَصَّت بعلْقَمهـا اللَّهـاة ؟[٦]
وأىُّ المَصرَعَيْنِ أشدُّ : مـوتٌ　　على عِلْمٍ ، أم الموتُ الفَوات ؟[٧]
وهـل تقـع النفـوسُ على أمـانٍ　　كما وقعَتْ على ( الحرمِ ) القطاة ؟[٨]

---

(١) الصافنات : الخيل .
(٢) يريد بالبروج : الطائرات .
(٣) العنان الزمام ، والسافيات : الرياح .
(٤) الرمس : القبر .
(٥) الترهات : جمع ترهة ، بتشديد الراء مفتوحة ، وهى الباطل .
(٦) اللهاة — بفتح اللام — اللحمة المشرفة على الحلق من أقصى الفم .
(٧) الموت الفوات : الموت المفاجىء .
(٨) القطاة : الحمام ، أو طير يشبه الحمام ، ويقصد بالحرم : الحرم المكى حيث يحرم صيد الطيور اللائذة به .

وتَخْلُد أم كزعم القول تَبْلَى | كما تبلَى العِظامُ أو الرُّفات ؟
تعالى اللهُ قابضُها إليه | وناعِشُها كما انتعش النبات
وجازيها النعيمَ حِمىً أَمينًا | وعيشًا لا تُكدِّره أذاة
أَمثْلُك ضائقٌ بالحقِّ ذَرْعًا | وفى بُرْدَيْك كان له حماة ؟[1]
أَليس الحقُّ أن العيشَ فانٍ | وأن الحىَّ غايتُه المماتُ ؟
فنَمْ ما شِئْت ، لا تُوحِشْكَ دنيا | ولا يَحْزُنْكَ من عيشٍ فَوات
تصرَّمَت الشبيبةُ والليالى | وغاب الأَهلُ ، واحتجت اللَّذات
خَلَتْ ( حِلْمِيَّةٌ ) ممَّن بناها | فكيف البيتُ حولك والبنات ؟[2]
أَفيه من ( المحلة ) قوتُ يوم | ومن نِعمٍ مَلأْنَ ( الطوْدَ ) شاة ؟[3]
وهل لك من حريرهما وِسَادٌ | إذا خَشُنَتْ لجنبَيْك الصَّفاة ؟[4]
تَولَّى الكلُّ ، لم ينفعك منه | سوى ما كان يَلتقِط العُفاة
عِبادُ اللهِ أَكرمُهم عليه | كِرامٌ فى بَرِيَّته ، أُساة
كمائدةِ المسيحِ ، يقوم بُؤْسٌ | حواليها ، وتَقعُد بائسات
أَخذتُكَ فى الحياةِ على هَناتٍ | وأَىُّ الناس ليس له هَنات ؟[5]
فصفحًا فى الترابِ إذا التقينا | ولُوشِيَتِ العداوةُ والتِّرات

---

(١) حماة : جمع حام ، وهو المدافع والمانع من العدوان ، والحامى : الأسد لحمايته عرينه .

(٢) الحلمية : حيث كانت دار الفقيد . وقوله : « وكيف البيت حولك والبنات » : يسأله عن حاله فى القبر وعن زاده هناك .

(٣) المحلة : محلة روح قرية فى إقليم الغربية بمصر ، حيث كانت توجد أملاك الفقيد الواسعة .

(٤) الصفاة : الحجر والمقصود به هنا القبر .

(٥) الهنات : جمع هنة ، وهى الشىء الصغير ، وقد تعرف أسباب تلك الهنات من قصيدة مطبوعة فى الجزء الأول من الشوقيات .

خُلِقتُ كأنَّنى (عيسى) ، حرامٌ ... على قلبى الضَّغِينةُ والشَّمات
يُساءُ إلَّى أحيانًا ، فأمضى ... كريمًا ، لا أقوت كما أقات
وعندى للرجال — وإن تجافَوْا — ... مَنازِلُ فى الحفاوَة لا تُفات

* * *

طلعْتَ على (النَّدِىِّ) (بعين شمسٍ) ... فوافَتْها بشمسَيْنِ الغداة
على ما كان يَندو القومُ فيها ... توافَى الجمعُ وائْتمر السَّراة[1]
تملَّكهم وقارُك فى خشوعٍ ... كما نظَمَتْ مُقيمَيها الصَّلاة
رأيتَ وُجوهَ قومِك كيف جَلَّتْ ... وكيف تَرعرعَتْ مصرُ الفتاة
أُجيلَ الرأىُ بين يديك حتى ... تبيَّنَت الرَّزانةُ والحَصاة[2]
وأنتَ على أعِنَّتهم قديرٌ ... وهم بك فى الذى تقْضِى حُفاة[3]
إذا أبدى الشبابُ هَوىً وزَهْوًا ... أشار إليه حِلْمُكَ والأناة
فهلاَّ قُمْتَ فى النادى خطيبًا ... لك الكَلِمُ الكبارُ الخالدات ؟
تُفَجِّر حكمةَ (التسعين) فيه ... فآذانُ الشَّبيبةِ صاديات ؟[4]
تقول : متى أرى (الجيرانَ) عادوا ... وَضَمٌّ على الإخاءِ لهم شَتات ؟[5]
وأين أُولو النُّهى مِنَّا ومنهم ... عسى يَأْسُون ما جرح الغُلاة ؟[6]

---

(١) يندو القوم : إذا اجتمعوا ليتشاوروا فى ناديهم . والسراة : جمع سرى ، وهو السيد الشريف .

(٢) الحصاة : العقل والرأى .

(٣) الحفاة : جمع حفى ، وهو هنا بمعنى العالم يتعلم باستقصاء . قال الله تعالى ﴿ كأنك حفى عنها ﴾ ، أى سائل عنها باستقصاء .

(٤) التسعين : هى مدة عمر الفقيد . وصاديات ، أى ظامئات .

(٥) الجيران : هم القبط والمسلمون فى مصر .

(٦) الغلاة : هم البالغون حد الإفراط فى عقائدهم وآرائهم .

مَشَتْ بين الـــعشيرة رُسْلُ شرٍّ    وفَـــرَّقَت الظْنـــونَ السَّيِّئـــات

إذا الثقةُ اضمحـلَّتْ بين قـــومٍ    تمزَّقَت الرَّوابـــــطُ والصِّلات

فثِقْ ، فعسى الذين ارتَـبْت فيهم    على الأَيـــام إخـــوانٌ ثِقـــات

وربَّ مُحـبَّبٍ لا صبـرَ عنـــه    بَـــدَتْ لك فى مَحبَّتــه بَــــداة[1]

ومكـروهٍ على أَخَـــذاتِ ظَـــنٍّ    تُحبِّبُــه إلــيك التجرِبـــات

بنى الأَوطان ، هبّوا ، ثم هبّــوا    فبعضُ الموتِ يَجلبـه السُّبــات[2]

مشى للمجدِ خَطْفَ البرقِ قــومٌ    ونحن إذا مشينـا ( السلحفـــاة )

يُعِـــدّون القُـــوَى بـــرًّا وبحرًا    وعُدّتُنـــا الأَمانِـــى الكاذبـــات

●●●

(١) البداة ، من قولهم : بدا لى فى هذا الأمر بداء ، أى ظهر لى فيه شيء .

(٢) السبات : النوم ، وأصله الراحة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وجعلنا نومكم سباتا ﴾ .

# عثمان باشا غالب(*)

ضجَّتْ لمصرَعِ ( غـالبٍ ) … فى الأرضِ ( مملكةُ النباتِ )
أمستْ ( بتيجانٍ ) عليـ … ـه من الحِداد مُنكَّسات[1]
قامت على ( ساقٍ ) لغيـ … ـبته ، وأقعدت الجهات
فى مأتمٍ تَلْقَى الطبيعـ … ـةَ فيه بين النائحات
وترى ( نجومَ الأرضِ ) من … جزعٍ مَوائِدَ كاسفات
والزَّهـرُ فى ( أكمامه ) … يَبكى بدمع الغاديات
وشَقائقُ النُّعمانِ آ … بَتْ بالخدودِ مُخَمَّشات[2]
أما مُصابُ الطبِّ فيـ … ـه فسَلْ بـه مَلأَ الأُساةِ[3]
أوْدَى الحِمامُ بشيخهم … ومَـآبِهم فى المعضلات
مُلْقِى الدروس المُسْفِرا … تِ عن الغُروس المُثمِرات
قد كان حَرْبَ الظلمِ ، حر … بَ الجهلِ ، حربَ التُّرهات
والمُستضاءَ بنوره … فى الخافيات المظلمات
عَلَمُ الورَى فى عِلْمه … فى الغربِ مُغْتَربُ الرُّفات

---

(*) عثمان باشا غالب : كان طبيبا عظيما وعالما بالنبات يشار إليه بالبنان ، توفى فى باريس سنة ١٩٢٠ .

(١) التيجان للنبات : هى أكاليل الثمار ، كالأكمام .

(٢) شقائق : جمع شقيقة ، وهى الموضع ينبت الأعشاب ، وشقائق النعمان موضع بعينه كثر فيه النبات المختلف الألوان والشيات ، مر عليه النعمان بن المنذر فأعجبه ، فقال : هو لى ، فلم يعد أحد يمسه ، ومن ذلك سمى شقائق النعمان ، وصار كل موضع ينبت مثل ذلك يقال له : شقائق النعمان ، والخدود فى شقائق النعمان يقصد بها الورد ، وتخميشها : يعنى لطمها أو قطعها .

(٣) الملأ : الجماعة من الناس . والأساة جمع آسى : وهو الطيب .

قــــد كان فيـــــه محلُّ | إجـلالِ الجهابـذةِ الثقــات
ومُمَثِّـــــــلَ المصرىِّ فى | حظِّ الشعوبِ من الهِبـات
قل للمُـريب : إلـيكَ ، لا | تأْخـــذْ على الحرّ الهنـــات
إن النوابـغَ ( أهـــلَ بَـــدْ | رٍ ) مـا لهم مــن سيئـــات[1]
هــم فى عُـلا الوطــنِ الأدا | ةُ فـلا تَحُــطَّ مِــن الأداة
وهـمُ الألَى جمعـوا الضمــا | ئـرَ والعـزائم مـن شَتـات
لهم التَّجِلَّــــةُ فى الحيــــا | ةِ ، وفـوق ذلك فى الممـات
( عثمانُ ) ، قُمْ تــرَ آيــــةً | اللهُ أحيــا ( المومـيـــات )
خــرجَتْ بَنِيــنَ مــن الثرى | وتحرّكَتْ منـــــه بَنـــاتِ
واسمَـــعْ بمصر الهاتفـــــ | ـين بمجدهـــا والهاتفـــات
والطالـــبين لحقهــــا | بيــنَ السَّكِينـةِ والثبـات
والجاعــــليها قِبْلـــةً | عنــدَ الترنُّـــمِ والصّلاة[2]
لاقَــــوْا أُبوّتَهـــم على | غُــرِّ المنــاقبِ والصفـات
حتــى الشبــابُ تراهُــمُ | غلبوا الشيـوخَ على الأنــاة
وزنـوا الرجـالَ ، فكـان مـا | أعْطَـوْا على قـدر الزِّنـــات[3]
قــلْ للمُغالِـطِ فى الحقـا | ئــق حــاضرٍ منها وآت
الفكـــرُ جـــاءَ رسولُـــه | وأتى بإحـــدى المعجـــزات
عــيسى الشُّعـورِ إذا مشى | ردّ الشعــوبَ إلى الحيـــاة

---

(١) أهل بدر : هم أول الغزاة مع محمد ﷺ ، شبه النوابغ بهم ، ووجه الشبه بينهما ، هو سبق كل منهما لإحراز أسمى مراتب الشرف والرفعة . نقول : وهذا نوع من وجه الشبه لم نر شاعرا فطن إليه قبل شوقى حياه الله .

(٢) الترنم : أحد ضروب العبادة فى المسيحية ، كالصلاة عند المسلمين .

(٣) الزنات : جمع زنة ( كعدة ) وهى المرة من الوزن .

# عبد الحى(*)

طُوِىَ البِساطُ وجَفَّت الأَقْـداحُ     وغدَتْ عواطلَ بعدكَ الأَفـراحُ[١]
وٱنفضّ نـادٍ بـالشآم ، وسامـرٌ     فى مصرَ أَنت هَـزارُه الصَّدَّاح[٢]
وتَقوَّضَتْ للفن أَطْولُ سَرْحةٍ     يُغْـدَى إلى أَفيائهـا ويُـراح[٣]
والله مـا أَدرى وأَنتَ وحيـدُه     أَعليه يُبْكى ، أَم عليك يُنـاح ؟
( إسحاقُ ) مات ، فلا صَبُوحَ ، و ( مَعْبَدٌ )
أَوْدَى ، فلـيس مـع الغبـوقِ فَـلاح[٤]
مَلِكُ الغِناءِ أَزاله عـن تختِـهِ     قَـدَرٌ يُزيـل الراسيـاتِ مُتـاح
فى التُّرب فوقَ (بنى سويفَ) يتيمةٌ     ومن الجواهر زَيِّـفٌ وصِحـاح[٥]
مـا زال تـاجُ الفـن تيّاهًـا بها     حتى استبدّ بها الردَى المُجتـاح
لـو تستطيـع كرامـةً لمكـانها     مَشَتِ الريـاضُ إليـه والأَدْواح

* * *

رُحْماكَ (عبدَ الحىِّ) ؛ أُمُّكَ شَيْخَةٌ     قعدَتْ ، وهِيضَ لها الغَداةَ جَناح

---

(*) هو المرحوم عبد الحى المغنى ، ذاع صيته فى مصر وجاوزها إلى الأقطار العربية حتى عد وحيد عصره وإمام فنه . توفى سنة ١٩١٢ م .

(١) طوى البساط : تعبير يكنى به عن انتهاء عوامل السرور .

(٢) الهزار : طائر حسن الصوت ، وهو فارسى ، معرب هزار دستان .

(٣) السرحة : الشجرة العظيمة . والأفياء : جمع فىء ، وهو — من الشجر — الظل .

(٤) إسحاق ومعبد : علمان على مغنيين . والصبوح : الشرب أول الصباح . والغبوق . الشرب بالعشى .

(٥) دفن الفقيد فى بنى سويف وهى بلدة مشهورة بالقطر المصرى . والجواهر الزائفة ، هى ضد الجواهر الصادقة الصحيحة .

كُسِرَتْ عَصاها اليومَ، فَهْيَ بلا عصًا ... وقَضى فَتاها الأَجْوَدُ المِسْماح

اللهُ يعلم ، إن يَكُنْ فى قلبها ... جُرحٌ ففى أَحشاءِ مصرَ جِراح

والناسُ مَبْكِيٌّ وباكٍ إثْرَهُ ... وبُكا الشعوبِ إذا النوابغُ طاحوا

كان الندامَى إن شَدَوْتَ وعاقروا ... سِيّانِ صوتُك بينهم والراح[1]

فيما تقول مُغنِّيًا ومُحدِّثًا ... تتنافس الأَسماعُ والأَرواح[2]

فارقتَ دنيا أَرهقَتْكَ خَسارةً ... وغنِمْتَ قُرْبَ اللهِ وهو رَباح

يا مُخلِفًا للوعد ، وَعْدُك ماله ... عندى ولا لك فى الضمير بَراح

عَبَثَتْ به وبكَ المنيَّةُ ، وانقضى ... سببٌ إليه بأُنْسِنا نَرتاح

لما بلغنا بالأَحِبّةِ والمنى ... بابَ السرورِ تغيَّب المفتاح

زعموا نَعِيَّكَ فى المجامع مازحًا ... هَيْهاتَ ! فى رَيْبِ المَنونِ مِزاح

الجِدُّ غايةُ كلِّ لاهٍ لاعبٍ ... عندَ المنيَّةِ يَجزع المِفراح[3]

رَمَت المنايا إذ رمَيْنَك بُلْبُلا ... أَرداه فى شَرَكِ الحياةِ جِماح

آهاتُه حُرَقُ الغرامِ ، ولفظُه ... سجعُ الحَمام لَوَ آنَّهُنَّ فِصاح

وذَبَحْنَ حَنْجَرةً على أَوتارها ... تُؤسَى الجِراحُ ، وتُذْبَحُ الأَتراح

وفَلَلْنَ من ذاك اللسان حديدةً ... يَخشى لئيمٌ بأسَها ووقاح

وأَبحْنَ راحتَك البِلَى ، ولطالما ... أَمسى عليها المالُ وَهْوَ مُباح

روحٌ تناهتْ خِفَّةً فتخيَّرتْ ... نُزُلاً تَقاصَرُ دونه الأَشباح

قُمْ غنِّ وِلْدانَ الجِنانِ وَحُورَها ... وابعثْ صَداك فكلُّنا أَرواح

●●●

---

(١) الندامي : جمع نديم . وعاقروا : من المعاقرة ، وهى شرب الراح . والراح : الخمر ، يشبه صوته بالخمر لأن كليهما مسكر .

(٢) يقول : إن حديثه كان مثل غنائه . والمأثور عن عبد الحى أنه كان فكه الحديث بارع النكتة .

(٣) المفراح : كثير الفرح .

# محمد ثابت باشا(*)

سِرْ أَبا صالحٍ إلى الله واتـرك ... مصرَ فى مأتـمٍ وحـزنٍ شديـد
هـذه غايـةُ النفـوسِ ، وهـذا ... مُنتهَى العـيشِ مُـرِّهِ والرَّغيـد
هل ترى النـاسَ فى طريـقك إلاَّ ... نَعْشَ كَهْلٍ تَلاه نـعشُ الوَليـد ؟
إنّ أوهَـى الخيـوطِ فيمـا بـدا لى ... خَيْـطُ عـيشٍ مُعلَّـقٌ بالوريـد(١)
مُضْغَـةٌ بيـنَ خفْقَـةٍ وسُكـونٍ ... ودَمٌ بيـنَ جَرْيَـةٍ وجُمـود
أَنزلوا فى الثرى الوزيـرَ ، ووارَوْا ... فيـه تسعين حِجَّـةً فى صُعـود
كـنتَ فيها على يَـدٍ مـن حريـر ... لِلَّيـالى ، فأَصبحَتْ من حَديـد(٢)
قـد بلونـاك فى الريـاسة حينًـا ... فبلَوْنـا الوزيـرَ عبـدَ الحميـد(٣)
آخـذًا مـن لسانِ فـارسَ قِسْطًـا ... وافرَ القسْمِ مـن لسان لَبِيـد(٤)
فى ظـلال الملوكِ ، تُدْنِـى إليهم ... كـلَّ آوٍ لظـلِّكَ الممـدود
لستَ مَـنْ مَـرَّ بالمعـالم مَـرًّا ... إنما أَنت دولـةٌ فى فقيـد
قُمْ فحدِّثْ عن السنين الخَـوالى ... وفُتـوحِ المُمَلَّـكِين الصِّيـد(٥)

---

(*) هو أحد باشوات مصر الكبار ، عاصر أكثر ولاة مصر من الأسرة العلوية ، وتوفى سنة ١٩٠١ بعد أن عمر حوالى تسعين عاما .

(١) الوريد : شريان بكسر الشين ، وهو عرق رئيسى فى جسم الإنسان ، يشبه العروق فى جسم الإنسان بالخيوط ، ليتوصل بذلك إلى إثبات ضرورة الضعف فى الحياة وعدم بقائها .

(٢) يد من حرير : كناية عن رفاهية العيش .

(٣) بلوناك فى الرياسة : أى اختبرناك . والوزير عبد الحميد : هو عبد الحميد الكاتب المشهور .

(٤) القسم : هو العطاء أو الحظ . ولبيد : شاعر عربى قديم . والغرض أن المرثى كان ملما بالفارسية والعربية .

(٥) الصيد جمع أصيد ، وهو العزيز الجانب .

والـذى مَرَّ بيـنَ حـالٍ قديـمٍ ... أنتَ أدرَى بـه وحـالٍ جديـد

وصِف العزَّ فى زمـان ( علـىٍّ ) ... واذكـر اليُمْـنَ فى زمـان سعيـد[1]

كيـف أسْطولُهـم على كل بحرٍ ... وسَراياهُـمُ على كـلِّ بِيـدِ ؟[2]

قـد توَلَّـوْا وخلَّفـوك وفِيًّـا ... فى زمـانٍ على الوَفِـىِّ شديـد

فالْحَقِ اليومَ بالكـرام كريمًـا ... والْقَهـم بيـنَ جَنَّـةٍ وخُلـود

وتقبَّـلْ وداعَ بـاكٍ على فقـ ... ـدك ، وافِ لعهـدك المحمـود

●●●

(١) يريد زمان محمد على الكبير ، ورفاهة العيش فى زمن الخديو سعيد باشا .

(٢) السرايا : جمع سرية ــ بالياء المشددة مفتوحة ــ وهى القطعة من الجيش لا يزيد عددها عن الأربعمائة . والبيد : جمع بيداء ، وهى الصحراء .

# محمد فريد بك[*]

كــلُّ حَــيٍّ على المنيّــة غــادى — تتوالى الــركابُ والموتُ حــادى[(١)]

ذهب الأوّلــونَ قَرْنًــا فقرْنًــا — لم يدُمْ حاضرٌ ، ولم يَبْقَ بــادى[(٢)]

هـل تـرى منهُـمُ وتَسمـعُ عنهم — غيــرَ بــاقى مآثــرٍ وأيــادى ؟[(٣)]

كُرَةُ الأرضِ كم رَمَتْ صَوْلَجانًا — وطـوَتْ مــن مــلاعبٍ وجِيــاد

والغبــارُ الــذى على صفحتَيْهــا — دَورانُ الرَّحَـــى على الأجساد[(٤)]

كلُّ قبر من جانب القَفْرِ يبـدو — عَلَـمَ الحقِّ ، أو منــارَ المَعَـــاد

وزِمـامُ الـرِّكابِ مـن كـلِّ فَــجٍّ — ومَحَـطُّ الرِّحـالِ مـن كل وادى

تطلع الشمسُ حيث تطلع نَضْخًا — وتَنَحَّــى كمِنْجَــل الــحَصّاد[(٥)]

تـلك حمراءُ فى السمـاءِ ، وهــذا — أعوجُ النَّصْلِ مِنْ مِراس الجِـلاد

لــيت شعــرى تعمَّــدَا وأصرّا — أم أعانــا جنايــة الميــلاد

كذب ( الأزهرانِ ) ؛ ما الأمرُ إلاّ — قــدَرٌ رائــحٌ بما شاءَ غــادى[(٦)]

---

(*) محمد بك فريد : الرئيس الثانى للحزب الوطنى ، وهو الضحية الغالية للوطنية المصرية ، فقد ورث عن والده ثروة طائلة جدا ، بذلها إلى آخر درهم فى سبيل طلب الاستقلال لمصر والسودان ، وظل يجاهد إلى أن مات معدما فقيرا فى سنة ١٩٢٠ ، محكوما عليه بالنفى والتشريد ، حيث لم يسمح له بالعودة إلى وطنه إلا ميتا .

(١) الحادى : هو الذى يغنى للقافلة فتنشط فى مسيرها .

(٢) الحاضر : ساكن الحضر ، والبادى : ساكن البادية .

(٣) الأيادى : جمع يد ، ويقصد باليد ، العطية أو الصنيعة ، ولا تجمع اليد على أيادى إلا بهذا المعنى ، فإذا أريد جمع اليد الحقيقية قيل : أيدى .

(٤) المفهوم من المقام أن الرحى المقصودة هى رحى المنون ، فاكتفى بتعريفها بأل . كأنه يقول : الرحى المعهودة .

(٥) قوله : وتنحى كمنجل الحصاد ، أى هلالا شكله كالمنجل فى اعوجاجه .

(٦) الأزهران : الشمس والقمر .

يا حَمامًا ترنَّمَتْ مُسْعِداتٍ وبها فاقةٌ إلى الإسعاد[١]
ضاق عن ثُكْلِها البُكا ، فتغنَّتْ رُبَّ ثُكْلٍ سمِعْتَه من شادى[٢]
الأَناةَ الأَناةَ ؛ كلُّ أَليفٍ سابقُ الإلْفِ ، أو مُلاقِى انفراد
هل رَجَعْتُنَّ فى الحياة لفَهْمٍ ؟ إن فهمَ الأُمورِ نِصفُ السَّداد
سَقمٌ من سلامةٍ ، وعزاءٌ من هناءٍ ، وفُرقَةٌ من وِداد
يُجْتَنَى شهدُها على إبَرِ النحـ ـلِ ، ويُمْشَى لورْدِها فى القَتاد[٣]
وعلى نائمٍ وسَهْرانَ فيها أَجَلٌ لا يَنامُ بالمِرْصاد
( لُبَدٌ ) صادَه الرَّدَى ، وأَظنّ النَّسْـ ـرَ من سَهمِه على ميعاد[٤]
ساقةَ النَّعْشِ بالرئيس ، رُوَيْدًا مَوْكِبُ الموتِ مَوْضِعُ الإتِّئاد[٥]
كلُّ أَعوادِ مِنبر وسريرٍ باطلٌ غيرَ هذه الأَعواد
تستريح المطِىُّ يومًا ، وهٰذى تنقلُ العالَمين من عهد عادِ
لا وراءَ الجيادِ زِيدَتْ جلالاً منذ كانت ولا على الأَجياد
أَسأَلتم حَقِيبةَ الموتِ : ماذا تحتَها من ذخيرةٍ وعَتاد ؟
إنّ فى طَيِّها إمامَ صُفوفٍ وحَوارِىَّ نِيَّةٍ واعتقاد[٦]
لو تركتم لها الزِّمامَ لجاءَت وحدَها بالشهيد دارَ الرشاد

---

(١) الإسعاد : الإعانة ، تقول : أسعدنى على كذا ، أى أعنى عليه .

(٢) الثكل هنا : بمعنى الحزن . والشادى : المغنى .

(٣) القتاد : شجر صلب له شوك كالإبرة .

(٤) لبد ، بضم اللام وفتح الباء : علم على آخر نسور لقمان ، زعموا أن لقمان هذا عاش عمر سبعة أنسر ، كان آخرها النسر المسمى : لبد ، أما قوله « وأظن النسر » فليس المقصود الطائر المعروف بالنسر ، وإنما يقصد أحد الكواكب فى السماء معروفا باسم النسر ، يقول إن لكل كائن سهم من المنية مقدور .

(٥) ساقة الجيش أو ساقة النعش : هم السائرون فى المقدمة . والاتئاد : بمعنى الترفق والتمهل .

(٦) الحوارى : مفرد الحواريين ، وهم الصفوة المختارة من الصحاب .

انظروا ، هل تَرَوْنَ فى الجمعِ مصرًا　　حاسرًا قد تجلَّلتْ بسواد ؟
تاجُ أحرارِها غُلامًا وكهلاً　　راعَها أن تراه فى الأَصفاد
وسِّدُوه الترابَ نِضْوَ سِفارٍ　　فى سبيلِ الحقوقِ نِضْوَ سُهاد[1]
واركزوه إلى القيامة رُمْحًا　　كان للحَشْدِ ، والنَّدَى ، والطِّراد
وأَقِرُّوه فى الصفائح عَضْبًا　　لم يَدِنْ بالقَرار فى الأَغمادِ
نازحَ الدارِ ، أَقْصَرَ اليومَ بَيْنٌ　　وانتَهَتْ مِحْنَةٌ ، وكفَّتْ عوادى[2]
وكفَى الموتُ ما تخاف وترجو　　وشَفَى من أَصادقٍ وأَعادى
مَن دَنا أَو نأَى فإنَّ المنايا　　غايةُ القربِ أَو قُصارَى البِعاد
سِرْ مَعَ العمرِ حيثُ شِئْتَ تَئُوبا　　وافقد العمر لا تَؤُبْ من رُقاد
ذلك الحقُّ لا الذى زعموه　　فى قديمٍ من الحديث مُعاد
وجرى لفظُه على أَلسُنِ النا　　سِ ، ومعناه فى صدور الصِّعاد[3]
يَتحلَّى به القوىُّ ولكنْ　　كتحلِّى القتالِ باسم الجهاد
هل تَرى كالترابِ أَحسنَ عدلاً　　وقيامًا على حقوق العباد ؟[4]
نزل الأَقوياءُ فيه على الضّعْـ　　ـفَى ، وحلَّ الملوكُ بالزُّهَّاد
صفحاتٌ نَقِيَّةٌ كقلوب الرُّسْـ　　ـلِ ، مَغسولةٌ من الأَحقاد
قُمْ إنِ اسْطَعْتَ من سريرك ، وانظر　　سِرَّ ذاك اللواءِ فى الأَجناد
هل تَراهم وأَنتَ مُوفٍ عليهم　　غيرَ بُنْيانِ أُلْفَةٍ واتِّحاد ؟[5]

---

(١) النضو : المهزول الجسم .

(٢) عوادى الدهر : عوائقه .

(٣) الصعاد : الرماح .

(٤) يقول : إنه لم يجد الحق خالصا فى هذه الأرض إلا للقوة ، ولم يجد العدل كاملا إلا فى التراب ، حيث يسوى الأقوياء بالضعفاء ، والطامعين بالقانعين .

(٥) يشير هذا البيت إلى حقيقة تاريخية ، هى أن عودة الفقيد ميتا كانت فى زمن اتحاد الأمة المصرية جميعا على طلب الاستقلال التام ، فلم يكن هناك أحزاب مختلفة المطالب وقتئذ .

أمةٌ هُيِّئَتْ وقـومٌ لخير الدّهْـــ ـــرِ أو شرِّه على استعـــداد
مصرُ تبكى عليك فى كل خِـذْرٍ وتَصوغُ الرثـاءَ فى كل نـــادى
لـــو تأمّلْتَهـــا لـــراعَك منها غُــرَّةُ البــرِّ فى سَوادِ الحِـــداد
مُنْتهَى مـا بـه البـلادُ تُعـزَّى رجُـلٌ مـات فى سبيـل البـلاد
أمّهـاتٌ لا تحمـــل الثُّكــلَ إلا للنجـــيب الجرىءِ فى الأولاد
( كفريدٍ ) ، وأين ثانى فريـدٍ ؟ أىُّ ثـــانٍ لواحـــدِ الآحـــاد ؟
الرئـيسِ الجوادِ فيمـــا علمنـــا وبَلوْنـا وابـنِ الرئـــيسِ الجواد ؟
أكـلَتْ مالَـهُ الحقـــوقُ ، وأبلى جِسمَـهُ عائـدٌ مـن الهمِّ عـادى
لك فى ذلك الضَّنَى رِقَّةُ الــرو ح ، وخَفْقُ الفــوادِ فى العُـوَّاد
عِلَّــةٌ لم تَصِلْ فِـراشَك حتـــى وطِـئتْ فى القلـوب والأكبـاد
صادفَتْ قُرْحَـةً يُلائمهـا الصبـــ ـــرُ ، وتأبَى عليه غيرَ الـفساد
وعَـدَ الدهـرُ أن يكـون ضِمـادًا لك فيها ، فكـــان شرَّ ضِمـــاد
وإذا الرُّوح لم تُنَفِّسْ عـن الجســ ـــم (فبقـراطُ ) نافـخٌ فى رَمـــاد[1]

●●●

(١) بقراط : هو أبو الطب ، كما يقولون .

# البنون والحياة الدنيا(*)

الضلـــوعُ تتّقـــدُ    والدمـــوعُ تطّـــرِدُ
أيُّهـا الشَّجِـىُّ ، أفِـقْ    مـن عَنـاءِ مـا تجد
قـد جـرتْ لغـايتها    عَبْـرَةٌ لها أمـــد
كـلُّ مُسْرِفٍ جَزَعًـا    أو بُكــىً ؛ سيَقْـتَصِد
والزمـــانُ سُنّتُـــه    فى السُّلُـــوِّ يجتهد
قـل لثاكِلَيْـنِ مشَى    فى قـواهما الكَمَـد
لم يُعـافَ قبلَكمـا    والـدٌ ، ولا وَلَـد
الذيـن مِيـلَ بهم    فى سِفَارِهـم بَعُـدُوا
مـا علمنـا أشَقُـوا    بالرحيـل أم سَعِـدوا ؟
إن منـزلاً نزلـوا    لا يَـرُدُّ مَـن يَـرِد
كلُّنـا إليـه غـدًا    لـيس بالبعيـد غـدُ

* * *

البنـونَ هـم دَمُنـا    والحيـاةُ والـوُرُد (١)
لا تَلَـدُّ مثلَهـم    مُهْجَـةٌ ، ولا كَبِـد
يستـوون واجِدُهـم    — فى الحنان — والعَدَد
زينـةٌ ، ومصلحـةٌ    واستراحـةٌ ، ودَدْ (٢)

---

(*) نظم أمير الشعراء هذه القصيدة تعزية للكاتب الكبير الدكتور محمد حسين هيكل « بك » فى فقد وحيده سنة ١٩٣٥ .

(١) الورد : جمع وريد ، كبريد وبرد .

(٢) الدد — بالفتح — اللهو واللعب .

فتنـــةٌ إذا صَلحـــوا مِحْنــــــةٌ إذا فسدوا
شاغـــلٌ إذا مَـــرِضوا فاجــــعٌ إذا فُقِـــدوا
جُرحُهـــم إذا انتُزِعـــوا لا تَلمُّـــه الضُّمـــدُ
العـــزاءُ لـــيس لـــه آسِيًـــا ، ولا الجَلَـــد

* * *

قـل ( لِهيكـلِ ) كَلِمًـا مـــن ورائهَـــا رَشَد
لم يَشُبْ مهذَّبَهــــا باطـــلٌ ولا فَنَـــد [1]
قـد عَجِبْتُ مِـن قَلَـمٍ ثاكـــلٍ ويَنْجَـــرِد
أنتَ لـــيثُ معركـــةٍ وهـــو صارمٌ فَـــرَد
والسيـــوفُ نَخْوَتُهـــا فى الوَطِـــيس تَتَّقِـــد [2]
أنت ناقـــدٌ أرِبٌ والأريبُ ينتقــــد
مـــا تقـــول فى قَـــدَرٍ بـــعضُ سِنِّـــهِ الأبَـــد ؟
وهْـــوَ فى الحيـــاة على كـــلِّ خُطْـــوَةٍ رَصَد
يَعثُـــر الأنـــامُ بـــه إن سَعَـــوا ، وإن قعـــدوا
يَنْـــزِلُ الرجـــالُ على حُكْمِـــه وإن جَحَـــدوا
الـــقضاءُ مُعْضِلـــةٌ لم يَحلَّهـــا أحَـــد
كلّمـــا نـــقضْت لها عُقْـــدَةً بـــدتْ عُقَـــد
أتعَـــبَتْ مُعالجهـــا واستـــراح مُعْتَقِـــد

* * *

(١) الفند : هو الكذب .

(٢) الوطيس : الحرب .

عالَـــمٌ مُدَبِّــــرُه بالبقـــاءِ مُنْفَــــرِد
مِــن بِلَـى كَوائِنِــه كائناتُـــه الجُـــدُد
لا تقــل بـــه إدَدٌ إنّ حُسْنَــــه الإِدَد[١]
تلتقـــى نقـــائضُه غايــــةً وتتَّحِـــد
الفَنـــاء فيـــه يـــدٌ للبقـــــاءِ أو عَضُد
ائْتِلافُـــــه رَشَدٌ واختلافُـــــه سَدَد
جَـــدَّ فى عمارتـــه مُـــنْصَفٌ ومضْطَهَـــد
والغنـــى لخِدمتـــه كالفـــــقير محتشِد
وهـــو فى أَعِنَّتِـــه مُمْعِـــنٌ ومُطَّـــرِد
والحيـــاةُ حَنْظَلَـــةٌ فى حروفهـــا شُهُـــد
هَيكـــلُ الشقـــاءِ لـــه مـــن مَدامِـــعٍ عَمَـــد
قـــامت النعـــوش على جانِبَيْـــهِ والـــوُسُد
عُـــرْسُه ومَأْتَمُـــهُ غايتاهُمـــا نَفَـــدُ

●●●

(١) الإدد ــ جمع إداة ، بالكسر ــ وهى الداهية .

# ثروت باشا[*]

يموت فى الغابِ أو فى غيرِه الأسدُ كلُّ البـلادِ وِسادٌ حين تُـتَّسَدُ[١]

قد غيَّبَ الغربُ شمسًا لاسَقامَ بها كانت على جَنَباتِ الشرقِ تتَّقِـد

حدا بها الأَجَلُ المحتومُ فاغتـربَتْ إن النفـوسَ إلى آجالِهـا تَفِـد

كلُّ اغترابٍ مَتاعٌ فى الحياةِ سوى يومِ يُفارِقُ فيـه المُهجـةَ الجسدُ

* * *

نعى الغمامَ إلى الوادى وساكِنِـهِ برقٌ تمايلَ منـه السهـلُ والجَلَـد

بـرقُ الفجيعـةِ لما ثـار ثائِـرُه كادتْ كأَمسٍ له الأَحزابُ تتَّحِد

قام الرجالُ حيارَى مُنصِتين لـه حتى إذا هدَّ مـن آمـالهم قعـدوا

عـلا الصعيـدَ نهارٌ كلُّه شجَـنٌ وجلَّـل الريـفَ ليـلٌ كلُّه سُهُـدُ

لم يُبْقِ للضاحكين الموتُ ما وجدوا و لم يَرُدَّ على البـاكين مـا فقـدوا

وراءَ رَيْبِ الليـالى أو فُجاءَتِهـا دمعٌ لكـلِّ شماتٍ ضاحكٍ رَصَد[٢]

* * *

باتت على الفُلْكِ فى التابوتِ جَوْهَرَةٌ تكـادُ بالليـل فى ظـلِّ البِلَـى تقِـدُ[٣]

يُفاخِرُ النيلُ أَصداف الخليـج بها وما يـدبُّ إلى البحريـن أو يَـرِدُ[٤]

---

(*) هو المغفور له عبد الخالق ثروت باشا ، كان زعيما وطنيا عظيما ، وسياسيا إداريا خطيرا ، تولى رياسة الحكم فى البلاد أكثر من مرة ، وظفر من السياسة الإنجليزية لمصر بتصريح ٢٨ فبراير ، وقد سافر إلى أوربا لبعض المفاوضات السياسية المتممة لاستقلال مصر ، فلم يمهله الموت ، فقضى بفرنسا فى سنة ١٩٢٨ ، وجىء به ميتا ، وكان بينه وبين أمير الشعراء صداقة حميمة ، ومودة قديمة ، ظهر أثرهما فى هذه المرثية ، التى تقرأها فتحس رجعها يعود إليك من أعماق الخلود .

(١) هذا المطلع يشير إلى موته بفرنسا . (٢) رصد : بمعنى مترقب .

(٣) يشير إلى مجيئه من أوربا فى نعش على الباخرة . وتقد : تضىء .

(٤) يريد بالخليج : الخليج الفارسى . وبالبحرين : مجموعة جزر عربية بالقرب من الشاطئ الغربى للخليج الفارسى ، وعندها يصاد اللؤلؤ .

إنّ الجواهرَ أسناها وأكرمُها ... ما يقذِفُ المهدُ، لا ما يقذفُ الزَّبَدُ

حتى إذا بلغ الفلكُ المدى انحدَرتْ ... كأنها فى الأكفِّ الصارمُ الفرِد

تلك البقيَّةُ من سيف الحمى كِسَرٌ ... على السرير، ومن رُمح الحِمى قِصَد[١]

قد ضمّها فزكا نعشٌ يُطاف به ... مُقدَّمٌ كلِواءِ الحقِّ مُنفرِد

مشتْ على جانبيه مصرُ تَنْشُدُه ... كما تدَلَّهت الثَّكْلَى، وتَفتقِد[٢]

وقد يموت كثيرٌ لا تُحِسُّهمُ ... كأنهم من هَوانِ الخطب ما وُجِدوا

ثُكْلُ البلاد له عقلٌ، ونكبتُها ... هى النجابةُ فى الأولاد، لا العدد

* * *

مُكلِّلُ الهامِ بالتصريح، ليس له ... عودٌ من الهام يَحويه ولا نَضد[٣]

وصاحبُ الفضلِ فى الأعناقِ ليس له ... من الصنائعِ أو أعناقهم سَنَد

خلا من المِدْفَعِ الجبَّارِ مَركَبُهُ ... وحلّ فيه الهدى والرفقُ والرَّشَد

إن المدافِعَ لم يُخلَقْ لصُحبتها ... جندُ السلام، ولا قُوّادُه المُجُد

* * *

يا بانِيَ الصرح لم يَشغَله مُمتدِحٌ ... عن البناءِ، ولم يصرفه مُنتقِد

أصمَّ عن غضبٍ مِنْ حَوْلِه ورِضىً ... فى ثورةٍ تَلِدُ الأبطالَ أو تَئِد[٤]

---

(١) القصد — بكسر القاف —: جمع قصدة — بكسرها أيضا، وهى القطعة مما يكسر، ويقال: رمح قصد، بكسر الصاد: أى منكسر.

(٢) التدله: ذهاب الفؤاد من عشق أو حزن ونحوهما، وقوله: «تفتقد» من قولهم: وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر.

(٣) العود هنا: هو السرير، النضد — محركة الضاد — ما نضد من متاع والسرير ينضد عليه، كأنه يعجب لمن كلل هامات مصر بمجيئه لها بهذا الفوز السياسى فى تصريح ٢٨ فبراير، كيف لا يحويه ميتا سرير متخذ من الهام أو منضد بها، حتى يكون الجزاء من جنس العمل، ومن هذا النحو يقول البيت التالى: «وصاحب الفضل فى الأعناق ... إلخ».

(٤) يريد بالثورة: ثورة مصر سنة ١٩١٩، والوأد: دفن الأحياء، يريد أنه كان يعمل فى بناء صرح الوطن، بدون رغبة فى مدح، أو خوف من ذم، فى شجاعة لا تخاف الثورة، وهى لا عقل لها.

تصريحُك الخطوةُ الكبرى ومرحلةٌ ... يدنو على مثلها ، أو يبعد الأمَد
الحقُّ والقوةُ ارتدّا إلى حَكَمٍ ... من الفياصل ، ما فى دينه أَوَد
لولا سِفارتُك المهديّةُ اختصما ... ومَلَّ طُولَ النِّضالِ الذئبُ والنَّقَد[1]
مازِلْت تَطرقُ بابَ الصلح بينهما ... حتى تفتحت الأبوابُ والسُّدَد
وجَدْتها فرصةً تُلْقى الحِبالُ لها ... إنَّ السياسةَ فيها الصَّيْدُ والطَّرَد[2]
طلبْتَها عندَ هُوجِ الحادثاتِ كما ... يمشى إلى الصيد تحتَ العاصفِ الأسَد
لما وجدت مُعدّاتِ البناءِ بنتْ ... يداك للقوم ما ذمُّوا وما حمدوا
بنيت صَرحك من جُهد البلاد ، كما ... تُبْنَى مِن الصَّخَرِ الآساسُ والعُمُد
فيه ضحايا من الأبناءِ قَيِّمةٌ ... وفيه سَعْىٌ من الآباءِ مُطَّرِد
وفى أَواسِيه أَقلامٌ مُجاهدةٌ ... على أَسنَّتِها الإحسانُ والسَّدَد[3]
وفيه أَلويةٌ عزَّ الجهادُ بهم ... لولا المنيَّةُ ما مالوا ، ولا رقدوا
رميْت فى وَتِدِ الذلِّ القديمِ به ... حتى تَزعزعَ من أسبابه الوتِد
طوى حِمايتَهُ المحتلُّ ، وانبسطتْ ... حمايةُ اللهِ ، فاستَذْرَى بها البلد
نَمْ غيرَ باكٍ على ما شِئْت من كرمٍ ... ماشِيدَ للحقِّ فَهْوَ السَّرْمَدُ الأبد
يا (ثروةَ) الوطنِ الغالى ، كفَى عظةً ... للناس أنك كنزٌ فى الثرى بَدَد[4]
لم يُطْغِك الحكمُ فى شتَّى مَظاهرِه ... ولا استخفَّك لِينُ العيشِ والرَّغَد
تغْدُو على اللهِ والتاريخِ فى ثِقةٍ ... ترجو فتُقْدِمُ ، أو تخْشَى فتَتَّئِد
نشأتَ فى جَبْهةِ الدنيا ، وفى فمِها ... يدورُ حيثُ تدور المجدُ والحسَد

---

(١) النقد : جنس من الغنم قبيح الشكل ، من الهزال أو غيره .

(٢) الطرد : مطاردة الصيد .

(٣) الأواسى : جمع آسية ، وهى من البناء : المحكم الدعامة ، والسدد : بمعنى السداد ، أى الصواب .

(٤) البدد : المتفرق .

لكلِّ يومٍ غَدٌ يمضى بِرَوْعَتِهِ … وما ليومِك يا خيرَ اللِّداتِ غدُ
رَمَتْكَ فى قنواتِ القلبِ فانصدعَتْ … منيَّةٌ ما لها قلبٌ ، ولا كَبِد
لمّا أناخَتْ على تامُورِك انفجرَتْ … أزكَى من الوَرْدِ ، أو من مائه الوُرُد[1]
ما كلُّ قلبٍ غدا أو راح فى دمه … فيه الصديقُ وفيه الأهلُ والولد
ولم تطاوِلْكَ خوفًا أن يُناضلَها … منك الدهاءُ ورأْىٌ مُنقِذٌ نَجِد
فهل رثى الموت للبرِّ الذَّبيحِ ؟ وهل … شجاه ذاك الحنانُ الساكنُ الهَمِد ؟
هَيْهَات ! لو وُجِدَتْ للموت عاطفةٌ … لم يَبكِ من آدمٍ أحبابَه أحد
مَشَتْ تَذُودُ المنايا عن وَديعتها … مدينةُ النُّورِ ، فارتدَّتْ بها رَمَد[2]
لو يُدفعُ الموتُ رَدَّتْ عنك عادِيَةٌ … للعلم حولكَ عينٌ لم تنَم ويَد

* * *

« أبا عزيز » سلامُ اللهِ ، لا رُسُلٌ … إليك تحمل تسليمى ، ولا بُرُدُ[3]
ونفحةٌ من قوافى الشعر كنت لها … فى مجلسِ الراحِ والرَّيْحانِ تحْتشِد
أرسلتُها وبعثْتُ الدمعَ يكنُفُها … كما تَحدَّرَ حولَ السَّوْسَنِ البَرَد[4]
عطفتُ فيك إلى الماضى ، وراجعنى … وُدٌّ من الصغَرِ المعسولِ مُنعقِد
صافٍ على الدهر لم تُقْفِرْ خليَّته … ولا تغيّر فى أبياتها الشُّهُد
حتى لمحتُكَ مَرموقَ الهلالِ على … حداثةٍ تَعِدُ الأوطانَ ما تَعِد
والشعرُ دمعٌ ، ووجدانٌ ، وعاطفةٌ … ياليت شعرىَ هل قُلْتُ الذى أجد ؟[5]

---

(١) التامور : القلب . والورد ، جمع وريد : العرق فى الجسم .

(٢) مدينة النور : تطلق فى هذا العصر على باريس .

(٣) البرد : جمع بريد .

(٤) السوسن : نوع من الزهر ، والبرَد : هو ما يتساقط من المطر كحبات الثلج .

(٥) أى هل قلت الذى يجيش فى وجدانى ؟

# عبد العزيز جاويش (*)

أصاب المجاهدُ عُقْبَى الشهيد ... وأَلقى عَصاه المضافُ الشَّريد
وأمسى جَمادًا عدوُّ الجمودِ ... وباتَ على القيد خَصمُ القيود
حَداه السُّفارُ إلى مَنزِلٍ ... يلاقى الخفيفَ عليه الوئيد
فقَرَّ إلى موعدٍ صادقٍ ... مُعِزُّ اليقينِ مُذِلُّ الجحود
وبات الحَوارِىُّ من صاحِبَيْهِ ... شَهيدَيْن أَسْرَى إليهم شهيد
تَسَرَّبَ فى مَنْكِبَىْ ( مصطفى ) ... كأمسِ ، وبينَ ذِراعَىْ ( فريد )[1]
فيالَكَ قبرًا أكَنَّ الكنوزَ ... وساجَ الحقوقَ ، وحاط العهود
لقد غيَّبوا فيك أمضى السيوفِ ... فهل أنت يا قبرُ أوفى الغُمود ؟
ثَلاثُ عقائدَ فى حفرةٍ ... تَدُكُّ الجبالَ ، وتُوهِى الحديد
قعَدْنَ فكُنَّ الأَساسَ المتينَ ... وقام عليها البناءُ المَشِيد
فلا تَنْسَ أمسِ وآلاءَه ... ألا إن أمسِ أساسُ الوجود[2]
ولولا البِلَى فى زوايا القبورِ ... لما ظهرَتْ جِدَّةٌ للمُهود
ومَنْ طلب الخُلْقَ من كنزه ... فإن العقيدةَ كنزٌ عَتيد
تعلَّمَ بالصبر ، أو بالثباتِ ... جَلِيدُ الرجالِ ، وغيرُ الجليد

* * *

---

(*) هو الشيخ عبد العزيز جاويش ، أحد السابقين فى خدمة القضية المصرية ، كان زعيما سياسيا دينيا عظيما ، وقد كرس حياته لخدمة سياسة بلاد الإسلام عامة ، ومصر وتركيا خاصة ، ثم حكم عليه بالنفى والتشريد مدة طويلة ، ثم عاد إلى مصر و لم يلبث إلا بضع سنين ، ومات فى سنة ١٩٢٩ ، وله رسائل سياسية كانت مضرب المثل فى الفصاحة والقوة فى وقتها .

(١) هو مصطفى كامل الزعيم الوطنى الأول ، وفريد : هو محمد فريد الزعيم الوطنى الثانى ، وكانا صاحبى الفقيد فى المبدأ والجهاد .

(٢) الآلاء : النعم .

طَرِيدَ السياسةِ منذُ الشبابِ ... لقد آن أن يَستريحَ الطريد
لقيتَ الدواهِىَ من كيْدها ... وما كالسياسة داهٍ يكيد[1]
حَمَلْتَ على النفس ما لا يطاقُ ، وجاوزتِ المستطاعَ الجهود
وقُلِّبْتَ فى النار مثلَ النُّضارِ ، وغُرِّبْتَ مثلَ الجُمانِ الفريد
أتذكر إذْ أنتَ تحت ( اللواءِ ) ... نَبِيهَ المكانةِ ، جَمُّ العديد ؟[2]
إذا ما تطلَّعْتَ فى الشاطئين ... رَبا الريفُ ، وافتنَّ فيك الصعيد
وهزَّ النَّدِىُّ لك المنكِبَيْنِ ... وراحَ الثرى من زحامٍ يَميد
رسائل تُذرِى بسجع البديعِ ... وتُنْسِى رسائلَ عبدِ الحميد
يَعِيها شيوخُ الحِمَى كالحديث ... ويحفظها النَّشْءُ حِفْظ النشيد
فما بالُها نَكِرَتْها الأُمورُ ... وطولُ المَدَى ، وانتقالُ الجُدود ؟[3]
لقد نسِىَ القومُ أمسِ القريبَ ... فهل لأحاديثه من مُعيد ؟
يقولون : ما ( لأبى ناصرٍ ) ... وللتُّرْكِ ؟ ما شأنُه والهنود ؟
وفِيمَ تحمَّل هَمَّ القريبِ ... من المسلمينَ وهَمَّ البعيد ؟
فقلتُ : وما ضرَّكم أن يَقومَ ... من المسلمين إمامٌ رشيد ؟
أتستكثرون لهم واحدًا ... ولِّى القديم نصيرَ الجديد ؟
سَعى ليؤلِّف بينَ القلوبِ ... فلم يَعْدُ هَدْىَ الكتابِ المجيد
يَشُدُّ عُرا الدينِ فى داره ... ويدعو إلى الله أهلَ الجحود
ولِلقومِ حتى وراءَ القفارِ ... دعاةٌ تُغنِّى ، ورُسْلٌ تشيد

* * *

(١) الداهى : هو الذى يأتى بالداهية ، وهى الأمر العظيم .
(٢) كان الفقيد محرر جريدة اللواء فى عهدها الأول .
(٣) الجدود هنا : بمعنى الحظوظ .

جزى الله مَلْكًا مـن المحسنين رءُوفُ الفـؤادِ ، رحيـمُ الوريـد[١]

كـأنَّ البيـانَ بأيامـه أو العِلْمَ تحتَ ظلالِ (الرشيد)[٢]

يُداوِى نـداه جِـراحَ الكـرامِ ويدركهـم فى زوايـا اللُّحـود

أجـارَ عِيـالَك مـن دهرهـم وجاملهـم فى البـلاءِ الشديـد

تـولى الوليـدة فى يُتمهـا وكفكفَ بالعطـف دمعَ الوليـد

* * *

سلامٌ (أبـا نـاصرٍ) فى التـراب يُـعِير التـرابَ رَفِيـفَ الـوُرود

بَعُـدْتَ وعـزَّ إلـيك البريـدُ وهل بيـنَ حَـىٍّ ومَيْتٍ بريـد ؟

أَجَلْ ؛ بيننا رسُل الذكريـاتِ ومـاضٍ يُطِيـفُ ، ودمـعٌ يجود

وفكـرٌ وإن عقلَتْـه الحيـاةُ يَظَـلُّ بـوادى المنايـا يَـرود[٣]

أجَلْ ؛ بيننـا الـخُشُبُ الدائبـاتُ وإن كان راكبُهـا لا يعـود

مضى الدهرُ وهْىَ وراءَ الدموعِ قيـامٌ بمُـلْكِ الصَّحـارى قُعـود

وكم حملَتْ مـن صَديـدٍ يَسيـلُ وكم وضَعَتْ مـن جِنـاشٍ ودُود

نَشَدْتُكَ بـالموت إلا أبِـنْتَ أأنت شَقِـىٌّ بـه أم سعيـد ؟

وكيـف يُسَمَّـى الغريبَ امـرؤٌ نَزِيلُ الأُبُوّةِ ، ضَيْفُ الجُـدود ؟[٤]

وكيـف يُقـال لجار الأوائـ ـلِ جارِ الأواخرِ : نـاءٍ وَحيـد؟

●●●

(١) هو جلالة فؤاد الأول ملك مصر ، حيث تعطف على أبناء الفقيد و لم يتركهم بعد وفاة أبيهم لتصاريف الزمن ، فأنعم عليهم بهبة ملكية وافرة .

(٢) هو هارون الرشيد ، وقد اعتز العلم والأدب فى عهده اعتزازا كبيرا .

(٣) يرود : أى يبحث ويكتشف .

(٤) يقول : إن الميت ينزل فى التراب ضيفا على آبائه وجدوده ، إذن فليس يصح أن نعتبره غريبا ولا وحيدا .

# تعزية ورثاء(*)

كـأسٌ مِـن الدنيـا تُـدارْ ... مَـنْ ذاقهـا خَلـع العِـذارْ[١]

الليـــلُ قـــوَّامٌ بها ... فـإذا وَنَـى قـام النهار

وحَبـا بها الأَعمـــارَ ، لم ... تذُم الطِّوالُ ، ولا القِصار

شَرِبَ الصبـيُّ بها ، ولم ... يخل المُعَمَّرُ مِـن خُمـار

وحَسا الكـرامُ سُلافَـها ... وتنـاول الهَمَـلُ العُقـار[٢]

وأَصاب منها ذو الهوى ... ما قد أَصاب أَخـو الوقـار

ولقـد تميـلُ على الجمـا ... د ، وتصرَع الفلَكَ المُدار

كـأسُ المنيّـةِ فى يـدٍ ... عَسْراءَ ، مـا منها فِـرار[٣]

تجرى اليمينَ ، فَمَـنْ تـو ... لّى يَسْرَةً جَرَت اليَسار

أَوْدَى الجرىءُ إذا جـرى ... والمستمـيتُ إذا أَغـار

لـيثُ المعامـعِ ، والوقـا ... ئع ، والمواقِع ، والحِصار

وَبقيَّـةُ الزُّمَـرِ التـى ... كانت تَـذود عن الذِّمـار

جندُ الخلافةِ ، عَسكرُ السـ ... ـلطـانِ ، حاميـةُ الديـار

ضاقت (كريـدُ) جبالُهـا ... بك يا (خلوصى) والقِفار

---

(*) وجه هذه التعزية إلى صديقه حامد بك خلوصى حين مات والده المرحوم الأمير الاى مصطفى بك خلوصى ، وقد كان من الضباط الكرام الذين مجدوا فى قمع الثورة فى الجزيرة ( كريد ) أيام كانت تابعة للدولة العثمانية .

(١) العذار : الحياء والوقار .

(٢) السلاف والعقار : من أسماء الخمر ، يقال : حسا فلان الماء إذا شربه شيئا بعد شيء .

(٣) يقال للرجل : أعسر ، إذا عمل بيده الشمال . والعرب تصف ما ليس محبوبا بالأعسر إذا كان مذكرا ، وبالعسراء إذا كان مؤنثا ، فيد المنية عسراء ، لأنها كذلك .

أَيّامُكـــــم فيها — وإن　　طال المدى — ذاتُ اشْتِهار
عَلِـمَ العـــدوُّ بأنكـــم　　أنتم لِمِعْصمِهـــا سِوار
أَحْدَقْتُـــمُ بمقــــرِّه　　فتركتمـــوه بــلا قــرار
حتى اهتدى مَنْ كان ضـ　　ـلَّ ، وثاب من قد كان ثار
واعْتــزَّ ركــنٌ للــولا　　ية كان مُنْـقضَّ الجِـدار

* * *

عِشْ للعُـلا والمجـدِ — يـا　　خيرَ البـنين — ولِلفخـار
أَبكـى لدمـعك جاريًـا　　ولدمع إخوتِكَ الصِّغـار
وأَوَدُّ أنكُـــمُ رجـــا　　لُ مثـل والـدِكم كِبـار
وأُريـد بيتَكُـمُ عمـا　　را ، لا يُحاكيـه عمَـار
لا تخرجُ النَّعمـاءُ منـــ　　ـه ، ولا يُزايِلُـه الـيَسار

●●●

# ذكرى هيجو[*]

مـا جـلَّ فيهم عيـدُك المأثـورُ إلا وأنت أجـلُّ يـا فكتـورُ

ذكـروكَ بالمئـة السنيـنَ ، وإنها عُمـرٌ لمثـلكَ فى النجـوم قصير

ستدوم ما دام البيانُ ، وما ارتقت للعـالمين مَـداركٌ وشعـور

ولئن حُجِبْتَ فأنت فى نظر الورى كالنجـم لم يُـرَ منـه إلا النـور

لولا التُّقَى لفتحْتُ قبرَك للمَـلا وسألتُ : أين السيِّدُ المقبـور ؟[1]

ولقلتُ : يا قومُ انظروا إنجيلَكـم هل فيه من قلم الفقيد سُطـور ؟

مَنْ بعدَه مَلكَ البيـانَ ؟ فعنـدكم تـاجٌ فقـدتم رَبَّـهُ وسريـر

مات القريضُ بموت ( هوجو ) ، وانقضى
مُـلْكُ البيـانِ ، فأنتُـمُ جُمهـور

مـاذا يزيـد العيـدُ فى إجلالـه وجَلالـه بيَراعِـه مَسطـور ؟

فقدَتْ وجوهُ الكائنـاتِ مُصَوِّرًا نـزل الكـلامُ عليـه والتصويـر

كُشِفَ الغطاءُ له ، فكلُّ عبـارةٍ فى طَيِّهـا للقـارئين ضَمير

لم يُغْنِهِ لفظٌ ، ولا معنـىً ، ولا غرضٌ ، ولا نظـمٌ ، ولا منثـور

مُسْلِي الحزينِ يَفُكُّهُ من حزنـه ويَـرُدُّه لله وهْـوَ قريـر

ثـأرَ الملوك ، وظلَّ عنـدَ إبائـه يرجـو ويأمـل عفـوَه المثـؤور

وأعارَ ( واترلـو ) جـلالَ يَراعِـه فجلالُ ذاك السيـفِ عنـه قصير[2]

---

(*) نظمت هذه القصيدة فى ذكرى شاعر فرنسا الكبير ( فيكتور هيجو ) لمناسبة مرور مائة عام على وفاته .

(١) الملأ : جماعة الناس .

(٢) واترلو : علم على موضع من المواضع الذى حصلت فيه الموقعة التى هزم فيها نابليون هزيمته الكبرى .

يٰأيُّها البحرُ الذى غمر الثرى ... ومِنَ الثرى حُفَرٌ له وقبور
أنت الحقيقةُ إن تَحجَّب شخصُها ... فلها على مرِّ الزمانِ ظهور
ارفعْ حِدادَ العالمين وعُدْ لهم ... كَيما يُعَيِّد بائسٌ وفقير
وانظرْ إلى البُؤساءِ نظرةَ راحمٍ ... قد كان يُسعد جَمْعَهم ويُجير[1]
الحالُ باقيةٌ كما صَوَّرْتَها ... من عهد آدم ما بها تغيير
البؤس والنُّعْمى على حاليهما ... والحظُّ يَعدِل تارةً ويجور
ومن القوىِّ على الضعيف مُسَيْطِرٌ ... ومن الغنىِّ على الفقير أمير
والنفسُ عاكفةٌ على شهواتها ... تَأوِى إلى أحقادها وتثور
والعيشُ آمالٌ تَجِدُّ وتنقضى ... والموتُ أصدقُ ، والحياةُ غرور[2]

●●●

(*) (١) يشير إلى رواية البؤساء ، تأليف فكتور هيجو .

(٢) العيش آمال تجد : أى تتجدد .

# عبده الحامولى[*]

ساجعُ الشرقِ طار عـن أوْكارِه وتَوَلَّـى فـنٌّ على آثـاره[١]

غالـه نافـذُ الجنـاحين مـاضٍ لا تَفِـرُّ الـنسورُ مـن أظفـاره

يطْرُق الفرخَ فى الغُصون ويَغشَى ( لُبَدًا ) فى الطويلِ من أعمـاره[٢]

كان مِزمـارَهُ ، فأصبـح داو دُ كئيبًـا يبكـى على مِزمـاره[٣]

( عبدُهُ ) بَيْـدَ أن كـلَّ مُغَـنٍّ عَبْـدُه فى افتنانِـه وابتكـاره

مَعْبَدُ الدَّولَتَيْنِ فى مصرَ ، وإسحا قُ ( السَّمِيَّيْنِ ) ربُّ مصرٍ وجاره[٤]

فى بِساط الرشيدِ يومًا ، ويومًـا فى حِمَـى جعفرٍ وضافى سِتـاره[٥]

صَفْوُ مُلْكيْهما بـه فى ازديـادٍ ومن الصَّفـو أن يلـوذَ بـداره

يُخرِج المالكين من حِشْمَةِ المُلْـ ـكِ ، ويُنْسِى الوقورَ ذِكْرَ وَقاره

رُبَّ ليلٍ أغـارَ فيـه القَمـارى وأثـارَ الـحِسانَ مـن أقمـاره[٦]

---

(*) توفى عبده الحامولى فى سنة ١٩٠٢ ، وكان نادرة الزمن فى حسن الصوت وفى ابتكار الألحان ، هذا إلى أريحية ومروءة يضرب بهما المثل .

(١) الأوكار : جمع وكر ، وهو عش الطائر .

(٢) لبد : اسم نسر .

(٣) يشبه صوت المرثى فى صفائه بمزمار داود النبى صاحب المزامير .

(٤) يشبهه بمعبد وإسحاق . ويقصد بقوله « رب مصر وجاره » ملك مصر وجاره من أرباب الأقطار العربية . يعنى أن عبده كان يطرب الأقطار العربية جميعها كما كان معبد وإسحاق كذلك .

(٥) الرشيد : هو هارون الرشيد . وجعفر : هو جعفر البرمكى وزيره ، والغرض أن المرثى كان يتنقل من بساط الملوك المشابهين للرشيد ، إلى بساط الوزراء المشابهين لجعفر .

(٦) القمارى : جمع قمرية ، نوع من الحمام حسن التغريد . والأقمار : جمع قمر . يريد أنه كان يطرب الحسان الشبيهات بالأقمار .

بصَبًا يُذْكِرُ الرِّياضَ صَبَاهُ وحجازٍ أرق مِن أسحاره[1]

وغناءٍ يُدارُ لحْنًا فلَحْنًا كحديثِ النديمِ أو كعُقاره

وأنِينٍ لو أنه من مَشوقٍ عرف السامعون مَوْضِعَ ناره

يتمنَّى أخو الهوى منه آهًا حينَ يُلْحَى تكون من أعذاره

زَفَراتٌ كأنها بَثُّ ( قيسٍ ) فى معانى الهوى وفى أخباره[2]

لا يُجاريه فى تفَنُّنِه العو دُ ، ولا يَشْتَكِى إذا لم يُجارِه

يسمع الليلُ منه فى الفجر : يا ليـ ـلُ ، فيُصْغِى مُسْتَمْهِلاً فى فِراره

فُجِعَ الناسُ يومَ مات (الحمولى) بدواءِ الهمومِ فى عَطَّاره

بأبى الفنِّ ، وابنِه ، وأخيهِ القوىِّ المكينِ فى أسراره

والأبىِّ العفيفِ فى حالَتَيْهِ والجوادِ الكريمِ فى إيثاره

يَحْبِسُ اللحنَ عن غَنِىٍّ مُدِلٍّ ويُذيقُ الفقيرَ من مُختاره[3]

يا مُغيثًا بصوته فى الرزايا ومُعينًا بماله فى المَكاره

ومُجِلَّ الفقيرِ بين ذَويه ومُعِزَّ اليتيمِ بين صِغاره

وعِمادَ الصديقِ إن مال دهرٌ وشِفاءَ المحزونِ من أكداره

لستَ بالراحلِ القليلِ فتُنسى واحدُ الفنِّ أُمَّةٌ فى ديارِه

---

(١) صبا الرياض — بفتح الصاد — : نسيمها . أما كلمة « صبا » الواقعة فى أول البيت فمقصود بها نغمة معروفة فى فن الغناء ، وهى مفتوحة الصاد أيضا ، كأنها سميت بذلك تشبيها لها بالنسيم المعروف بالصبا ، وكذلك « حجاز » : نغمة معروفة فى الغناء أيضا .

(٢) قيس : هو ابن الملوح الشهير بمجنون ليلى .

(٣) المدل بالمال : المتباهى به ، يشير هذا البيت إلى بعض ما يؤثر عن عبده رحمة الله عليه ، أنه كان يلجأ إليه الفقراء ليحيى أفراح أولادهم ، فيحسن إليهم ، ويجيب طلبهم ،وينفق من ماله فى تشييد الاحتفال اللائق بسهرته . وربما آثر هذه الليلة الفقيرة على دعوة أحد الأغنياء الكبار ، ويروى له فى هذا الباب حكايات كثيرة .

غايـةُ الدهـرِ إن أَتى أو تَوَلَّـى　　ما لقيتَ الغـداةَ مـن إدبـاره
نـزل الجد فى الثرى ، وتساوَى　　مـا مضى مـن قيامـه وعِثـاره
وانقضى الـداءُ باليقين مـن الحا　　لَيْـن ، فـالموتُ مُنتهَـى إقصاره
لَهْـفَ قومـى على مخايـلِ عـزٍّ　　زال عنّـا بـروضِهِ وهَـزاره[1]
وعلى ذاهبٍ مـن العيش ، ولَّيْـ　　ـتَ فولَّى الأَخيرُ مـن أوطـاره
وزمـانٍ أَنت الـرِّضَى من بقايـا　　هُ ، وأَنت العَـزاءُ مـن آثـاره
كان للنـاس ليلُـه حيـنَ تشدو　　لحقَ اليـومَ ليلُـه بنهاره

●●●

(١) الهزار : طائر حسن الصوت ، فارسى .

# قاسم بك أمين(*)

يا أيُّها الدَّمعُ الوَفِيُّ ، بَدارِ — نقضى حقوقَ الرفقةِ الأخيار[١]
أنا إن أهنتُك فى ثراهم فالهوى — والعهدُ أن يُبْكَوْا بدمعٍ جارى[٢]
هانوا وكانوا الأكرمين ، وغُودروا — بالقَفْر بعدَ منازِلٍ وديار
لهفى عليهم ؛ أُسْكِنوا دورَ الثرى — من بعد سُكْنَى السمعِ والأبصار
أين البشاشةُ فى وسيمِ وجوههم — والبِشرُ للندماءِ والسُّمّار ؟[٣]
كنا من الدنيا بهم فى رَوْضةٍ — مَرّوا بها كنسائم الأسحار

* * *

عطفًا عليهم بالبكاءِ وبالأسى — فتعهُّدُ الموتى من الإيثار[٤]
يا غائبينَ وفى الجوانح طيْفُهم — أبكيكُمُ من غُيَّبٍ حُضّار
بينى وبينكمُ وإن طال المدَى — سَفرٌ سأزمَعُه من الأسفار
إنى أكادُ أرى محلِّىَ بينكم — هذا قرارُكُمُ ، وذاك قرارى

* * *

أوَ كُلَّما سَمح الزمانُ وبُشِّرت — مصرٌ بفردٍ فى الرجال مَنار[٥]
فُجعَتْ به ، فكأنه وكأنها — نجمُ الهدايةِ لم يَدُمْ للسارى ؟

---

(*) المرحوم قاسم بك أمين هو الزعيم صاحب دعوة تحرير المرأة فى مصر ، وقد توفى فى سنة ١٩٠٩ .

(١) بدار : يعنى بادر .

(٢) يقول : إن الذين أبذل دمعى وأهينه فى ترابهم هم هواى وموضع حبى ، وليس عجيبا أن يبكى الإنسان أهل حبه وهواه .

(٣) السمار : جمع سامر ، والسمر : حديث الأصدقاء بالليل .

(٤) الإيثار : هو أن تعطى لغيرك ما أنت محتاج إليه .

(٥) المنار : هو العلم يهتدى الناس به فى الطريق .

إنّ المصيبةَ فى ( الأمين ) عظيمةٌ   مَحمولــةٌ لمشيئــةِ الأقــدارِ
فى أرْيَحــىٍّ ماجــدٍ مُسْتَعْظَــمٍ   رُزْءُ المـــالكِ فيـــه والأمصار
أوْفَـى الرجــالِ لعهــدِه ولِرأيـــه   وأبَرّهــــم بصديقــــهِ والجار
وأشَدّهــم صَبــرًا لمعتقَداتِــه   وتأدُّبـــــًا لمجادلٍ ومُمارى
يَسقـى القرائـحَ هادئـًا مُتواضعًـا   كالجَـدول المُترقْـرِقِ المتــوارى
قلْ للسَّماءِ تَغُضُّ مـن أقمارهـا   تحت الترابِ أحـاسنُ الأقمـار
مــن كل وضَّاءِ المآثــر فـــائتٍ   زُهـرَ النجـوم بزَهْـره السيـار
تمضى الليـالى لا تنـال كمالَـه   بمعيـب نـقصٍ أو مَشينِ سرار[1]
آثـــارُه بعـــدَ المواتِ حياتُــه   إنّ الخلـــودَ الحقَّ بالآثـــار
يَـا مَنْ تَفرَّدَ بالقضاءِ وعِلمِـه   إلا قضاءَ الواحـــدِ القهّـــار
ما زِلتَ ترجوه ، وتخشى سهْمَه   حتَّـى رمَـى فأحطْتَ بـالأسرار
هلا بُعثتَ فكنت أفصحَ مخبِّرًا   عمّا وراءَ الموتِ من ( لازار ) ؟[2]
انفُضْ غُبارَ الموتِ عنك وناجِنى   فعَسَاىَ أعلمُ مـا يكـون غُبـارى
هذا القضاءُ الجدُّ ، فارْوِ ، وهـات عـن
حُكْـــمِ المنيـــةِ أصدقَ الأخبـــار
كَلٌّ وإن شَغَفَتْـهُ دُنيـاه هــوًى   يومًـا مُطلِّقُها طـلاقَ ( نَـوار )[3]
لله ( جامعـةٌ ) نـهضْتَ بأمرهــا   هـى فى المشارق مَصدرُ الأنـوار[4]

---

(١) سرار — بفتح السين وكسرها — : مشتق من قولهم : استسر القمر ، إذا خفى ليلة السرار ، وهى آخر ليلة أو ليلتين فى الشهر .

(٢) لآزار أو عازار : اسم الرجل الذى أحياه سيدنا عيسى ، ويقول لو بعثت لكنت أفصح فى إخبارك عن الموت من هذا الرجل .

(٣) نوار : اسم امرأة بعينها كانت زوجة الفرزدق الشاعر ، فطلقها فندم كثيرا حتى ضرب المثل بندامته فى كل طلاق نادم .

(٤) هى الجامعة المصرية ، وكان للفقيد فضل مذكور فى إنشائها .

أُمْنِيَّةُ العُقَلاءِ قد ظفِروا بها ... بعد اختلافِ حوادثٍ وطَوارى
والعقلُ غايةُ جَرْيِه لأَعنَّةٍ ... والجهلُ غايةُ جَرْيه لِعِثَار
لو يعلمون عظيمَ ما تُرْجى له ... خرجَ الشحيحُ لها من الدينار
تشْرِى الممالكُ بالدَّم استقلالَهَا ... قوموا اشتروه بفضَّةٍ ونُضار
بالعلم يُبنى الملكُ حقَّ بنائه ... وبه تُنال جلائلُ الأَخطار
ولقد يُشاد عليه من شُمِّ العُلا ... ما لا يُشادُ على القنا الخطَّار[1]
إن كان سَرَّك أَن أُقمتَ جِدارها ... قد ساءَها أَن مالَ خيرُ جِدار
أُضحت من الله الكريم بذمَّةٍ ... مَرْموقةِ الأَعوانِ والأَنصار
كُلِئَتْ بأَنظار (العزيز) ، وحُصِّنَتْ
(بفؤادَ) ؛ فهى مَنيعةُ الأَسوار[2]
وإذا العزيزُ أَعارَ أَمرًا نظرةً ... فاليمنُ أَعجلُ ، والسُّعودُ جَوارى
ماذا رأَيتَ من الحجاب وعُسرِه ... فدعَوْتنا لِتَرَفُّقٍ ويَسار ؟
رأْىٌ بَدا لك لم تجدْه مُخالفًا ... ما فى الكتاب وسُنَّةِ المختار
والباسِلان : شجاعُ قلبٍ فى الوَغى ... وشُجَاعُ رأيٍ فى وَغى الأَفكار
أَوَدِدْت لو صارت نساءُ النيلِ ما ... كانت نساءُ (قُضاعةٍ) و(نِزار)؟[3]
يَجمعن فى سلم الحياةِ وحربِها ... بأْسَ الرِّجالِ وخَشيةَ الأَبكار
إن الحجابَ سماحةٌ ويَسارةٌ ... لولا وحوشٌ فى الرجال ضَوارى
جَهِلوا حقيقتَه وحِكْمةَ حُكمه ... فتجاوزوه إلى أَذًى وضِرار

* * *

(١) الخطار : أى المهتز.واهتزاز القنا : كناية عن استعداده للقتال .

(٢) العزيز : هو كل ملك لمصر : وكان الخديوى عباس وقتئذ ، وفؤاد ، هو جلالة ملك مصر فؤاد الأول .

(٣) ليس الغرض نساء هاتين القبيلتين قضاعة ونزار بالذات ، وإنما المقصود المرأة العربية الموصوفة فى البيت التالى .

يافُبّة ( الغوری ) تحتكِ مأتمٌ ... تَبقى شعائرُه على الأدهار
يُحييه قومٌ فى القلوب على المدى ... إن فاتهم إحياؤه فى دار
هيهات ! تُنسَى أُمةٌ مدفونةٌ ... فى أربعين من الزمان قِصار
إن شئتَ يومًا أو أردت فحقبةً ... كلٌّ يمرُّ كليلةٍ ونهار
هاتوا ابنَ ( ساعدةٍ ) يُؤبِّنُ قاسمًا ... وخذوا المراثِيَ فيه من ( بَشّار )[1]
من كلِّ لائقةٍ لباذخ قدرِه ... عَصماءَ بينَ قلائدِ الأشعار

●●●

(١) ابن ساعدة ، هو قس بن ساعدة الأيادى ، أحد خطباء العرب الحكماء ، يضرب به المثل فى بلاغة الخطب ، وبشار : هو بشار بن برد الشاعر المشهور ، يقول إن قاسما لا يؤبنه إلا أمثال قس من الخطباء وأمثال بشار من الشعراء .

# تولستوى(*)

| | |
|---|---|
| (تولستُوى)، تُجرِى آيةُ العلمِ دمعَها | عليك ، ويَبكى بائسٌ وفقيرُ |
| وشعبٌ ضعيفُ الركنِ زال نَصيره | وما كلَّ يومٍ للضعيف نصير |
| ويَنْدُب فلاَّحون أَنت مَنارُهم | وأَنت سراجٌ غيَّبوه مُنير |
| يعانونَ فى الأَكواخِ ظُلمًا وظلمةً | ولا يملكون البثَّ وهْوَ يسير |
| تطوف كعيسى بالحنان وبالرضى | عليهم ، وتَغْشَى دورَهم وتزور |
| ويَأْسَى عليك الدِّينُ ، إذ لك لُبُّه | وللخادمين الناقمين قُشور |
| أَيكفر بالإنجيل مَنْ تلك كُتْبُه | أَناجيلُ منها مُنذِرٌ وبَشير ؟ |
| ويبكيك إلفٌ فوق ( ليلى ) ندامةً | غداةَ مشى ( بالعامرىِّ ) سَرير |
| تناولَ ناعيكَ البلادَ كأَنه | يراعٌ له فى راحتَيْك صَرير(١) |
| وقيل : تولَّى الشيخُ فى الأَرض هائمًا | وقيل : ( بدَيْرِ ) الراهباتِ أَسير |
| وقيل : قَضَى لم يُغْنِ عنه طبيبهُ | وللطبِّ من بطشِ القضاءِ عَذير |
| إذا أَنت جاوزْت ( المعرِّى ) فى الثرى | وجاور ( رَضْوَى ) فى التراب ( ثَبير )(٢) |
| وأَقبلَ جمعُ الخالدينَ عليْكما | وغالَى بمقدار النظيرِ نظير |
| جَماجِمُ تحتَ الأَرضِ عَطَّرها شذًى | جَناهُنَّ مسكٌ فوقها وعَبير |
| بهنّ يُباهِى بطنُ (حَوَّاءَ)، واحتوَى | عليهن بطنُ الأَرضِ وهْوَ فَخور |

(*) تولستوى : هو الفيلسوف الروسى الشهير ، كان عالما عاملا بما يقول ، فتخلى عن ماله الجم ليساوى نفسه بالفقراء ، ولعل رواياته ومؤلفاته كانت الأناجيل الأولى للثورة الأخيرة فى روسيا وقد توفى سنة ١٩١٠ وهو شيخ كبير .

(١) الصرير : التصويت . واليراع : القلم .

(٢) المعرى : هو أبو العلاء المعرى ، وشعره الفلسفى الاجتماعى مشهور . ورضوى وثبير علمان على جبلين : أولهما بالمدينة وثانيهما بمكة : يريد تشبيهه هو والمعرى بهذين الجبلين .

فقُلْ يا حكيمَ الدهر حَدِّثْ عن البِلَى ... فــأنت عليــمٌ بالأمــور خــبير
أحطْتَ من الموتى قديمًا وحادثًا ... بما لم يُحَصِّلْ مُنْكرٌ ونَــكير :[1]
طوانا الذى يطوى السمٰواتِ فى غدٍ ... ويَنشُرُ بعدَ الطىِّ وهْـو قديـر[2]
تقادم عَهدانا على الموتِ ، واسْتوى ... طويـلُ زمـانٍ فى البِلَـى وقصير
كأن لم تَضِقْ بالأمس عَنِّى كنيسةٌ ... ولم يُؤْوِنى دَيْرٌ هنـاك طَهــور
أرى راحةً بين الجنادِلِ والحصى ... وكـلُّ فِـراشٍ قــد أراح وَثير[3]
نظرنا بنُور الموتِ كلَّ حقيقةٍ ... وكنّا كِلانا فى الحيـاة ضَريــر
إليكَ اعترافى ، لا لقَسٍّ وكاهـنٍ ... ونجْواىَ بعدَ اللهِ وهْوَ غفـور
فزهدُك لم يُنْكِرْه فى الأرض عارفٌ ... ولا مُتعـالٍ فى السمـاءِ كـبير
بيـانٌ يُشَمُّ الوحىُ من نفحاتــه ... وعلـمٌ كعلـم الأنبيـاءِ غَزيــر
سلكتُ سبيلَ المُتْرَفينَ ، ولذَّ لى ... بنونَ ومالٌ ، والحيـاةُ غُــرور
أداةُ شتائى الدفءُ فى ظلِّ شاهقٍ ... وعُــدَّةُ صيفـى جَنّــةٌ وغَديــر
ومُتِّـعْتُ بالدنيـا ثمانين حِجَّــةً ... ونضَّر أيّامــى غنــًى وحُبــور
وذكرٌ كضوءِ الشمسِ فى كلِّ بَلدةٍ ... ولا حَظَّ مثلُ الشمسِ حينَ تَسير
فما راعنى إلا عَـذارَى أجَرْنَنــى ... ورُبَّ ضعيفٍ تحْتَمِـى فيُــجير
أردْتُ جِوارَ اللهِ والعمرُ مُنْقضٍ ... وجاورتُـه فى العمـر وهْـوَ نَضير
صِبًا ، ونعيمٌ بين أهلٍ ومَوْطـنٍ ... ولـذَّاتُ دنيـا ، كـلُّ ذاك نَـزور[4]
بهنّ ــ ومايدرين: ما الذنبُ؟ ــ خشيةٌ ... ومن عَـجَبٍ تَـخْشَى الخطيئةَ حُور[5]

---

(١) يريد أنه كان يعرف أشرار النفوس جد المعرفة .

(٢) النشر : هو البعث من الموت ، وهو أيضا ضد الطى .

(٣) الفراش الوثير : اللين الناعم .

(٤) نزور : أى قليل .

(٥) الحور : جمع حوراء ، وهى الجارية فى عينها حور . والحور : اشتداد بياض العين وسوادها .

أُوانسُ فى داجٍ من الليل مُوحِشٍ ... ولله أُنسٌ فى القلـوب ونُـور
وأَشبهُ طُهْرٍ فى النساءِ بِمَرْيَمٍ ... فتـاةٌ على نَهـج المسيـحِ تسير
تُسائلُنى : هل غيَّر الناسُ مابهم ؟ ... وهل حَدَثَتْ غيرَ الأُمور أُمور ؟
وهل آثر الإِحسانَ والرفقَ عالمٌ ... دواعى الأَذى والشرِّ فيه كثير ؟
وهل سلكوا سُبْلَ المحبَّةِ بـينهم ... كما يـتصافى أُسرةٌ وعَشير ؟
وهل آنَ مِنْ أَهل الكتابِ تسامُحٌ ... خَليقٌ بآدابِ الكتابِ جَديـر ؟
وهل عالجَ الأَحياءُ بؤسًا وشِقْوَةً ... وقـلَّ فسادٌ بـينهم وشرور ؟
قم انظر وأَنت المالِىءُ الأَرضَ حكمةً ... أَأَجـدى نظيمٌ ، أَم أَفـادَ نَـثير ؟
أُنـاسٌ كما تـدرى ، ودنيـا بحالها ... ودهـرٌ رَخِـيٌّ تـارةً وعَسير
وأَحـوالُ خلـقٍ غابـرٍ مُتجـدِّدٍ ... تشابـه فيها أَوَّلٌ وأَخير
تمرّ تِباعًـا فى الحيـاة كـأَنها ... مـلاعبُ لا تُرْخَـى لهنّ سُتـور
وحرصٌ على الدنيا ، ومَيْلٌ مع الهوى ... وغِشٌّ ، وإفكٌ فى الحيـاة ، وزُور
وقـام مقـامَ الفـردِ فى كـلّ أُمّـةٍ ... على الحكـم جَـمٌّ يستبـدّ غَـفير
وحُوِّر قولُ الناس : مَوْلًى وعَبْدُه ... إلى قـولهم : مُستأْجِـرٌ وأَجير
وأَضحى نفوذُ المال لا أَمرَ فى الورى ... ولا نَهْـى إلا مـا يـرَى ويُشير
تساسُ حكومـاتٌ بـه وممالكٌ ... ويُذْعِـن أَقيـالٌ لـه وصدور[1]
وعصرٌ بنوه فى السلاحِ ، وحِرْصُهُ ... على السلم يُجْرِى ذكـرَه ويُديـر
ومن عجبٍ فى ظلِّها وهْوَ وارفٌ ... يُصادف شعبـا آمنًـا ، فيُـغير
ويأْخذُ من قوت الفقيرِ وكَسْبِه ... ويُؤوِى جيوشًا كالحصى ويَـمير
ولما استقلّ البـرَّ والبحـرَ مذهبًـا ... تَعَلَّـقَ أَسبـابَ السمـاءِ يـطير

---

(١) أقيال : جمع قيل ، وهو الملك . والصدور : جمع صدر ، وهو العظيم من الناس كالوزير ونحوه .

# عمر بك لطفى (*)

قِفـوا بالقبـور نُسائِـلْ عُمَـرْ ... متى كانت الأرضُ مَثْوَى القمرْ ؟
سلوا الأرضَ : هل زُيِّنَتْ للعليـ ... ـم ؟ وهل أُرِّجَتْ كالجِنانِ الحُفَر ؟
وهل قام ( رضوانُ ) من خلفها ... يُلاقى الـرَّضِىَّ النَّقِـىَّ الأَبـرّ ؟
فلو علِمَ الجمـعُ مِمَّنْ مَضَى ... تنَحَّـى لـه الجمـعُ حتـى عَبر
إلى جَنَّـةٍ خُلِـقَتْ للكـريم ... ومَـن عَـرَفَ اللهَ ، أو مَنْ قَـدَر

* * *

بَرَغْـمِ القلـوبِ وحبَّاتِهـا ... ورَغْمِ السماعِ ، ورَغْمِ البصر
نزولُكَ فى التُّربِ زَيْـنَ الشبـابِ ... سناءَ « النَّدِىِّ » سَنَى « المؤتمر » [1]
مُقيـلَ الصديـقِ إذا مـا هَفـا ... مُقيـلَ الكريـمِ إذا مـا عثر
حَيِـيتَ فكـنتَ فخـارَ الحيـاةِ ... ومُتَّ فكـنـتَ فخـارَ السِّيَر
عجيبٌ رَداكَ ، وأَعجبُ منـه ... حيـاتُك فى طـولها والـقِصَر
فمـا قبلَهـا سمعَ العـالمون ... ولا علمـوا مُصحفًـا يُختـصر
وقد يَقتـلُ المرءَ هـمُّ الحيـاةِ ... وشغلُ الفـؤادِ ، وكـدُّ الفِكـر
دَفَنَّـا التجـاربَ فى حُفـرةٍ ... إليها انتهى بك طـولُ السَّفـر
فكـم لكَ كالنَّجـم مـن رِحلـةٍ ... رأى البـدوُ آثارَهـا والـحَضَر

(*) توفى عمر بك لطفى فى سنة ١٩١١ ، وكان عالما قانونيا ضليعا ، كما كان فى حياته يكاد يتقد غيرة على قوميته وحبا لمصلحة بلاده ، وهو فى طليعة مؤسسى نقابات التعاون فى مصر .

(١) الندى : يريد نادى المدارس العليا ، وكان الفقيد رئيسا له . ويريد بالمؤتمر المؤتمر الذى أقامه أعيان المسلمين فى هليوبوليس ، ردا على المؤتمر الذى أقامه أعيان الأقباط فى أسيوط . والسناء ـــ بالمد ـــ : الضوء ، ـــ وبالقصر ـــ : الرفعة .

« نِقاباتُك » الغُرُّ تَبكى عليك | ويَبكى عليك « النَّدِىُّ » الأغر
ويبكى فريقٌ تخيَّرتَه | شَريفَ المَرامِ ، شَريفَ الوَطَر
ويَبكى الأُلَى أنتَ علَّمتَهُمْ | وأنت غرسْتَ ، فكانوا الثمر
حَياتُك كانَتْ عِظاتٍ لهم | وموتُك بالأمسِ إحدى العِبَر
سَهِرنا قُبَيْلَ الرَّدى ليلةً | وما دارَ ذكرُ الرَّدى فى السمر[1]
فقمتَ إلى حفرة هُيِّئَتْ | وقمتُ إلى مثلِها تُحْتَفَر
مَددتُ إليك يدًا للوَداع | ومدَّ يدًا لِلِّقاءِ القَدَر
ولو أنَّ لى علمَ ما فى غدٍ | خَبَأتُك فى مُقْلتِى مِن حذَر
وقالوا : شكَوْتَ ، فما راعنى | وما أوَّلُ النارِ إلا شَرَر
رثيتُك لا مالكًا خاطرى | من الحُزن ، إلا يسيرًا خطر[2]
ففيك عرفتُ ارتجالَ الدُّموعِ | ومنك عَلِمْتُ ارتجالَ الدُّرر
فمثلُك يُرثَى بآيِ الكتابِ | ومثلُك يُفدَى بنصف البشر
فيا قبرُ ، كنْ روضةً من رِضًى | عليه ، و كنْ باقةً من زهَر
سقتْك الدموعُ ، فإن لم يَدُمْنَ | كعادتِهنّ سقاك المطر

●●●

(١) السَّمر : حديث الليل .

(٢) يريد : لا مالكا من خاطرى إلا بقية قليلة الخير لا تغنى فى رثائك .

# عمر بك لطفى(*)

اليومَ أَصْعَدُ دونَ قبرِكَ مِنْبَرا ... وأُقلِّدُ الدنيا رِثاءَك جَوْهَرا

وأَقصُّ مِن شِعرى كتابَ محاسنٍ ... تتقدَّم العلماءَ فيه مسَطَّرا

ذكرًا لفضلك عندَ مصرَ وأَهلِها ... والفضلَ من حُرُماتِه أن يُذْكَرا

العلمُ لا يُعْلِي المراتبَ وحدَه ... كم قدّم العملُ الرجالَ وأَخَّرا

والعلمُ أَشبهُ بالسماءِ رجالُه ... خُلِطَتْ جَهامًا فى السحابِ ومُمْطِرا

طُفنا بقبركَ ، واستلمنا جَنْدلاً ... كالركنِ أَزْكَى ، والحَطيمِ مُطهَّرا[1]

بين التشرُّفِ والخشوع ، كأَنما ... نستقبلُ الحرمَ الشريفَ منوَّرا

لو أُنصفوكَ جنادلاً وصفائحًا ... جعلوكَ بالذكرِ الحكيمِ مُسَوَّرا

يا مَنْ أَرانى الدهرُ صحةَ وِدِّه ... والودُّ فى الدنيا حديثٌ مُفْتَرى

وسمعتُ بالخُلُقِ العظيمِ روايةً ... فأَرانىَ الخلقَ العظيمَ مُصَوَّرا

ماذا لقيتَ من الرُّقادِ وطولِه ؟ ... أَنا فيك أَلقى لوعةً وتحسُّرا

نَمْ ما بَدا لك آمنًا فى منزلٍ ... الدهرُ أَقصرُ فيه من سِنَةِ الكرَى

ما زلتَ فى حَمْدِ الفِراشِ وذمِّه ... حتى لقيتَ به الفِراشَ الأَوْثرا[2]

لا تَشكُوَنَّ الضرَّ من حشراتِه ... حشراتُ هذا الناسِ أَقبحُ مَنظرا

يا سيِّدَ ( النادى ) وحاملَ همِّه ... خلَّفتَه تحت الرَّزيَّةِ مُوقَرا[3]

---

(*) نظمت هذه القصيدة لتلقى فى حفلة أقيمت لتأبين عمر بك لطفى بعد الأربعين ، أما القصيدة السابقة فقد نظمت عقب الوفاة فى سرعة تشبه الارتجال .

(١) يقول : إننا نطوف بقبرك ونستلم أحجاره ، كما يطوف حجاج بيت الله فيستلمون الركن والحطيم المطهرين .

(٢) الفراش الأوثر : هو الفراش الأكثر ليونة ونعومة ، ويريد به تراب القبر .

(٣) النادى : هو نادى المدارس العليا ، وكان الفقيد رئيسا له . وموقرا : أى مثقلا بما يحمله من فقدك .

شهدَ الأعادى كم سَهِـرْتَ لمجده　　وغدَوْتَ فى طلب المزيدِ مُشمِّرا

وكم اتَّقيْتَ الكَيْـدَ واستدفعْتـه　　ورميْتَ عُذوانَ الظنونِ فـأقصرا

ولَبِثْتَ عن حَوْض الشَّبيبة ذائـدًا　　حتى جزاكَ اللهُ عنه الكَوْثـرا

شُبانُ مصرَ حِيالَ قبرِكُ خُشَّعٌ　　لا يملكون سوى مدامعهم قِرى[1]

جمعَ الأسى لك جمعَهم فى واحدٍ　　كان الشبابَ الواجدَ المُسْتَعْبِرا[2]

لولاك ما عرفوا التعاوُن بينهم　　فيما يسُرُّ ، ولا على ما كـدَّرا

حيث التفتَّ رأيتَ حولك منهمُ　　آثـارَ إحسانٍ وغـرسًا مُثمِـرا

كم منطقٍ لك فى البلاد وحكمـةٍ　　والعقلُ بينهما يُباع ويُشْتـرَى

تمشى إلى الأكواخ تُرشِد أهلَهـا　　مشىَ الحواريِّينَ يَهْدون القُـرى[3]

متواضعًـا لله بيـنَ عِبـادِه　　واللهُ يبـغض عبـدَه المتكبِّـرا

لم تَدْرِ نفسُك : ما الغُرورُ ؟ وطالما　　دخل الغُرورُ على الكبار فصغَّـرا

فى كـلِّ ناحيـةٍ تَخُـطُّ نِقابـةً　　فيها حياةُ أخى الزراعةِ لـو دَرَى

هى كيمِياؤُكَ ، لا خُرافَةُ ( جابرٍ )　　تَذَرُ المُقِلَّ من الجماعة مُكْثِـرا[4]

والمالُ لا تجنـى ثِمَـارَ رءُوسِه　　حتى يصيبَ من الرءُوس مُدَبِّرا

والملكُ بالأمـوالِ أمنـعُ جانبًـا　　وأعزُّ سلطانًا ، وأصدقُ مَظهـرا

إنـا لفـى زمـنٍ سِفـاهُ شعوبِـه　　فى ملكهم كالمرءِ فى بيت الكِـرا[5]

---

(١) القرى ـــ بكسر القاف : ما يقدم للضيف من إكرام ونحوه .

(٢) الواجد المستعبر : هو الحزين الباكى .

(٣) الحواريون : هم أصحاب عيسى ابن مريم .

(٤) جابر : هو جابر بن حيان صاحب الكيمياء القديمة . والمقل : هو الفقير أو هو الذى لا يملك إلا شيئا قليلا .

(٥) بيت الكرا : هو بيت الأجرة .

أسِواكَ مِنْ أَهل المبادئ مَنْ دَعــا　　للجِدِّ ، أو جمعَ القلوب النُّفَّرا ؟

الموتُ قبلَك فى البَرِيَّةِ لم يَــهَبْ　　طَــه الأمين ، ولا يسوع الخيِّــرا[1]

* * *

لما دُعِـيتُ أتـيتُ أَنثُـرُ مَدْمَعِـى　　ولو استطعتُ نثرتُ جَفنى فى الثرى

أبكى يمينَك فى التراب غمامــة　　والصَّدْرَ بحرًا ، والفوادَ غضَنْفَرا

لم أُعْطَ عنك تَصبُّرًا ، وأنا الذى　　عَزَّيْتُ فيك عن الأمير المَعْشَرا[2]

أَزِنُ الرجالَ ، ولى يَراعٌ طـالما　　خلَع الثنـاءَ على الكـرام مُحَبَّـرا

بالأمسِ أرسلْتُ الرثـاءَ مُمَسَّكًـا　　واليـومَ أهتِـفُ بالثنــاءِ مُعَنْبَـرا

غيَّرتَنى حزنًـا ، وغيَّـرك البِلَـى　　وهـواك يأبَى فى الفـؤاد تغيُّـرا[3]

فعَلَىَّ حفظُ العهـد حتـى نلتقـى　　وعليك أن ترعاه حتـى نُـحشَرا

●●●

(١) يسوع : المسيح .

(٢) كان أمير الشعراء هو نائب الخديو عباس فى تعزية الفقيد .

(٣) يشير إلى قصيدته السابقة فى الفقيد .

# الأميرة[*]

حَلَفْتُ بالمُسَتَّرَهْ والرَّوْضةِ المعطَّرَهْ[1]
ومجلسِ الزّهراءِ فى الـ ـحظائر المنوّرة[2]
مراقدِ السُّلالةِ الطَّيِّبـ ـةِ المطهَّره
ما أنزلوا إلى الثَّرَى بالأمس إلا نَيِّره[3]
سيروا بها تَقِيَّةً نقيةً مُبَرَّرَه
نُجِلُّ سِتْرَ نَعْشِها كالكُسْوَةِ المُسَيَّره[4]
ونَنْشقُ الجنَّةَ من أعوادِه المُنضَّره

* * *

فى موكِبٍ تَمَثَّلَ الـ ـحقُّ فكان مَظْهَرَه
دع الجنودَ والبنو دَ والوفودَ المُحْضَره
وكلَّ دمعٍ كَذِبٍ ولَوْعَةٍ مُزَوَّره
لا ينفع الميْتَ سوى صالحةٍ مُدَّخَره
قد تُرْفَعُ السُّوقةُ عنـ ـدَ اللهِ فوقَ القَيْصَرَه[5]

* * *

(*) هى الأميرة فاطمة إسماعيل ، كان لها الفضل الأول فى تأسيس وإنشاء الجامعة المصرية ، وقد انتقلت إلى دار الجنان فى سنة ١٩٢٠ .

(١) المسترة : الكعبة .

(٢) يقصد فاطمة الزهراء ، بنت الرسول صلوات الله عليه ، ومجلسها فى حجرات النبوة .

(٣) نيرة : هى واحدة النجوم النيرة .

(٤) الكسوة : هى كسوة الكعبة المكرمة ، وتسير من مصر إلى الحجاز كل عام فى موكب عظيم الإجلال .

(٥) القيصرة : علمٌ على كل ملكة للروم . والقيصر : علم على ملكها .

يـــا جـــزَعَ العِلْـــمِ على ( سُكَيْنَـــة ) المُوَقَّـــره ! [١]
أمسى برَبْـــعٍ مُـــوحِشٍ منها ودارٍ مُقْفِـــــــره
من ذا يُؤَسِّى هـــذه الـــ ــجامعـــةَ المُسْتَعْبِـــره [٢]
لـــو عِشْتِ شِدْتِ مثلَهـــا للمـــــــــــرأةِ المحرَّره
بنـــيتِ رُكنَيْهـــا ، كما يبنـــى أبـــوكِ المَأْثُـــرَه
قـــرنْتِ كـــلَّ حجـــرٍ فى أُسِّهـــا بجوهَـــره
مَفخـــرةٌ لبيتكـــم كم قبلهـــا مـــن مَفخـــرة !

* * *

يا بنتَ إسماعيلَ ، فى الـــ ــمـيْتِ لحىٌّ تَـــبْصِره [٣]
أكان عنـــدَ بيتِكـــم لهذه الدنيـــا تِـــرَه ؟ [٤]
هـــلاَّ وصَفْتِهـــا لنـــا مُقبلـــةً ومُدبـــره ؟
ولونَهـــا صافيـــةً وطعمَهـــا مكـــدَّره ؟
كالحلم ، أو كالوهـــم ، أو كالظـــلِّ ، أو كالزَّهَـــره ؟

* * *

( فاطمُ ) ، مَنْ يُولَدْ يَمُتْ المهـــــدُ جسرُ المقبره [٥]
وكـــلُّ نـــفسٍ فى غـــدٍ مَيِّتـــةٌ فمُـــنْشَرَه
وإنـــه مَـــنْ يَعمـــلِ الـــ ــخيـــرَ أو الشَّرَّ يَـــرَه

(١) يشبهها بسكينة بنت الحسين فى عطفها على العلم والأدب .
(٢) المستعبرة : أى الباكية لفقدها عطفك .
(٣) التبصرة : بمعنى الموعظة .
(٤) ترة : هى الثأر .
(٥) فاطم : أى فاطمة ، وحذفت التاء للترخيم ، كقول امرىء القيس .
* أفاطـــم مهـــلا بـــعض هـــذا التدلـــل *

وإنما يُنَبَّهُ الـ ـغافلُ عندَ الغَرْغَرَه[1]
يَلفِظها حَنظلةً كانت بفِيهِ سُكَّره[2]
ولن تَزالَ من يَدٍ إلى يَدٍ هٰذى الكُرَه

* * *

أين أبوكِ ؟ مالُه وجاهُه ، والمقدره ؟
وادى النَّدَى ، وغَيْثُه وعَيْنُه المُفجَّره[3]
أين الأُمورُ ، والقصو رُ ، والبدورُ المُخْدَره ؟
أين الليالى البيضُ ، والـ أصائلُ المزَعْفَره ؟[4]
وأين فى ركن البِلا دِ يَدُه المُعَمَّره ؟
وأين تلك الهِمَّةُ الـ ماضيةُ المشمَّره ؟
تبغى لمصر الشرق أو أكثَرَهُ مُستعمَرَه
جرى الزمانُ دونَها فردّه وأعْثَره
فإن همَمْتَ فاذكر الـ مَقادرَ المُقَدَّره
مَن لا يُصِبْ فالناسُ لا يَلتمسون المعذِرَة

●●●

(١) الغرغرة : وقت حشرجة الروح فى الصدر .
(٢) يلفظها : أى يلفظ الحياة .
(٣) الندى : الكرم . والعين : بمعنى النبع .
(٤) الأصائل : الوقت من بعد العصر إلى المغرب . والمزعفرة : أى الملونة بلون الزعفران . والليالى البيض والأصائل المزعفرة : يقصد بهما الكناية عن السعادة الوارفة الظليلة .

# ذكرى مصطفى كامل[*]

لم يَمُتْ مَنْ له أَثَرْ     وحياةٌ مِنَ السِّيَرْ
أُدْعُه غائبًا ، وإن     بعُدَتْ غايةُ السفر
آيبُ الفضلِ كلّما     آبتِ الشمسُ والقمر[1]
رُبَّ نورٍ مُتمَّمٍ     قد أَتانا مِنَ الحُفَر[2]
إنما الميْتُ مَنْ مشى     مَيتَ الخيرِ والخَبَر
مَنْ إذا عاشَ لم يُفِدْ     وإذا ماتَ لم يَضِر
ليس فى الجاهِ والغِنَى     منه ظِلٌّ ولا ثمر
قُبح العِزُّ فى القُصو     رِ إذا ذَلَّتِ القَصَر

* * *

أَعْوَزَ الحقَّ رائدٌ     وإلى ( مصطفى ) افْتَقَر
وتمنَّت حِياضُه     هَبَّةَ الصارمِ الذَّكَر
الذى يُنْفِذُ المُدى     والذى يَركبُ الخطر[3]
أَيُّها القومُ ، عظِّموا     واضعَ الأُسِّ والحجر
أُذكروا الخُطبةَ التى     هى من آيِهِ الكُبَر[4]

---

(*) لأمير الشعراء عدة قصائد فى مصطفى كامل باشا ، هذه إحداها ، وقد أُلقيت فى الاحتفال الذى أقيم تمجيدا لذكراه فى فبراير سنة ١٩٢٦ .

(١) ويقول : فى كل أوبة شمس ، وفى كل عودة قمر ، يؤوب للفقيد فضل ، ويتجدد له ذكر ، وإذن فهو لا يحسب ميتا ، وغاية الأمر أنه غائب فى سفر بعيد .

(٢) الحفر : القبور .

(٣) الذى ينفذ المدى : يراد به صاحب الطعنات النافذة .

(٤) يريد آخر خطبة للفقيد ، وقد ظنها الناس يومئذ خطبة الوداع .

لم يَـرَ النـاسُ قبلَهـا مِنبـرًا تحتَ مُحْـتَضَر
لستُ أَنسَى لِـواءَه وهـو يَـمشى إلى الظَّفَـر
حَشَرَ النـاسَ تحتَـه زُمَـرًا إثْرَهـا زُمَـر
وتَـرى الحقَّ حولَـه لا تـرى البيضَ والسُّمُـر (١)
كلَّمـا راح أو غَـدا نَفَـخَ الـرُّوحَ فى الصُّوَر

* * *

يـا أخـا النَّفْسِ فى الصِّبـا لَـذَّةُ الـروحِ فى الصِّغـر
وخليـلاً ذَخَرْتُـه لم يُقَـوَّمْ بمُدَّخَـر
حـالَ بَينـى وبينـه فى فُجاءَاتِـه القَـدَر
كيـف أجـزِى مَـوَدَّةً لم يَشُبْ صَفْوَها كـدَر ؟
غيـرَ دَمْـعٍ أقولـهُ قَـلَّ فى الشَّأْنِ أو كَثُـر ؟
وفُـؤادٍ مُعَلَّـلٍ بالخيـالات والذُّكَـر ؟
لم ينـم عـنك ساعـةً فى الأَحـاديث والسَّمَـر ؟
قُـمْ تَـرَ القـومَ كتلـةً مثـلَ مَلمومـةِ الصَّخـر (٢)
جَـدَّدوا أُلفـةَ الهوى والإخـاءَ الـذى شُطِـر
لـيس للخُلْـف بـينهم أو لأَسبابـه أثَـر
أَلَّفَتْهـم روائِـحٌ غاديـاتٌ مـن الغِيَـر

---

(١) البيض : السيوف . والسمر : الرماح .

(٢) ملمومة : بمعنى مجتمعة ، ويقال للدرع : ملمومة ، وكذا يقال للكتيبة ـــ وهى الفرقة من الجيش ـــ ملمومة أيضا .

وصحَوْا من مُنوَّمٍ    وأفاقوا من الخَدَر [١]
أقبلوا نحوَ حقِّهم    ما لهم غيْرَه وَطَر
جعلوه خَلِيَّةً    شرعوا دونَها الإبَر [٢]
وتواصَوْا بخطَّةٍ    وتداعَوْا لموتمر [٣]
وقُصَارَى أولي النُّهَى    يَتلاقَوْنَ فى الفِكَر
آذنونا بموقفٍ    من جلالٍ ومن خَطَر
نسمع الليثَ عنده    دون آجامه زأر
قُلْ لهم فى نَدِيِّهم    : مصرُ بالباب تنتظِر [٤]

●●●

(١) الخدر : الكسل ، وهو مصدر خدر ، كفرح .

(٢) الخلية : موضع سكن النحل . شرعوا الإبر : رفعوها استعدادا للنضال بها ، كما يقال : شرع سيفه ، إذا انتضاه من غمده .

(٣) تداعوا : تجمعوا .

(٤) يريد بالندىّ : البرلمان ، وكان وقتئذ يهيأ .

# المنفلوطى(*)

اخترتَ يومَ الهولِ يومَ وَداعِ ... ونعاكَ فى عَصْفِ الرياحِ الناعى[1]

هتفَ النُّعاةُ ضُحىً ، فأَوْصَدَ دونهم ... جُرحُ الرئيسِ منافذَ الأسماعِ

مَنْ ماتَ فى فَزَعِ القيامةِ لم يَجِدْ ... قدَمًا تُشَيِّع أو حفاوة ساعى

ما ضرَّ لو صبرتْ ركابُك ساعةً ... كيف الوقوفُ إذا أهاب الداعى ؟

خلِّ الجنائزَ عنك ، لا تحفِل بها ... ليس الغرورُ لميِّتٍ بمتاع

سِرْ فى لواءِ العبقريّةِ ، وانتظِمْ ... شتَّى المواكب فيهِ والأتباع

واصعد سماءَ الذكر من أسبابها ... واظهر بفضلٍ كالنهار مُذاع

فُجِعَ البيانُ وأهلُهُ بمصوِّرٍ ... لَبِقٍ بوشْيِ الممتِعاتِ صَناع

مَرموقِ أسبابِ الشبابِ وإن بَدَتْ ... للشيب فى الفَودِ الأَحَمِّ رَواعى[2]

تتخيلُ المنظومَ فى منثوره ... فتراهُ تحت روائِع الأسجاع

لم يَجْحَدِ الفُصحَى ، ولم يَهجُم على ... أسلوبها ، أو يُزْرِ بالأوضاع

لكنْ جرَى والعصرَ فى مِضمارِها ... شَوْطًا ، فأَحْرَز غايةَ الإبداع

حُرُّ البيانِ ، قديمُه وجديدُه ... كالشمسِ جدّةَ رُقعةٍ وشُعاعِ

يونانُ لو بِيعت ( بهوميرٍ ) لما ... خَسِرَتْ — لعَمْرُكَ — صَفْقةُ المبتاع

* * *

(*) هو الكاتب الذائع الصيت مصطفى لطفى المنفلوطى ، اشتهر بأسلوب إنشائى خاص لفت إليه أنظار القراء فى عصره ، وقد توفى سنة ١٩٢٤ .

(١) يشير بيوم الهول إلى أن وفاة الفقيد كانت فى يوم إطلاق الرصاص على الزعيم سعد باشا .

(٢) الفود : أحد الفودين ، وهما جانبا الرأس من الأمام ، والأحم : الأسود . والرواعى : جمع راعية . ويريد « بالرواعى » الشعرات البيض اللواتى ظهرت فى جانبى رأسه .

يا مُرسلَ ( النظراتِ ) فى الدنيا وما ... فيها على ضَجَرٍ وضيقِ ذِراع[١]
ومُرَقْرِقَ ( العبراتِ ) تجرى رِقَّةً ... للعالم الباكى من الأوجاع[٢]
مَنْ ضَاقَ بالدنيا فليس حكيمَها ... إنّ الحكيمَ بها رَحيبُ الباع
هِىَ والزمانُ بأرضِهِ وسمائِه ... فى لُجَّةِ الأقدارِ نِضْو شِراع[٣]
مَنْ شَذَّ ناداه إليه فردَّهُ ... قَدَرٌ كراعٍ سائقٍ بقطاع[٤]
ما خَلْفَهُ إلا مَقودٌ طائعٌ ... مُتلفِّتٌ عن كبرياءِ مُطاع
جبارُ ذِهْنٍ ، أو شديدُ شكيمةٍ ... يمضى مُضِيَّ العاجزِ المُنصاع
من شَوَّهَ الدنيا إليك فلم تَجِدْ ... فى الملكِ غيرَ مُعذَّبين جِياع ؟
أبكلِ عينٍ فيه أو وَجْهٍ ترى ... لمحاتِ دمعٍ أو رسومَ دِماع ؟[٥]
ما هكذا الدنيا ، ولكنْ نُقْلةٌ ... دمعُ القَريرِ وعَبْرَةُ المُلتاع
لا الفقرُ بالعَبَراتِ خُصَّ ولا الغنى ... غِيَرُ الحياةِ لهنّ حُكْمُ مشاع[٦]
ما زالَ فى الكوخِ الوضيعِ بَواعِثٌ ... منها ، وفى القصرِ الرفيعِ دَواعى
فى القفرِ حَيَّاتٌ يُسيِّبها به ... حاوى القضاءِ ، وفى الرياضِ أفاعى
ولَرُبَّ بُؤْسٍ فى الحياةِ مُقنَّعٍ ... أَرْبَى على بُؤْسٍ بغير قِناع

* * *

(١) النظرات : اسم كتاب للفقيد .
(٢) العبرات : اسم كتاب له أيضا .
(٣) نضو شراع : أى شراع هزيل متمزق لا يكاد يقوى على مصارعة أمواج تلك اللجة ، بل لا يكاد يرى فى خضمها المحيط .
(٤) القطاع : طائفة من الغنم .
(٥) رسوم دماع : أى آثار تبدو فى مجرى الدمع ، كأن الدموع لكثرتها تصنع لها طريقا فى موضع مسيلها .
(٦) غير الحياة : نوائبها المغيرة على الناس .

يا ( مصطفى ) البلغاءِ ، أَىّ يَراعةٍ فقدوا ؟ وأَىّ مُعلِّمٍ بيَـراع ؟
اليومَ أَبصرتَ الحيـاةَ ؛ فقـلْ لنـا : مـاذا وراءَ سرابها اللمّـاع ؟
وصِفِ المنونَ؛ فكم قعدْتَ ترى لها شَبَحًـا بكـلِّ قـرَارة ويَفـاع[1]
سكن الأَحبّةُ والعِدَى،وفَرغْتَ مِنْ حِقْدِ الخُصوم ، ومِنْ هوى الأَشياع
كم غـارةٍ شَنُّوا علـيكَ دفعْتَهـا تصِلُ الجهودَ فكُنَّ خيرَ دِفـاع
والجهـدُ مُوتٍ فى الحياةِ ثِمارَه والجهدُ بعدَ الموتِ غيـرُ مُضاع
فإذا مضى الجيلُ المِراضُ صدورُه وأَتى السليمُ جـوانبَ الأَضلاع
فافزعْ إلى الزمن الحكيم ؛ فعنـده نقْدٌ تنزَّهَ عـن هـوى ونِـزاع
فإذا قضى لك أُبْتَ مِن شُمّ العُلا بثَنِيَّـةٍ بَعـدَت على الطَّـلاع[2]
وأَجلُّ مـا فـوقَ الترابِ وتحتَـه قلـمٌ عليـه جَلالـةُ الإجماع
تـلك الأَنامـلُ نـام عنهنّ البِلَـى عُطِّلْنَ من قلمٍ أَشَمَّ شُجـاع
والجبـنُ فى قلم البليـغِ نظيـرُه فى السيـف مَنْقَصَةٌ وسوءُ سماع

●●●

(١) اليفاع : ما ارتفع من الأرض ، كالنجاد . والقرار : ما انخفض منها كالوهاد .

(٢) الثنية : الطريق فى أعالى الجبال ويجمع على الثنايا ، وقد تمثل الحجاج فى خطبته الشهيرة بقول بعضهم : أنا ابن جلا وطلاع الثنايا .

# عاطف بركات باشا(*)

خـفضْتُ لِعِـزَّةِ الموتِ اليَراعـا ... وجَـدَّ جـلالُ مَنْطِقِـهِ ، فراعـا
كفَـى بـالموتِ للنُّـذُرِ ارتجالاً ... وللعَبَـراتِ والعِبَـرِ اختراعـا
حكيـمٌ صامتٌ فضَح الليـالى ... ومَـزَّق عـن خَنـا الدنيا القِناعـا
إذا حضر النفـوسَ فَـلا نعيمًـا ... تـرى حـولَ الحيـاةِ ولا مَتاعـا
كشفتُ بـه الحياةَ فلم أجِدْهـا ... ولَمْحَـةَ مائهـا إلا خِداعـا
ومـا الجرّاحُ بـالآسى المرجَّـى ... إذا لم يقتـل الجُـثَثَ اطِّلاعـا[1]
فـإن تَقُـل الرِّثـاءَ فقُـلْ دموعًـا ... يُصاغ بهنّ ، أو حِكَمًا تُراعَـى
ولا نكُ مثـلَ نادبـةِ المُسجَّـى ... بَكت كَسْبًا ، ولم تَـبْكِ الْتِياعـا[2]
خلَتْ دولُ الزمانِ وزُلْـنَ رُكنًـا ... وركنُ الأرض باق ، ما تَداعـى[3]
كـأنّ الأرضَ لم تَشْهـدْ لِقَـاءً ... تكـاد لـه تَميـدُ ، ولا وَداعـا
ولـو آبتْ ثواكـلُ كـلِّ قَـرْن ... وجَدْنَ الشمسَ لم تَثْكل شُعاعـا
ولكـن تُضْرَب الأمثـالُ رُشدًا ... ومنهاجًـا لمن شاءَ اتِّباعـا
ورُبَّ حديثِ خيرٍ هـاجَ خيـرًا ... وذكـرِ شجاعـةٍ بَعث الشُّجاعـا

* * *

( معارفُ ) مصرَ كان لهنَّ ركنٌ ... فذُقْـنَ اليومَ للركـنِ انصِداعـا
مضى أعْلى الرجـالِ لها يمينًـا ... وأرْحَبُهـم بحَـلَّتها ذِراعـا

(*) عاطف بركات باشا : أحد رجالات مصر المقدمين، وأحد نوابغ جيله المعلمين، ترقى إلى منصب وكيل وزارة المعارف ، وقد توفى سنة ١٩٣٥ .

(١) يقال : قتل الأمر اطلاعا ، إذا بحثه طويلا . والآسى : الطبيب .

(٢) المسجى : الميت . والالتياع : شدة الحزن .

(٣) تداعى الركن : أى سقط متهدمًا .

وأكثرُهُــم لها وَقفــاتِ صِدقٍ    إبــاءً فى الحوادث أو زَماعــا
أتَتْــهُ فنالَهــا نَفَــلاً وفَيْئًــا    فــلا هبــةً أتَتْــه ولا اصطِناعــا[1]
تنقــل يافعًــا فيها وكهــلاً    ومــن أسبــابها بَلَــغَ اليَفاعــا
فتًـى عجمَتْــه أحــداثُ الليــالى    فـلا ذُلاً رأيْـن ، ولا اختِضاعــا
سَجَــنَّ مُهنَّـدًا ، ونَفَيْـن تِبْــرًا    وزِدْنَ المسك من ضغْطٍ فضاعــا[2]
شديــدٌ صُلَّبٌ فى الحق حتــى    يقــولَ الحقُّ : لِينًــا واتِّداعــا[3]
ومـدرسةٍ سَمَتْ بالعلـم ركنًــا    وأنْـهضَتِ القضاءَ والاشتِراعــا[4]
بناهــا محسنًــا بالعلــم بَــرًّا    يَشيــد لــه المعالــمَ والـر باعــا[5]
وحـاربَ دونها صرْعَى قديــمٍ    كـأنَّ بهم عـن الزمــنِ انقطاعــا
إذا لمحَ الجديــدُ لهم تَوَلَّــوْا    كـذى رَمَدٍ على الضوءِ امتناعــا

* * *

أخا « سيشيلَ » ، لا تذكرْ بحارًا    بَعــدنَ على المزار ولا بقاعــا[6]
وربُّك مــا وراءَ نَــواكَ بُعــدٌ    وأنتَ بظاهـر الفُسْطـاطِ قاعــا[7]

---

(١) النفل : مفرد الأنفال ، يعنى العطايا المكتسبة من الفىء . والفىء : الغنيمة . والاصطناع : هو ما يعبر عنه فى زماننا بالمحسوبية .

(٢) ضاع المسك والطيب : سطع عطره . لما قال : « فتى عجمته أحداث الليالى » شرح كيف كان ذلك ، فأخبر أنه سجن فكان أشبه بالمهند ، ونفى فكان مثل التبر ، وحين اشتدت أحداث الليالى ضغطا ، كان الفقيد أشبه بالمسك الذى يسحق فيزيد أرجا وطيبا .

(٣) صلب « باللام المشددة » : أى كثير الصلابة . والاتداع : من الوداعة ، وهى رقة الخلق .

(٤) يشير بهذا البيت إلى أن الفقيد كان هو أول قيم على مدرسة القضاء الشرعى ، وقد أنشئت تلك المدرسة لتخريج القضاة الشرعيين ، و لم يستغن عنها إلا بعد إصلاح الازهر والاكتفاء بأبنائه .

(٥) الرباع : جمع ربع : الدار .

(٦) سيشل ، إحدى جزر الهند النائية ، نفى إليها الفقيد ، حين اتهمته السلطات الإنجليزية بالتحريض السياسى فى ثورة مصر الكبرى .

(٧) الفسطاط : مدينة مصر . وظاهر الفسطاط : أى ضاحيتها . والقاع فى الأصل : هو المنخفض من الأرض ، ويريد به هنا موضع القبر حيث دفن الفقيد .

نـزلْتَ بعالَـم خَـرق القضايـا وأصبح فيـه نظمُ الدهرِ ضاعـا
فَخـلِّ الأربـعين لحافـليها وقُمْ تَجِد القرونَ مَررْنَ ساعـا[١]

* * *

مَـرِضتَ فمـا أَلـحّ الـداءُ إلاَّ على نـفْسٍ تعـوَّدَت الصِّراعـا
ولم يكُ غيـرَ حادثـةٍ أصابت مُفلِّـلَ كـلِّ حادثـةٍ قِراعـا[٢]
ومَـنْ يتجـرَّع الآلامَ حيًّـا نَسُغْ عند المماتِ لـه آجتراعـا
أَرِقْتَ، وكيف يُعطَى الغمضَ جفنٌ تَسُلُّ وراءَه القـلبَ الرُّواعـا ؟[٣]
ولم يَهـدَأْ وِسادُك فى الليـالى لعلمك أَنْ ستُفنيها آضطجاعـا
عَجِبْتُ لشارحٍ سببَ المنايـا يُسَمِّى الداءَ والعِلَلَ الوِجاعـا
ولم تكـن الحتـوفُ محلَّ شكٍّ ولا الآجـالُ تحتمـلُ النزاعـا
ولكـنْ صُيَّـدٌ ولها بُـزاةٌ ترى ( السّرطانَ ) منها والصُّداعا[٤]
أَرَى التعـليم لمّـا زلت عنـه ضعيفَ الركنِ، مَخذولاً، مُضاعا
غريـقٌ حـاولت يَـدُه شِراعًـا فلمّـا أَوْشكَتْ فقـد الشِّراعـا
سَراةُ القـومِ مُنصرفـون عنـه وصُحْفُ القوم تَقتضِبُ الدفاعـا[٥]
لقـد نسَّاه يـومُك ناصبـاتٍ مِـن السَّنوات قاساهـا تِباعـا[٦]
قُـم ابـنِ الأُمَّهـاتِ على أساسٍ ولا تبْـنِ الحصونَ ولا القِلاعـا

(١) الأربعين فى هذا البيت، مقصود بها الأيام التى مضت على وفاته، أو السن التى توفى فيها . والساعا : جمع ساعة .
(٢) القراع : نوع من الحرب والمغالبة .
(٣) الرواع : من قولهم : ناقة رواع الفؤاد، بضم الراء وفتح الواو، أى شهمة زكية .
(٤) البزاة : جمع بازى، وهو ضرب من الصقور .
(٥) سراة القوم : سادتهم . والاقتضاب : بمعنى القطع أو الإيجاز والاختصار .
(٦) ناصبات، من قولهم : عيش ناصب، أى فيه كد وجهد . وتباعا : أى متابعة .

فهُنَّ يَلِذْن للقَصبِ المذَاكى … وهُنَّ يلِذْن للغابِ السِّباعا[1]

وَجدْتُ مَعانىَ الأَخلاق شتَّى … جُمِعْن فكنَّ فى اللفظ الرِّضاعا

عَزاءَ الصابرين ( أَبا بهِىٍّ ) … ومثلُك مَنْ أَناب ومَنْ أَطاعا[2]

صَبَرتَ على الحوادث حينَ جَلَّتْ … وحينَ الصبرُ لم يَكُ مُستطاعا

وإن النفسَ تهدأُ بعدَ حينٍ … إذا لم تَلْقَ بالجزع انتِفاعا

إذا آختلف الزمانُ على حزينٍ … مَضى بالدمع ، ثم مَحا الدِّماعا

قُصارَى الفَرْقَدَيْنِ إلى قضاءٍ … إذا عثرا به آنفصَما اجتماعا

ولم تَخْوِ الكِنانة آل سعدٍ … أَشدَّ على العِدا منكم نِباعا[3]

ولم تحمِل كشيخكمُ المُفَدَّى … نُهوضًا بالأَمانةِ واضطِلاعا

غدًا فَصْلُ الخِطابِ ، فمَنْ بَشيرى … بأَنَّ الحقَّ قد غلب الطِّماعا ؟

سَلُوا أَهلَ الكِنانةِ : هل تداعَوْا ؟ … فإن الخصمَ بعدَ غدٍ تَداعى

وما ( سعدٌ) بمُتَّجِرٍ إذا ما … تعرَّضت الحقوقُ شَرَى وباعا

ولكنْ تحتمِى الآمالُ فيه … وتَدَّرِعُ الحقوقُ به ادِّراعا[4]

إذا نظرَتْ قلوبُكُمُ إليه … علا للحادثات وطال باعا[5]

●●●

(*) (١) المذاكى : الخيل التى كملت قوتها . والقصب : هو الخط الذى يتراهن عليه المتسابقون .

(٢) أبا بهى : ينادى بهذه الكنية فتح الله بركات باشا شقيق الفقيد . وأناب : رجع إلى الله .

(٣) النباع : جمع نبع ، وهو شجر للقسى والسهام ، ينبت فى قمة الجبال . آل سعد : آل زغلول باشا أخوال الفقيد .

(٤) تدرع الحقوق به : أى تجعل منه درعا لها . والدرع : ثوب حديد يلبسه المحارب ليحتمى به من السيوف وأشباهها .

(٥) طال باعا : أى طال شأوا وعظم قوة .

# المويلحى[*]

كاتبٌ مُـحْسِنُ البيـانِ صَناعُـه     استخَف العقـولَ حينًـا يَراعُـه[١]
اِبـنُ مصرٍ ، وإنما كـلُّ أَرضٍ     تنْطِـقُ الضادَ مَهْـدُهُ ورِباعُـه[٢]
إنما الشرقُ منـزلٌ لم يُفـرَّق     أَهلَـه إن تفـرَّقتْ أُصقاعـه[٣]
وطنٌ واحدٌ على الشمس والفصـ     ـحى ، وفى الدمع والجراحِ اجتماعه
علـمٌ فى البيـان ، وابـنُ لـواءٍ     أخـذَ الشرقَ حِقبـةً إبداعـه
حَسْبُه السحرُ من تُراثِ أَبيه     إن تَـولَّتْ قصورُه وضِياعـه[٤]
إنما السحـرُ والبلاغـةُ والحكـ     ـمةُ بَيْتٌ ، كـلاهما مِصراعـه

* * *

فى يَدِ النَّشْءِ من بيان ( المويلحِى )     مثـلٌ يَنْفـع الشبـابَ اتِّباعـه
صُوَرٌ مـن حقيقـة وخيـالٍ     هـى إحسانُ فِكْـرِهِ وابتداعـه
رُبَّ سجعٍ كمُرْقِص الشعرِ لمّا     يَختلِـفْ لَحْنُـهُ ولا إيقاعـه
أَو كَسجع الحمامِ لـو فصَّلتْـهُ     وتـأنَّتْ بـه ، ودَقَّ اختراعـه
هـو فيـه بديـعُ كـلِّ زمـانٍ     ما بديعُ الزمانِ ؟ ما أَسجاعـه ؟[٥]

* * *

(*) هو الكاتب الكبير محمد المويلحى المتوفى سنة ١٩٣٠ ، وقد ألقيت هذه القصيدة فى حفلة تأبينه .

(١) يقال : يد صناع ، أى ماهرة حاذقة ، وبيان صناع أيضا .

(٢) رباع : جمع ربع ، وهو الدار .

(٣) أصقاعه ، جمع صقع بضم الصاد : الناحية .

(٤) تولت القصور : أى ذهبت . والضياع : جمع ضيعة ، وهى العقار والأرض المغلة .

(٥) بديع الزمان : هو الهمدانى صاحب المقامات المشهورة .

عجبَ الناسُ من طباعِ المويلحىِّ ، وفى الأُسْدِ خُلقُــه وطِباعـــه

فيه كِبْرُ اللُّيوثِ حتــى على الجوع ، وفيها إبـــاؤُه وامتِناعـــه

تعب الموتُ فى صَبـورٍ على النـزعِ ، قليـلٍ إلى الحيـاةِ نِزاعـــه[1]

صارع العيشَ حِقْبَةً ، ليت شعرى ساعةَ الموتِ كيف كان صِراعه ؟

قهرَ الموتَ والحياةَ ، وقــد تحـكمُ فى رائض السِّبـاع سِباعـه

مُهجـةٌ حـرّةٌ ، وخُلْـقٌ أبِـىٌّ عَىّ عنه الزمـانُ وارتـدَّ باعـه

* * *

فى الثمانين ــ يا ( محمدُ ) ــ عِلْمٌ لِعليـمٍ ، وإن تَناهَـى اطِّلاعــه[2]

لِـمْ تقاعَــدْتَ دونها وتَوانَـــى سائقُ الفُلْكِ ، واضمحلَّ شِراعه ؟

رُبَّ شَيْبٍ بَنَتْ صُروحَ المعالى سَنتــاه ، وشادت المجدَ ساعـــه

فيه من هِمَّة الشبـابِ ، ولكــن لـيس فيـه جِماحُـه واندفاعـه

* * *

سيِّـــدُ المنشئين حَثَّ المطايـــا ومضى فى غُبـــاره أتباعـــــه

حطَّهم ( بالإمامِ ) للموت رَكبٌ يَتــلاقى بِطـــاؤُه وسِراعـــه

قَنَّعوا بالتـراب وجهًـا كريمًـا كان مـن رُقعـةِ الحيـاءِ قِناعـه

كسَنا الفجرِ فى ظلال الغـوادى كرمٌ صفحتـاه ، هَـذَّى شُعاعـه

---

(١) النزاع للميت : ساعات احتضاره . يقول إنه مع زهده فى الحياة فقد طال زمن احتضاره ، ولا يكون هذا إلا من قوة الحيوية التى تستطيع مغالبة الموت .

(٢) فى الثمانين : يقصد ثمانين عاما .

ياوحيدا كـأمسٍ فى كِسْر بـيتٍ ضيـقٍ بالنَّزيـلِ ، رحبٍ ذِراعــه[١]

كـلُّ بيـتٍ تَحلُّه يستـوى عنـــ ـدك فى الزُّهـدِ ضيقُـهُ واتِّساعـه

نـمْ مَلِيًّـا ؛ فـلست أوَّلَ لـيثٍ بفَلاةِ ( الإمام ) طال اضطجاعه[٢]

حولَك الصالحون ، طابوا وطابَتْ أكَماتُ ( الإمـامَ ) منهم وقاعـه[٣]

قلَّـدوا الشرقَ مـن جمالٍ وخيـرٍ مـا يَئُـودُ المُفنِّديـن انتزاعــه[٤]

أسَّسَتْ نهضةُ البنـــاءِ بقـــومٍ وبقـــومٍ سما وطـــالَ ارتفاعـــه

كلُّ حَيٍّ — وإن تـراخَتْ منايـا هُ — قضاءٌ عن الحيـاة انقطاعـه

والـذى تحرص النفـوسُ عليــه عالـــمٌ باطـــلٌ قليـــلٌ مَتاعـــه[٥]

●●●

(١) كسر البيت — بكسر الكاف وفتحها : جانبه .

(٢) فلاة الإمام : صحراء الإمام الشافعى ، حيث مدفن الفقيد .

(٣) أكات : جمع أكمة : المرتفع من الأرض . والقاع : المنخفض منها .

(٤) يئود : بمعنى يثقل ويتعب : والمفندين : المكذبين .

# إسماعيل باشا صبرى(*)

أجَلٌ وإن طال الزمانُ مُوافِى … أخلى يدَيْكَ من الخليلِ الوافِى

داعٍ إلى حقٍّ أهابَ بخاشعٍ … لبس النذيرَ على هُدًى وعفافِ(١)

ذهب الشبابُ ، فلم يكن رُزْئى به … دونَ المصابِ بصَفوةِ الألّافِ

جَلَلٌ من الأرزاءِ فى أمثالِه … هِمَمُ العزاءِ قليلةُ الإسعافِ

خَفَّتْ له العَبراتُ ، وهى أبيَّةٌ … فى حادثاتِ الدهرِ ، غيرُ خِفافِ

ولكلّ ما أتلفتَ من مُستكرَمٍ … إلا مودّاتِ الرجالِ تَلافِ(٢)

ما أنتِ يا دُنيا ؟ أرؤيا نائمٍ … أم ليلُ عُرْسٍ ، أم بِساطُ سُلافِ ؟

نَعماؤكِ الرَّيْحانُ ، إلا أنه … مَسَّتْ حَواشِيَه نَقيعَ زُعافِ(٣)

مازِلْتُ أصحَبُ فيكِ خُلقًا ثابتًا … حتى ظفِرْتُ بخُلْقِكِ المتنافى

* * *

ذهب الذَّبيحُ السمحُ مثل سَمِيِّه … طُهْرَ المُكَفَّنِ ، طيِّبَ الألفافِ(٤)

كم بات يذبحُ صدرَه لشكاتِه … أتُراه يحسبها من الأضيافِ ؟(٥)

---

(*) إسماعيل باشا صبرى : أحد الشعراء السابقين الفحول ، وكان يلقب بشيخ الشعراء ، وكان أحد رجال الدولة فى عصره ، فقد تسنم أعلى المناصب القضائية ، وترقى إلى منصب وكيل وزارة الحقانية ، ثم وافاه الموت سنة ١٩٢٣ .

(١) النذير : الموت .

(٢) المستكرم : هو كل كريم عليك من مال ونحوه .

(٣) نقيع زعاف : أى سم ناجع بالغ .

(٤) يشبه الفقيد بالذبيح ، والذبيح قيل : سيدنا إسحاق ، والمراد هنا سيدنا إسماعيل ، ومن أجل ذلك صار الفقيد سميا له ، والألفاف : يقصد بها الكفن . يريد أنه ذهب طيب المظهر والمخبر .

(٥) الشكاة : هى العلة التى يشكوها المريض .

نَزَلتْ على سَحْرِ السَّماح ونَحْرِه | وتقلَّبَتْ فى أكرمِ الأكتاف[١]
لَجَّتْ على الصَّدر الرحيبِ وبرَّحَتْ | بالكاظم الغيْظِ ، الصَّفوحِ ، العافى
ما كان أَقسَى قلبَها من عِلَّةٍ | عَلِقتْ بأرحم حَيَّةٍ وشَغاف[٢]
قلبٌ لو انتظم القلوبَ حَنانهُ | لم يبْق قاسٍ فى الجوانح جافى
حتى رماه بالمنيَّة فانجلتْ | مَنْ يَبتلى بقضائه ويُعافى
أَخْنَتْ على الفلَكِ المُدارِ فلم يَدُرْ | وعلى العُباب فقرَّ فى الرجّاف[٣]
ومَضَتْ بنارِ العبقريّةِ ، لم تَدَعْ | غيرَ الرَّمادِ ، ودارساتِ أثافى[٤]
حَملوا على الأَكتاف نورَ جلالةٍ | يذرَ العيونَ حواسدَ الأَكتاف
وتَقلَّدوا النعشَ الكريمَ يتيمةً | ولكَمْ نعوشٍ فى الرقاب زيافِ
مُتمايِلَ الأَعوادِ ممّا مَسَّ من | كَرَمٍ ، ومما ضَمَّ من أعطاف
وإذا جلالُ الموتِ وافِ سابغٌ | وإذا جلالُ العبقريّةِ ضافى
ويْحَ الشبابِ وقد تَخطَّر بينهم | هل مُتِّعوا بتمسُّحٍ وطَواف ؟
لو عاش قدوتُهم ورَبُّ « لِوائهم » | نَكَسَ « اللواءَ » لثابتٍ وقّاف[٥]
فلكَمْ سقاه الودَّ حينَ وِدادُه | حربٌ لأهل الحكمِ والإشراف
لا يومَ للأَقوامِ حتى يَنهضوا | بقوادمٍ من أمسِهم وخوافى[٦]

* * *

(١) السحر : الرئة . والنحر : أعلى الصدر . والأكتاف : جمع كتف ، وهو الجانب .

(٢) يريد بقوله « أرحم حية » : القلب . والشغاف ( بالفتح ) : غلاف القلب .

(٣) العباب : هو الموج . والرجاف : البحر .

(٤) الأثافى : جمع أثفية ، وهى ما يوضع عليه القدر .

(٥) رب لوائهم : يقصد به صاحب جريدة اللواء ، ومنشئها زعيم الشباب الأول المرحوم مصطفى كامل باشا .

(٦) القوادم والخوافى : ريش فى جناح الطائر . وقد ورد فى قول بعضهم :

* فإن الخوافى قوة للقوادم *

لا يُعْجِبنَّكَ ما ترى من قُبَّةٍ ضربوا على موتاهُم ، وطِراف[1]
هجموا على الحقِّ المبينِ بباطلٍ وعلى سبيل القصدِ بالإسراف[2]
ينون دارَ اللهِ كيف بدا لهم غُرُفاتِ مُثْرٍ ، أو سقيفةَ عافى[3]
ويُزوِّرون قبورَهم كقصورهم والأرضُ تضحك والرُّفاتُ الساف

* * *

فُجعَتْ رُبى الوادى بواحد أيكِها وتجرَّعَت ثُكْلَ الغديـر الصافى
فقدتْ بنانًا كالربيع ، مُجيدةً وشْىَ الرياضِ وصنعَةَ الأفواف[4]
إن فاته نسَبُ « الرَّضِىِّ » فرُبَّما جَرِيا لغايةِ سُؤْدَدٍ وطِراف[5]
أو كان دون أبى « الرضىِّ » أُبوَّةً فلقد أعادَ بيانَ « عبدِ مَنافِ »
شرفُ العصاميِّين صُنْعُ نفوسِهم مَن ذا يقيس بهم بنى الأشراف ؟
قل للمشير إلى أبيهِ وجَدهِ أعَلِمْتَ للقمَرينِ من أسلاف ؟
لو أن ( عمرانًا) نِجارُك لم تَسُدْ حتى يُشارَ إليك فى الأعراف[6]

* * *

---

(١) طراف — على وزن كتاب : بيت من أدم ، ويقصد بها المقاصير الموضوعة على بعض القبور .

(٢) القصد : الاعتدال ، وهو فى كل شيء ضد الإسراف .

(٣) العافى : الفقير . (٤) الأفواف : الثياب الرقيقة .

(٥) الطراف : هنا من قولهم : توارثوا المجد طرفا ، أى عن شرف ورفعة . والرضى : هو الشريف الرضى الشاعر المشهور .

(٦) عمران : أبو موسى عليه السلام ، وقد نزلت فى القرآن المجيد سورة باسم آل عمران ، كما نزلت سورة باسم الأعراف .

قاضى القضاة جَرَتْ عليه قضيّةٌ　　للموتِ ، ليس لها من استئناف
ومُصَرِّفُ الأَحكامِ مَوكولٌ إلى　　حُكم المنيَّة ، مالَه من كاف
ومُنادِمُ الأَملاكِ تحت قِبابهم　　أَمسَى تُنادِمُه ذِئابُ فَيافِى(١)
فى منزلٍ دارت على الصِّيدِ العُلا　　فيه الرَّحَى ومشتْ على الأَرداف(٢)
وأُزِيلَ من حُسن الوُجوهِ وعِزِّها　　ما كان يُعبد من وراءِ سِجاف(٣)
من كلِّ لمَّاحِ النعيم تقلَّبتْ　　دِيباجَتاهُ على بِلًى وجَفاف
وترى الجماجِمَ فى الترابِ تماثَلتْ　　بعدَ العقولِ تماثُلَ الأَصداف
وترى العيونَ القاتِلاتِ بنظرةٍ　　مَنهوبَةَ الأَجفانِ والأَسياف(٤)
وتُراعُ من ضَحِكِ الثُّغورِ ، وطالما　　فتنَتْ بحُلْو تبسُّمٍ وهُتاف
غَزَت القرونَ الذاهبين غزالةٌ　　دمُهم بذِمّة قَرْنِها الرَّعاف(٥)
يَجرى القضاءُ بها ، ويجرى الدهرُ عن　　يَدِها ، فيا لثلاثةٍ أُحلاف !
تَرمى البريَّةَ بالحُبولِ ، وتارةً　　بحبائلٍ من خَيْطِها وكِفاف(٦)
نَسجتْ ثلاثَ عَمائِمٍ ، واستحدَثتْ　　أَكفانَ موتى من ثيابِ زِفاف(٧)

* * *

(١) الأملاك : الملوك . والفيافى : الصحارى .

(٢) الصيد العلا : الملوك . والأرداف : أبناء الملوك ، أو الذين يلونهم فى المرتبة .

(٣) السجاف : الستر ، كالكلل ونحوها .

(٤) يريد « بأسياف العيون » : اللحاظ ، وكثيرا ما تعمل اللحاظ فى الناس عمل السيوف ، وعبر بالأسياف ليجانس بينها وبين الأجفان .

(٥) غزالة : هى الشمس . والرعاف : أى قرنها الأحمر الذى يشبه الدم .

(٦) الكفاف : حبائل الصائد .

(٧) ثلاث عمائم : الشعر الأسود ، والأسود فيه شيب ، والأبيض ، أى أدوار العمر الثلاثة .

« أأبا الحُسين » ، تحيةً لثراكَ من ... رُوحٍ وريْحانٍ وعَذْبِ نِطاف
وسَلامُ أهلٍ وُلْــدِهِ وصَحابـةٍ ... حَسرَى على تلك الخِلالِ لِهاف
هل فى يَدَىَّ سوى قريضٍ خالدٍ ... أُزجيهِ بين يَدَيْكَ لِلإتحاف ؟
ما كان أكرَمَه عليك ! فهل ترى ... أنى بَعثتُ بأكرمِ الألطاف ؟
هذا هو الرَّيحانُ ، إلا أنه ... نَفحاتُ تلك الروْضةِ المِئْناف[1]
والدُّرُّ ، إلا أن مَهْدَ يتيمِه ... بالأمسِ لُجَّةُ بحرِك القذَّاف
أيامَ أمرَحُ فى غُبارِكَ ناشئًا ... نَهْجَ المِهار على غُبار « خِصاف »[2]
أتعلَّمُ الغاياتِ كيف تُرامُ فى ... مِضمارِ فضلٍ أو مَجالِ قوافى

* * *

يا راكبَ الحدباءِ ، خلِّ زِمامَها ... ليس السبيلُ على الدليل بِخافى
دانَ المطىَّ الناسُ ، غيرَ مطيَّةٍ ... للحقِّ ، لا عَجْلَى ، ولا مِيجاف[3]
لا فى الجيادِ ، ولا النِّياقِ ، وإنما ... خُلِقَتْ بغير حوافرٍ وخِفاف
تنتاب بالركبانِ منزلةَ الهدى ... وتَؤُمُّ دار الحقِّ والإنصاف
قد بَلَّغَتْ ربَّ المدائنِ ، وانتهتْ ... حيثُ انتهيْتَ بصاحبِ الأحقاف[4]

* * *

نَمْ مِلءَ جَفنِك ، فالغُدُوُّ غوافلٌ ... عمّا يَروعُك ، والعَشِىُّ غوافى
فى مَضجعٍ يكفيك من حسناتِه ... أن ليس جَنْبُك عنه بالمتجافى

---

(١) الروضة المئناف والأنف : هى التى تحمى فلا يكاد أحد يمر بها أو يجتنى منها .

(٢) المهار : جمع مهر ، وخصاف : فرس مشهور فى العرب .

(٣) الميجاف : السريعة .

(٤) رب المدائن : كسرى . وصاحب الأحقاف : عاد .

واضحك مِن الأَقدارِ غير معجَّزٍ ... فاليوم لست لها من الأَهـداف

والموتُ كنتَ تخافه بك ظافرًا ... حتى ظفِرْت به ، فدَعْه كَفـاف

قُلْ لى بسابقةِ الوِدادِ : أَقاتِـلٌ ... هو حين يَنزِلُ بالفَتى ، أَم شافِ ؟

فى الأَرضِ من أَبوَيْكَ كنزا رحمةٍ ... وهوًى ، وذلك من جِوارٍ كافِ

وبها شبابُك واللّداتُ ، بكيتـه ... وبكيتهم بالمدْمَـع الـذَّرَّاف

فاذهب كمصباحِ السماءِ، كلاكما ... مال النهار به ، وليس بطافِ

الشمسُ تُخْلَفُ بالنجومِ ، وأَنت بالـ ... ـآثار ، والأَخبار ، والأَوصاف

غلب الحياةَ فتًى يسدُّ مكانَها ... بالذكرِ ، فهو لها بَدِيلٌ وافِ

●●●

# فوزى الغزى(*)

جرحٌ على جرحٍ! حَنانَكِ (جِلَّقُ) حُمِّلْتِ ما يُوهِى الجبالَ ويُزْهِــقُ(١)
صبرًا لباة الشرقِ ؛ كلُّ مصيبــةٍ تبْلَى على الصبر الجميـلِ وتخلـق(٢)
أنسيتِ نـار الباطشين ، وهــزّةً عَرَتِ الزمانَ ، كأَن (روما) تُحرَقُ(٣)
رعنـاءَ أَرسلهـا ودسّ شُواظَهـا فى حجـرةِ التـاريخ أَرْعَــنُ أَحمق(٤)
فـمشتْ تُحطِّـم بـاليمين ذخيرةً وتُلصُّ أُخرى بالشمال وتَسْرِق ؟
جُنَّتْ، فضعضعها، وراضَ جِمَاحَها من نَشْئِكِ الخُمْسِ الجنونُ المُطْبِق
لِقِـىَ الحديـدُ حَمِيَّـةً أُمَوِيَّــةً لا تكتسى صَدَأً ، ولا هى تُطْرق
يا واضعَ الدّستورِ أَمسِ كخُلْقِه ما فيه من عِوَجٍ ، ولا هُو ضيِّق
نظمٌ من الشورى ، وحكمٌ راشدٌ أَدبُ الحضارةِ فيهمـا والمنطِــق
لا تَـخْشَ مّمـا أُلحقـوا بكتابــه يَبقَى الكتابُ وليس يبقَى المُلْحق
مَيْتَ الجلالِ ، من القوافى زَفْـرةٌ تجرى ، ومنها عبْــرَةٌ تترقــرق
ولقـد . بَعثتُهمـا إِليكَ قصيـدةً أَفأَنتَ مُنتظِرٌ كعهـدكَ شَيِّــق ؟
أَبكـى ليالِينَـا القِصار وصحبــةً أَخذَتْ مُخِيلتُها تجِيش وتَبْـرُق(٥)

---

(*) فوزى الغزى : هو أحد سراة الزعماء فى الشام ، وأحد ألوية الثورة العربية فى نهضتها العظمى، توفى وقيمت له حفلة تأبين فى دمشق، وألقيت فيها هذه القصيدة العصماء فى سنة ١٩٢٠ .

(١) جلق ( بشدة اللام مفتوحة أو مكسورة ) : دمشق .

(٢) اللباة : أنثى الأسد .

(٣) يشير إلى ضرب الفرنسيين لها بالمدافع . وحادثة حرق روما : هى إحدى الحوادث التاريخية الكبرى ، وهى مضرب المثل منذ صار نيرون مثلا للظلم والجبروت .

(٤) الشواظ ( بضم الشين وكسرها ) : لهب لا دخان فيه .

(٥) السحابة المخيلة : التى تحسب ماطرة ، أى أن صحبة الفقيد كانت مرجوة الخير كما تكون السحابة المخيلة مرجوة المطر .

لا أَذكـرُ الدنيـا إِليك ؛ فربّمـا كرِه الحديثَ عن الأُجاجِ المغرَق[١]

طُبعتْ من السّمّ الحياةُ ، طعامُها وشرابُها ، وهواؤهـا المتـنشَّق

والنـاسُ بين بَطيئِهـا وذُعافِهـا لا يعلمـون بـأَىِّ سمَّيْهـا سُقُـوا[٢]

أَمـا الولِىُّ فقـد سقـاكَ بسمِّـه ما ليس يَسقيك العـدوُّ الأَزرق[٣]

طلبوك والأَجلُ الوَشِيكُ يَحُثُّهم ولكـلِّ نـفسٍ مُـدَّةٌ لا تُسبَـق

لما أَعـان الموتُ كَيْـدَ حِبـالهم عَلِقَتْ ، وأَسبابُ المنيةِ تَعلَـق

طَـرَقَتْ مِهـادَك حَيـةٌ بَشَريـةٌ كفـرتْ بما تنتابُ منه وتطرُق[٤]

* * *

يا (فوز) ، تلك دمشقُ خلفَ سَوادِها ترمـى مكـانكَ بالعيـون وتَرْمُـق[٥]

ذَكَرَتْ ليالِىَ بدرِهـا ، فتلفَّـتَتْ فعساك تَطلُع ، أَو لعـلَّك تُشرِق

(بـرَدَى) وراءَ ضِفافِه مُستعبِـرٌ والحورُ مَحلولُ الضفائر مُطْـرِق[٦]

والطيرُ فى جَنبـاتِ (دُمَّـر) نُـوَّحٌ يَجِـدُ الهمـومَ خَلِيُّهـن ويَـأْرَق[٧]

ويقـول كـلُّ مُحـدِّثٍ لسميره أَبذاتِ طَوْقٍ بعدَ ذلك يُوثَـق ؟[٨]

* * *

(١) الأجاج : الملح المر .

(٢) الذعاف : سم الساعة .

(٣) العدو الأزرق : هو الكثير العداوة .

(٤) المهاد : الفراش ، وفى هذا البيت إشارة إلى حادثة قتل الفقيد بواسطة زوجته .

(٥) سواد دمشق : أى القرى التابعة لها .

(٦) بردى : نهر بالشام . المستعبر : بمعنى الباكى . الحور : شجر . ضفائر الحور : غصونه التى تشبه جدائل الشعر .

(٧) دمر ( بضم الدال وتشديد الميم المفتوحة ) : عقبة فى دمشق . خليهن : الخالى من الهموم ، وهو ضد الشجى .

(٨) ذات الطوق : الحمامة ، وهى فى هذا البيت كناية عن المرأة .

عَشِقَتْ تَهاويلَ الجمالِ ، و لم تَجِدْ ... فى العبقريَّة ما يُحَبُّ ويُعْشَق[١]

فمشَتْ كأَنَّ بنانَها يَدُ مُدْمِنٍ ... وكأن ظلَّ السمِّ فيها زِئْبَق

ولو آنّ مقدورًا يُرَدُّ لردَّها ... بحياته الوطنُ المَرُوعُ المُشْفِق

أَشقى القضاءُ الأَرض ، بعدَك أُسرة ... لولا القضاءُ من السماءِ لما شَقوا

قَسَتِ القلوبُ عليهمُ وتحجَّرَتْ ... فانظر فؤادَك ، هل يلينُ ويَرفُق ؟

إن الذين نزلْتَ فى أَكنافهم ... صَفحوا ، فما منهم مَغيظٌ مُحْنَق

سَخِروا من الدنيا كما سَخِرَتْ بهم ... وَانْبَتَّ من أَسبابها المُتَعَلِّق[٢]

يا مأْتمًا من ( عبدِ شمسٍ ) مثلُه ... للشمس يُصْنَعُ فى الممات ويُنْسَق

إن ضاق ظهرُ الأَرضِ عنك فبطنُها ... عمّا وراءَكَ من رُفاتٍ أَضْيق[٣]

لما جَمَعْتَ الشامَ من أَطرافِه ... وافَى يُعزِّى الشامَ فيك المشرِق

يبكى لواءَ من شبابِ أُميَّةٍ ... يَحمى حِمَى الحق المبينِ ويَخفق

لمستْ نواصِيها الحصونُ ترومُه ... وتلَمَّستْهُ فلم تجِدْه الفيْلَق[٤]

ركنُ الزعامةِ حين تطلب رأْيَه ... فيَرى ، وتسْأَله الخطابَ فينْطِق

ويكاد من سحرِ البلاغةِ تحتَه ... عودُ المنابرِ يُستخَف فيُورِق[٥]

( فيحاءُ ) ، أَين على جِنانِك وردةٌ ... كانت بها الدنيا ترِفُّ وتعْبَق ؟[٦]

---

(١) التهاويل : الألوان المختلفة .

(٢) انبت ، أى قطع .

(٣) الرفات : بقايا الميت .

(٤) نواصى الحصون : أعاليها .

(٥) يستخف ، بمعنى يسر ويطرب .

(٦) فيحاء : دمشق .

علويّـــة تجد المسامــــع طيها　　　وتُـحِسُّ ريَّاهـا العقـولُ وتَـنشَق
وأَرائِكُ الزَّهرِ الغصونُ ، وعرشُها　　　يَـدُ أُمـةٍ وجبينُهـا والمفْـرق
مَنْ مُبْلِغٌ عنّـى شُبولـة جِلَّـقٍ　　　قولاً يَبرُّ على الزمـان ويصْدُق ؟
بـاللهِ جـلَّ جلالُـه ، بمحمـدٍ　　　بيسوعَ ، بالغـزِّىِّ لا تتفرّقـوا
قـد تُـفْسِدُ المرْعَى على أخـواتها　　　شاةٌ تنِـدُّ من القطيـع وتَمْـرُق

●●●

# كريمة البارودى[*]

أَحيثُ تَلوحُ المُنى تأفلُ ؟ كفى عِظةً أيها المنزلُ ![١]

حكيْتَ الحياةَ وحالاتِها فهلاً تخطَّيْتَ ما تنقل ؟

أَمِن جنْحِ ليلٍ إلى فجرِه حِمًى يَزْدَهِي ، وحِمًى يَعْطل ؟[٢]

وذلك يوحِش من ربةٍ وذلك من رَبَّةٍ يَأْهَل ؟[٣]

أجاب النَّعِيُّ لدِيْكَ البشيرَ وذاقَ بكأسَيْهما المحفِل

وأَطرق بينهما والدٌ أخو ترَحةٍ ، ليلُه أَلْيَل[٤]

يَفيءُ إلى العقل فى أَمره ولٰكِنَّهُ القلبُ ، لا يعقِل

تهاوت عن الوردِ أغصانُه وطارَ عن البيْضة البُلْبُل[٥]

وراحت حياةٌ ، وجاءَت حياةٌ وأظهرَ قدرتَه المُبْدِل

وما غيرُ مَنْ قد أتى مُدْبِرٌ ولا غيرُ مَنْ قد مضى مُقبِل

كأنى ( بسامى ) هلوعُ الفؤادِ إذا أُسمِعَتْ همْسةٌ يَعجَل

يَرى قدرًا يأمُل اللُّطفَ فيه وعادِى الرَّدَى دون ما يَأْمُل

يُضيءُ لضِيفانه بِشْرُه وبين الضلوعِ الغَضَى المُشْعَل[٦]

---

(*) وجه هذه القصيدة يعزى بها المرحوم محمود سامى باشا البارودى فى كريمته التى توفيت أثناء زفاف شقيقتها .

(١) تلوح المنى : بمعنى تشرق ، تأفل : بمعنى تغرب .

(٢) جنح الليل ( بضم الجيم وكسرها ) : طائفة منه . يعطل : بمعنى يخلو . والأصل فى العطل : التجرد من الحلى .

(٣) الربة هنا : يقصد بها صاحبة البيت . يأهل : يمتلئ أو يعمر .

(٤) الترحة : الحزن . الأليل : الشديد السواد .

(٥) تهاوت : أى تساقطت أو تخلت .

(٦) الغضى : شجر إذا اشتعل بقى جمره طويلا .

ويَقْرِيهُـــمُ الأُنسَ فى منــــزِلٍ ... ويَجمعُـــــه والأَسى مَنـــــزِل

فمـن غـادةٍ فى مَجالِي الزِّفـافِ ... إلى غـــادةٍ داؤهـــا مُـــعْضِل

وذى فى نفاسِتِهَـــا تَنطـــوى ... وذى فى نفائسهـــا تَرفُـــل[١]

تَـــقسَّمَ بينهمـــا قلبُــــه ... وخانتــه عينــاه والأَرْجُـــل

فيانكـدَ الحُـرِّ ، هـل تنـقضى ؟ ... ويـا فـرح الحرِّ ، هـل تكْمُـل ؟

ويا صبر ( سامى ) ، بلغْتَ المَدى ... ويا قلبه السهـلَ ، كم تَحْمِـل ؟

لقـد زدْتَ مـن رِقَّــةٍ كالصراط ... ودون صَلابـتِكَ الجَنْـــدَل

يَمرّ عليك خليـطُ الخُطـوب ... ويجتـازك الخِـفُّ والمُثقِـــل[٢]

ويا رجل الحِلْمِ ، خُذ بالـرضى ... فــذلك مــن مُتَّــق أَجْمَـــل

أَتحسَب شهـــدا إنــاءَ الزّمــانِ ... وطينتُــه الصابُ والحَنْظَـــل ؟

ومـــا كان مِــن مُــرِّه يَعــتلى ... ومـا كان مِـن حُلـوِه يسْفـل

وأَنت الــذى شربَ المترَعـــاتِ ... فــأَىُّ البــواقِ بــه تَحفِـل ؟

أَفى ذا الجلالِ ، وفى ذا الوقـــارِ ... تُخيِــفُك ضَراءُ أَو تُذهِــل ؟

أَلم تكـــن المُلْكَ فى عـــزِّه ... وبــاعُك مــن باعــه أَطْــوَل ؟

وقولُك من فـوق قـولِ الرِّجــالِ ... وفعـلُك مـن فعلهـم أَنْبَــل ؟[٣]

ستعـرِفُ دنيـاك مـن ساومتْ ... وأَن وقـــارَك لا يُبْــــذَل

كأَنك ( شمشونُ ) هٰذى الحيـاةِ ... وكُـــلُّ حوادِثهـــا هَيْكَــل[٤]

●●●

(١) النفاسة من قولهم : هذا شيء نفيس ، أى ثمين يرغب فيه . والنفائس : الحلى وما أشبهها .

(٢) الخف : الخفيف . المثقل : الثقيل .

(٣) يشير إلى زمن الثورة العرابية ، وموقف البارودى منها .

(٤) شمشون : أحد أنبياء التوراة ، وله قصة هناك تدل على أنه أعطى بسطة عظيمة فى القوة .

## فتحي ونوري(*)

أنظر إلى الأقمار كيف تزولُ ... وإلى وُجوهِ السَّعْدِ كيف تَحول
وإلى الجبالِ الشُّمِّ كيف يُميلُها ... عادى الرّدى بإشارةٍ فتميل
وإلى الرّياح تَخِرُّ دون قَرارِها ... صرْعَى عليهن التُّرَابُ مَهيل
وإلى النُّسورِ تقاصرت أعمارُها ... والعهدُ فى عُمر النُّسورِ يَطول
فى كلِّ منزلةٍ وكل سمِيَّة ... قمرٌ من الغُرِّ السُّماةِ قتيل
يهوى القضاءُ بها ، فما من عاصِمٍ ... هيهات ! ليس من القضاءِ مُقيل
(فتحُ السماءِ) و (نورُها) سكنا الثرى ... فالأرضُ وَلْهى ، والسماءُ ثكول
سِرْ فى الهواءِ ، ولُذ بناصيةِ السُّها ... الموتُ لا يخفَى عليه سبيل(1)
واركبْ جَناحَ النسر لا يَعْصِمْك من ... نسرٍ يُرفرفُ فيه عزرائيل
ولكلّ نفسٍ ساعةٌ ، مَنْ لم يَمُتْ ... فيها عزيزًا مات وهْوَ ذليل
أإلى الحياةِ سَكَنْتَ وهْى مَصارعٌ ... وإلى الأمانى يَسكنُ المسلول ؟
لا تَحفِلنّ ببؤسِها ونعيمِها ... نُعْمى الحياةِ وبؤسُها تضليل
ما بين نَضرَتِها وبين ذُبولِها ... عمرُ الورودِ ، وإنه لقليل
هذا بَشيرُ الأمسِ أصبح ناعيًا ... كالحلم جاءَ بصدِّه التأويل
يجرى من العَبراتِ حولَ حديثِه ... ما كان من فرَحٍ عليه يَسيل

---

(*) فتحى ونورى : هما الطياران العثمانيان اللذان قدما إلى مصر فى سنة ١٩١٣ يقودان طيارتهما ، فسقطت بهما ، فماتا ، فكان لمصابهما فى مصر أسف شديد ، وكانت الخلافة الإسلامية وقتئذ ماتزال تربط المصريين بالعثمانيين .

(1) السها : كوكب خفى من بنات نعش الصغرى .

ولـرُبَّ أعـراسٍ خَبَـأْن مآتمًـا ... كالرُّقْـط فى ظـلّ الريـاضِ تقيـل[١]

يا أيُّها الشهداءُ ، لن يُنْسى لكم ... فتـحٌ أغـرُّ على السمـاءِ جميـل

والمجدُ فى الدنيـا لأوّلِ مُبتـنٍ ... ولمِـن يُشيِّـد بعـده فُيطيـل

لولا نفوسٌ زُلْنَ فى سُبُل العُـلا ... لم يَهْـدِ فيها السالـكين دَليـل

والناسُ بـاذلُ روحِـه ، أو مالِـهِ ... أو علمِـه ، والآخـرون فُضول

والنَّصرُ غرَّتُه الطلائعُ فى الوغَـى ... والتابعون من الخميس حُجـول[٢]

كم ألـف مِيـلٍ نحو مصرَ قطعتـمُ ... فِيم الوقوفُ ودون مصرٍ ميـل ؟

( طوروسُ ) تحتكم ضئيلٌ ، طرْفُه ... لمّـا طلَعتم فى السحـاب كَلِيـل

تُرخـون للـريح العِنـان ، وإنها ... لكـمُ على طُغيـانها لذَلـول

اِثنين إثر اثنين ، لم يخطر لكـم ... أنّ المنيّـة ثـالثٌ وزَميـل

ومن العجائب فى زمانِك أن يَفِى ... لك فى الحياةِ وفى الممات خليـل

لـو كان يُفـدَى هالكٌ لَفداكـمُ ... فى الجوّ نسرٌ بالحيـاة بَخيـل

أيُّ الغُزاةِ أولِى الشهـادةِ قبلكـم ... عَرْضُ السماءِ ضريحُهم والطُّول ؟[٣]

يَغْـدو عليكـم بالتحيَّـةِ أهلُهـا ... ويرفـرِفُ التسبيـح والتهليـل

---

(١) يريد أن الأحزان تختبىء فى الأرواح ، كما تكمن الحيات الرقط وقت القيلولة فى ظلال الرياض ، فوجود الحيات فى ذلك الجو تسميم له ومانع من الانتفاع به ، كما أن انطواء الأحزان فى ثنايا الأفراح مسمم لجوها ، مانع من الاستمتاع بكل سرورها .

(٢) الخميس : الجيش . الحجول : أصلها من اللون الأبيض يكون فى قوائم الفرس كأنه العلامات ، يقول : إن الذين يقدمون فى أوائل الجيوش ، يكونون فى جسم النصر أشبه بالغرة ، وهى لا تكون إلا فى الوجه ، على حين أن غيرهم من سائر الجيش يكون أشبه بالحجول ، وهى لا تكون إلا فى الأيدى والأرجل ، وطبيعى أن الوجه أشرف ، وإن كانت الحجول بعض سمات الجمال .

(٣) فى هذا البيت ترغيب عظيم يساق للطيارين ، إذ يقول لهم : إن الغزاة — وهم موضع الإجلال والإكبار — تشق قبورهم فى الأرض ، ولكن أضرحتكم فى السماء .

(إدريسُ) فوقَ يمينـهِ ريْحَانـةٌ ... ويَسوعُ فوق يمينِـه إكليـل[1]
فى عالم سُكّانُـه أنفاسُهـم ... طِيب ، وهَمْسُ حديثِهم إنجيل[2]
إنى أخاف على السماءِ من الأذى ... فى يومِ يُفْسِد فى السماءِ الجيل[3]
كانت مطهَّرة الأديـمِ ، نَقِيَّـةً ... لا آدمٌ فيها ، ولا قابيـل[4]
يَتوجَّـه العـانى إلى رحماتِهـا ... ويرَى بها برقَ الرجـاءِ عليل
ويُشيرُ بالرأسِ المُكَلَّلِ نحوَهـا ... شيخٌ ، وباللحظِ البرىءِ بَتول[5]
واليومَ للشهواتِ فيها والهوى ... سَيْلٌ ، وللدَّمِ والدموعِ مسيل
أضحتْ ومن سُفن الجواءِ طوائفٌ ... فيها ، ومن خيل الهواءِ رَعيل[6]
وأزيل هيكلُها المصونُ وسِرُّه ... والدهرُ للسر المصونِ مُذيل[7]

* * *

هلِعَت (دِمشْق) ، وأقبلَتْ فى أهلها ... ملهوفةً ، لم تدر كيف تقول
مَشَت الشُّجونُ بها ، وعمَّ غِياطَها ... بينَ الجداولِ والعيونِ ذُبول[8]
فى كلِّ سهلٍ أنَّةٌ وَمناحةٌ ... وبكلِّ حَزْنٍ رنَّةٌ وعويل

---

(١) يسوع : هو عيسى ابن مريم . إدريس : هو أحد الأنبياء الرسل . وقد خص إدريس بالذكر ، لما جاء فى قصة الإسراء ، من أن النبى صلوات الله عليه رآه قائما على باب إحدى السموات السبع ، فسأل جبريل : من هذا ؟ فقال : أخوك إدريس .

(٢) قوله : « وهمس حديثهم إنجيل » : يقصد أن أحاديثهم طهر وتقديس .

(٣) يريد أنه خائف على جو السماء يوم يتخذه الطيارون ميدانا للحروب ، فيلوثون ذلك الطهر بأذى قتل الناس وتخريب أوطانهم .

(٤) يريد « بقابيل » الإشارة إلى أول دم أراقه الإنسان ظلما لأخيه الإنسان .

(٥) الرأس المكلل : الذى يتوجه الشيب ، وهذه كناية عن حالة الضعف .

(٦) خيل الهواء : الطيارات . الرعيل : القطعة من الخيل قدر العشرين أو الخمسة والعشرين .

(٧) مذيل : مهين . أى أن الدهر لم يحسن حفظ هذا السر المصون فكأنه إهانة .

(٨) الغياط : جمع غوطة ، وهى الموضع الكثير الماء والشجر . ويقصد « بالعيون » عيون الماء .

وكأنما نُعِيَتْ أُمَيَّةُ كلُّها … للمسجد الأَمَوِىِّ ، فهْوَ طُلول[١]

خضَعَتْ لكم فيه الصفوفُ ، وأُزْلِفَتْ … لكمُ الصَّلاةُ ، وقُرِّبَ الترتيل

من كلِّ نَعْشٍ كالثُّريّا ، مَجْدُه … فى الأَرضِ عالٍ ، والسماء أُصيل

فيه شهيدٌ بالكتاب مُكفنٌ … بمدامع الروحِ الأَمين غَسيل

أَعواده بين الرجالِ ، وأُصلُه … بين (السُّهى) و (المُشتَرِى) مَحمول[٢]

يَمشى الجنودُ به ، ولولا أَنهم … أَوْلَى بذاكَ مَشى به جِبريل

حتى نزلتم بُقعةً فيها الهوٰى … من قبلُ ثاوٍ ، والسماحُ نَزيل

عَظُمَتْ، وجلَّ ضَريحُ (يوسفَ) فوقَها … حتى كأَنَّ الميْت فيه رسول[٣]

* * *

شِعرى ، إذا جُبْتَ البحار ثلاثةً … وحواكَ ظلٌّ فى ( فروقَ ) ظَليل[٤]

وتداولَتْكَ عصابةٌ عربيّةٌ … بينَ المآذنِ والقِلاعِ نُزول

وبَلغْتَ من بابِ الخِلافةِ سُدَّةً … لِستُورِها التمسيحُ والتقبيل

قلْ للإمام محمدٍ ، ولآله … صبرُ العظامِ على العظيم جميل

تلك الخطوبُ — وقد حملتم شطرَها — … ناءَ الفراتُ بشطرها والنيل

إن تَفقِدوا الآسادَ أَو أَشبالَها … فالغابُ من أَمثالها مَأْهول

صبرًا ؛ فأَجرُ المسلمين وأَجرُكم … عند الإلٰه ، وإنه لجزيل

يا مَنْ خلافتُه الرَّضِيَّةُ عِصْمَةٌ … للحقِّ ، أَنت بأَن يُحقّ كفيل

واللهُ يعلم أَنّ فى خلفائه … عدلاً يُقيم الملكَ حين يَميل

والعدلُ يَرفع للممالك حائطًا … لا الجيشُ يرفعه ولا الأُسطول

(١) طلول : جمع طلل . وهو ما شخص من آثار البناء .

(٢) المشترى : من الكواكب السيارة .

(٣) يقصد « بيوسف » صلاح الدين الأيوبى .

(٤) جبت : قطعت . فروق : الآستانة ، وكانت عاصمة الخلافة الإسلامية وقتئذ .

هـذا مقـامٌ أنت فيـه محمـدٌ    والرفـقُ عنـد محمـدٍ مأمـول[١]

بالله ، بالإسلام ، بالجرحِ الذى    ما انفكَّ فى جنب الهلال يَسيـل

إلا حللت عـن السجين وَثاقَـه    إنَّ الوثـاقَ على الأسودِ ثَقيـل[٢]

أيقـول واشٍ ، أو يُـرَدِّدُ شامتٌ    صِنديدُ (برقة) مُوثَقٌ مَكبـول ؟[٣]

هو من سيوفِك أغمـدُوه لريبـةٍ    مـا كان يُغمَـدُ سيفُك المسلول

فاذكـر أميـرَ المؤمـنين بَـلاءَه    واستبقـه ، إن السيـوفَ قليـل

●●●

---

(١) كان يخاطب الخليفة محمد رشاد .

(٢) السجين : هو عزيز بك المصرى القائد الحربى العظيم ، وكان يجاهد فى طرابلس أيام أغار عليها الطليان ، وقد وشى به للحكومة التركية ، فاعتقلته وزجت به فى السجن ، و لم يخرج إلا بتحقيق وشفاعة مصرية ، كانت هذه القصيدة من بعض ظواهرها ومن أجمل مظاهرها .

(٣) برقة : أحد الأقاليم الليبية حدثت به أهم الوقائع الحربية فى تلك الإغارة ، وفيها لمع مجد عزيز بك .

# على باشا أبو الفتوح[*]

| | |
|---|---|
| مـا بيـنَ دمعِـى المُسْبَـلِ | عهـدٌ وبيـنَ ثَـرَى ( عَلـيِ ) |
| عهـدُ ( البقيـعِ ) وساكنيـ | ـه على الحَيـا المتهدِّل[1] |
| والدَّمـعُ مروحَـةُ الحزيـ | ـنِ وراحَـةُ المُتَمَلْمِـل |
| نَـمضى ، ويَلحَقُ مـنْ سلا | فى الغابريـنَ بمَـنْ سُلى |
| كم مِـنْ تُـرابٍ بالدمـو | عِ على الزمـان مُبلَّـل |
| كالـقبر مـا لم يَبْـلَ فيـ | ـه من العِظام ، ومـا بلـىِ |
| ريَّـان مـن مجد يعِـ | ـزُّ على الـقصور موئَّـل |
| أمسَتْ جوانِبُـه قَـرا | را للنُّجـوم الأُفَّـل |
| وحديثُهـم مِسكُ النَّـدِ | ىِّ ، وعَنْبَـرٌ فى المحفِـل |

* * *

| | |
|---|---|
| قلْ للنّعِىِّ : هتـكْت دَمـ | ـعَ الصابـر المتَجمِّـل[2] |
| المُلتقِـى الأَحـداثَ إنْ | نـزلَتْ كـأن لَّـم تَنـزِل |
| حَمَلَ الأَسَى ( بأَبى الفتو | ح ) علَىَّ مـا لـمْ أَحمِـل[3] |
| حتى ذَهِلْتُ ، ومن يَـذُق | فقـدَ الأَحِبَّـةِ يَذْهَـل |
| فعتْبتُ فى رُكـن ( الـقضا | ءِ ) على الـقضاءِ المُنْـزَل |

---

(*) على باشا أبو الفتوح : أحد نوابغ مصر الذين اشتركوا فى تمهيد الطريق لنهضتها ، كان حقوقيا ضليعا ، وأسندت له وكالة وزارة المعارف ، فكان موضع الفخر والأمل ، وقد توفى سنة ١٩١٣ ، فعد موته خسارة وطنية كبرى .

(١) البقيع : أحد المزارات المقدسة فى المدينة المنورة .

(٢) المتجمل : الذى يدفن همه فى صدره احتسابا ويظهر عكسه للناس .

(٣) الأسى : الحزن .

لَهَفِى على ذاك الشبا ... بِ وذلك المستقبَل
وعلى المعارف إذ خَلتْ ... من ركنِها والموئِل(١)
وعلى شمائلَ كالرُّبَى ... بين الصَّبا والجدول
وحياءِ وجهٍ كان يُؤ ... ثَر عن « يَسوعَ » المرسَل

* * *

يا راويًا تحتَ الصفيـ ... ـحِ من الكرى والجندل(٢)
ومُسَربلاً حُلَلَ الوزا ... رةِ بات غيرَ مُسَربَل
ومُوَسدًا حُفَرَ الثرى ... بعدَ البناءِ الأَطول
إنى التفتُّ إلى الشبا ... ب الغابرِ المتمثِّل
ووقفتُ ما بين المحقَّـ ... ـقِ فيه ، والمتخيَّل
فرأيت أيامًا عَجِلْـ ... ـنَ ، وليْتَها لَمْ تَعْجَل
كانت مُوَطَّأَةَ المِهَا ... دِ لنا ، عِذاب المنهَل
ذَهَبَتْ كحُلمٍ ، يشْـدَ ... أَنَّ الحُلمَ لم يتأَوَّل
إذ نحن فى ظِلِّ الشبا ... بِ الوارفِ المتهدِّل(٣)
جاران فى دار النوَى ... مُتقابلانِ بمنزل
أَبكِى وأَبكُكَ ضاحكا ... ن على خمائل مونبِلِى(٤)

---

(١) الموئل : الملجأ الذى يلجأ إليه فى الشدة .

(٢) يريد « بالصفيح والجندل » : حجارة القبر . يستعير بالفقيد — وهو المرفه فى الحياة — كيف ينام هذا النوم العميق تحت الحجارة الصماء الثقيلة ، وهذا حذق فى سياق التفجع بأسلوب الاستعبار .

(٣) المتهدل : من قولهم : تهدلت أغصان الشجر ، إذا تدلت .

(٤) يشير فى هذا البيت والذى قبله ، إلى أن الفقيد كان هو وأمير الشعراء زميلين وصديقين ، كانا يطلبان العلم فى جامعة « مونبلييه » ، وهى إحدى مدن فرنسا الشهيرة . الأيك فى الأصل : عش الطائر . الخمائل : النباتات الكريمة كالحدائق والبساتين .

والـــدرسُ يجمعُنـــى بأفـــ ـضلِ طـــالبٍ ومُـــحصِّل
أيـــامَ تَبْـــذُل فى سبيـــ ـلِ العلـم مـــا لم يُـــذَل
غَضُّ الشباب ، فكيف كنـــ ـت عـن الشبـابِ بمعْـــزِل ؟
وإذا دعـــــاكَ إلى الهوى داعـــى الصَّبـــا لم تحفِـــل
ولـــو اطّلــعْتَ على الحيـــا ةِ فعـــلْتَ مـــا لم يُفعَـــل
لم يَـــدْرِ إلاَّ اللهُ مـــا خبـأْتُ لكَ الدنيـــا ، ولى
تَجـــرى بنـــا لمُفتَّـــح يـــنَ الغُيـــوب ومُقفَـــل
حتـــى تبدَّلْنـــا ، وذا ك العهـــدُ لم يَتبـــدَّل
هاتـــيك أيـــامُ الشبـــا بِ المحسنِ المتـــــفضِّل
مَـــنْ فاتـــه ظـــلُّ الشبيـــ ـبةِ عـــاش غير مُظلَّـــل

* * *

يـــا راحـــلاً أخلَـــى الديـــا رَ وفضلُـــه لم يَرحَـــل
تتحمـــلُ الآمـــالُ إثْـــ ـــر شبابِـــه المتحمِّـــل[1]
مشتِ الشبيبـــةُ جحْفَـــلاً تَبكـــى لِـــواءَ الجحفـــل[2]
فانظر سريَرك ، هـل جـرى فـوق الدمـوعِ الهُطَّـل ؟
الله فى وطـــنٍ ضعيـــ ـفِ الركنِ ، واهـى المعقِل
وأبٍ وراءَك حُزنُـــه لِنـــواك حـــزنُ المثكـــل
يَـــهَبُ الضَّيـــاعَ العامـــرا تِ لمَـــنْ يـــردُّ لـــه « على »
لـــيس الغنـــىُّ مـــن البريَّـــ ـــة غير ذى البـال الخَلِـــى

---

(١) الشباب المتحمل ، أى الراحل .

(٢) الجحفل : الجيش .

ونَجيبــــةٍ بين العقـــا ئِــل هَمُّهـــا لا يـــنسلى[١]
دَخَــلَتْ منازلَهـــا المنـــو نُ على الجرىءِ المُشْبِـــل[٢]
كسرَتْ جنـــاحَ مُنعَّـــمٍ ورمَتْ فـــوادَ مُدلَّــل
فكـــأن آلكَ مـــن شجٍ ومُتيَّـــمٍ ومُرمَّـــل
آل « الحسيـنِ » ( بِكربــلا فى كُربـــةٍلا تنـــجلى )[٣]
خلـعَ الشبــابَ على القنــا وبذلْتَـــه لِلمُـــعْضِل[٤]
والسيــفُ أرحــمُ قاتــلاً مـــن عِلَّـــةٍ فى مَقتــل
فــاذهب كما ذهبَ الحسيـــ ـــــنُ إلى الجوارِ الأفضَل
فكـــلاكما زيـــنُ الشبـــا بِ بجنـــةِ اللهِ الـــعلى

●●●

(١) لا ينسلى : أى لا يمضى ولا يبارح مكانه من قلبها .

(٢) المشبل : هو الذى يلد الأشبال ، وهى أولاد السباع .

(٣) كربلاء : اسم الموضع الذى قتل فيه سيدنا الحسين رضى الله عنه .

(٤) يشبه الفقيد بالحسين ، بجامع بذل الشباب من كليهما وموت كليهما قبل أوانه ، كأنه يرى أن الموت فى سن الشباب بمثابة بذل الحياة وخلع ثوبها ، وهذا لا ينافى الاعتقاد بالأجل المكتوب ، فقد تمثل الحسين نفسه عندما رأى أن لا مفر من القتل بقول بعضهم :

* فلـــو تـــرك القطـــا ليـــلا لنـــام *

# جورجى زيدان(*)

ممالكُ الشرقِ ، أم أدراسُ أطلالِ ... وتلك دُولاتُه ، أم رَسْمُها البالى ؟(١)

أصابَها الدهرُ إلاَّ فى مآثرِها ... والدهرُ بالناس من حال إلى حال

وصار ما نتغنَّى من محاسنها ... حديث ذى مِحنةٍ عن صَفْوِه الخالى

إذا حفا الحقُّ أرضًا هانَ جانبُها ... كأنها غابةٌ من غيرِ رِئبال(٢)

وإن تحكَّم فيها الجهلُ أسلَمَها ... لفاتكٍ من عوادى الذُّلِّ قتَّال

نوابغَ الشرقِ ، هُزُّوهُ لعلَّ به ... من الليالى جُمودَ اليائس السَّالى

إن تنفخوا فيه من روح البيانِ، ومن ... حقيقةِ العلمِ ينهضْ بعدَ إعضال

لا تجعلوا الدينَ باب الشرِّ بينكُمُ ... ولا محلَّ مُباهاةٍ وإدلال

ما الدينُ إلا تراثُ الناس قبلَكُمُ ... كلُّ امرىءٍ لأبيهِ تابعٌ تالى

ليس الغلُو أمينًا فى مَشُورتِه ... مناهجُ الرُّشْدِ قد تخفَى على الغالى

لا تطلبوا حقَّكم بَغْيًا ، ولا صَلَفًا ... ما أبعدَ الحقَّ عن باغٍ ومُختال

ولا يَضِيعَنَّ بالإهمال جانبُه ... فرُبَّ مصْلحةٍ ضاعت بإهمال

---

(*) الأستاذ الكبير المرحوم جورجى زيدان منشىء دار الهلال الغراء هو أحد مؤسسى النهضة الصحفية فى البلاد العربية ، وأحد أساطين رجال العلم والأدب ، الذين يرجع إلى مؤلفاتهم ويحتج بآرائهم ، وقد توفى سنة ١٩١٤ ، بعد أن ترك خلفه من التراث العلمى والأدبى ما يكفى لتسجيل اسمه فى طليعة سجل المصلحين .

(١) الأدراس : جمع درس ، وهو الطريق الخفى أو الثوب الخلق . الأطلال : جمع طلل ، وهو ما شخص من آثار الديار . وهذا المطلع الشعرى ملآن بالتفجع على ما صارت إليه ممالك الشرق فى هذه الأيام ، فهو يسأل مستنكرا : أهذه ممالك حقا ؟ أم هى آثار ورسوم من ممالك عظيمة كانت موجودة وذهبت ؟

(٣) رئبال : أسد .

كم هِمَّةٍ دَفَعَتْ جيلاً ذُرا شرفٍ ونوْمَة هدمتْ بُنيانَ أجيال
والعلمُ فى فضله ، أو فى مفاخِره ركنُ الممالكِ ، صدرُ الدولةِ الحالى
إذا مشَتْ أُمّةٌ فى العالَمين به أبى لها اللهُ أنْ تَمشِى بأغلال
يقِلُّ للعلم عندَ العارفين به ما تقدِر النفسُ من حُبٍّ وإجلال
فقِفْ على أهله ، واطلبْ جواهره كناقدٍ مُمعِنٍ فى كفِّ لآل
فالعلم يفعل فى الأرواح فاسدُه ما ليس يفعل فيها طِبُّ دجَّال
ورُب صاحبِ درْسٍ لو وقفْتَ به رأيتَ شِبه عليم بينَ جُهّال
وتسبق الشمسَ فى الأمصار حكمتُه إلى كهولٍ ، وشُبّانٍ ، وأطفال
( زيدانُ ) ، إنى مع الدنيا كعهدِك لِي رِضَى الصديق ، مقِيلُ الحاسدِ القالى
لى دَوْلةُ الشعر دونَ العصر وائِلَةٌ مَفاخِرى حِكَمى فيها وأمثالى
إنْ تَمْشِ للخير أو للشر بى قدمٍ أُشمِّرُ الذَّيلَ ، أو أعثُرْ بأذيالى
وإنْ لَقِيتُ ابنَ أُنثى لى عليه يدٌ جَحَدْتُ فى جَنْبِ فضلِ اللهِ أفضالى
وأشكر الصُّنع فى سِرى وفى علنى إن الصنائع تزكو عند أمثالى
وأتركُ الغيبَ لله العليمِ به إن الغيوب صناديقٌ بأقفال
(كأُرْغُنِ)الدَّيْرِ إكثارى ومَوْقِعُه وكالأذانِ على الأسماع إقلالى[1]
رثَيْتُ قبلك أحبابًا فُجِعْتُ بِهم ورُحْتُ من فُرقةِ الأحبابِ يُرثى لى
وما عَلِمْتُ رفيقا غير مُؤتمنٍ كالموت للمرءِ فى حِلٍّ وترحال
أرحْتَ بالَك من دنيا بلا خُلُقٍ أليس فى الموت أقصى راحةِ البال ؟
طالت عليك عوادى الدهرِ فى خَشِنٍ من التُّراب مع الأيام مُنهال
لم نأْتِه بأخٍ فى العيش بعدَ أخٍ إلاّ تركنا رُفاتًا عندَ غِربال

(١) الأرغن : آلة موسيقية معروفة .

لا ينفعُ النفس فيه وهْيَ حائـرةٌ ... إلا زكاةُ النُّهَى ، والجاهِ ، والمال

ما تصنعِ الْيومَ مِن خيرٍ تَجِدْه غدًا ... الخيـرُ والشرُّ مِثقـمْ أشبـعـال

قد أكمل اللهُ ذيّاك (الهلالَ) لنـا ... فلا رأى الدهرَ نقص بعـدَ إكمال

ولا يَزَلْ فى نفوس القارئين ؛ لـه ... كرامةُ الصُّحْفِ الأُولَى على التالى

فيه الروائعُ من علمٍ ، ومن أدبٍ ... ومـن وقائـعِ أيـامٍ وأحــوال

وفيـه همةُ نـفسٍ زانها خُلـقٌ ... هما لباغـى المعالى خيرُ مِنـوال

علَّمْتَ كلَّ نَئومٍ فى الرجال بـه ... أنّ الحيـاة بآمـالٍ وأعمــال

ما كان من دُوَلِ الإسلام مُنصرِمًا ... صَوَّرْتـه ، كـلُّ أيـامٍ بتمثـال

نرى به القوم فى عِزٍّ وفى ضَعـةٍ ... والملكَ ما بيـنَ إدبـارٍ وإقبـال

وما عرَضْتَ على الألبابِ فاكهةً ... كالعلـمِ تُبرِزُه فى أحسنِ القـال

وَضعْتَ خيرَ (رواياتِ) الحياةِ، فضَعْ ... روايـةَ الموتِ فى أسلوبهـا العـالى

وصِفْ لنا كيف تجفو الروحُ هَيْكَلَها ... ويستـبد البِلَـى بالهيكــل الخالى

وهـل تَحِـنُّ إليـه بعـد فُرقتِـه ... كما يَحِـنُّ إلى أوطانـــه الجالى(١)

هِضابُ لُبنان من منْعاتِكَ اضطَرَبَتْ ... كـأن لبنـانَ مَرْمِـىٌّ بزلــزال

كذلك الأرضُ تبكى فَقْد عالِمِها ... كالأم تبكى ذهابَ النافعِ الغـالى

●●●

(١) الجالى : النازح أو المهاجر .

## شهداء العلم والغربة(*)

أَلا فى سبيلِ اللّه ذاكَ الدمُ الغـالى ... وللمجدِ ما أَبقَى من المَثَل العالى
وبعضُ المنايا هِمّـةٌ مـن ورائِهـا ... حيـاةٌ لأَقـوامٍ ، ودُنيـا لأَجيـال
أَعَيْنَىَّ ، جودا بالدمـوع على دمٍ ... كريمِ المُصَفَّى من شبابٍ وآمال
تناهَتْ به الأَحداثُ من غُربةِ النَّوى ... إلى حادثٍ من غُربةِ الدهـرِ قتّـال
جرى أَرجُوانيًّا ، كُمَيْتًا ، مُشَعْشَعًا ... بأَبيضَ من غِسْلِ الملائكِ سَلْسَال(١)
ولاذ بقُضبـانِ الحديـدِ شَهيـدُه ... فعادَتْ رَفيفًا من عيونٍ وأَطـلال
سلامٌ عليـه فى الحيـاةِ ، وهامِـدًا ... وفى العُصُرِ الخالى ، وفى العالَمِ التالى
خَليلَىَّ ، قُوما فى رُبَى الغربِ ، واسقيا ... رَياحينَ هامٍ فى التراب ، وأَوْصال(٢)
من الناعماتِ الراوياتِ من الصِّبا ... ذوت بينَ حِلٍّ فى البلاد وتَرحال
نعاها لنا الناعى ، فمال على أَبٍ ... هَلوعٍ ، وأُم ( بالكنانةِ ) مِثكال
طَوَى الغربَ نحوَ الشرقِ يَعْدُو سُلَيْكُهُ ... بمضْطَرِبٍ فى البرِّ والبحـرِ ، مِرْقـال(٣)

---

(*) شهداء العلم والغربة : هم طائفة من شباب مصر سافروا لتلقى العلم فى جامعات أوربا ، فاصطدم القطار الذى يقلهم من أرض إيطاليا ، فقتل أحد عشر طالبا وجىء بهم إلى مصر ، فاستقبلت جثثهم استقبالا رهيبا ، فاشتركت فى جنازتهم جميع طوائف البلاد ومما كان يزيد الهول فى هذا المصاب حدوثه والبلاد مشتعله بثورتها فى سنة ١٩٢٠ .

(١) الأرجوانى : منسوب إلى الأرجوان ، وهو صبغ أحمر يشبه به الدم لشدة حمرتـه . الكميت : حمرة يخالطها السواد . معنى المشعشع : الممزوج بالماء . الغسل ( بكسر الغين ) : ما يغسل به . يصف دم هؤلاء الشهداء بأنه يجرى أحمر مشوبا بسواد ممزوجا بلون أبيض ، كأنه الماء السلسال الذى أصابه من غسل الملائكة .

(٢) الأوصال : الأعضاء .

(٣) سليك : رجل من العرب اشتهر بقوة الجرى ويضرب به المثل فى السرعة أراد تشبيه الناعى به . مرقال : سريع .

يُسِرُّ إلى النفسِ الأَسَى غيرَ هامسٍ ... ويُلقِى على القلبِ الشَّجِى غيرَ قَوَّال

سماءُ الحِمَى بالشاطِئيْنِ وأَرضُه ... مناحـةُ أَقمـارٍ ، ومَأْتَـمُ أَشبـال

* * *

تُرَى الريحُ تدرِى: ما الذى قد أَعادهَا ... بساطًا ، ولكن من حديدٍ وأَثقال ؟

يُقِلُّ مـن الفِتْيَـانِ أَشبـالَ غابـةٍ ... غُداةً على الأَخطار رُكَّابَ أَهوال

ثَنَتْهُ العوادى دونَ (أُودِينَ) ، فانثنى ... بآخَرَ مـن دُهْـمِ المقاديرِ ذَيَّـال[١]

قد اعتَنقا تحتَ الدّخانِ كما التقَـى ... كَمِيَّان فى داجٍ من النقْعِ مُنجال[٢]

فسبحانَ مَنْ يَرْمِى الحديدَ وبأْسَه ... على ناعم غَضٍّ من الزهـر مِنهال

ومَنْ يأْخذُ السارين بالفجرِ طالعًا ... طُلوعَ المنايا مـن ثَنِيَّات آجـال[٣]

ومَن يَجعلُ الأَسفارَ للناس هِمّـةً ... إلى سَفَـرٍ يَنْوُونَـه غيـرَ قُفَّـال

* * *

فيا ناقِليهم ، لـو تـركتم رفاتَهـم ... أَقـام يتيمًـا فى حِـراسةِ لآل[٤]

وبينَ (غَريبالْدى) و (كافورَ) مَضْجَعٌ ... لنُـزَّاعِ أَمصارٍ على الحَقِّ نُـزَّال[٥]

فهل عَطَفتْكم رَنَّةُ الأَهْلِ والحِمَى ... وضَجَّةُ أَتراب عـليهم وأَمثـال ؟

لئن فاتَ مصرًا أَن يموتوا بأَرضها ... لقد ظَفِرُوا بالبَعْث من تُرْبهَا الغالى

وما شَغلتْهُـمْ عـن هَواهـا قِيامـةٌ ... إذا اعتَلَّ رَهْنُ المحبِسَيْنِ بأَشغال[٦]

---

(١) دهم : جمع أدهم ، وهو الأسود . ذيال : طويل الذيل ، والذيل من كل شيء : آخره ، ومن الفرس : ذنبه .

(٢) كميان : مثنى كمى ، وهو الشجاع المتكمى ، أى المتغطى فى سلاحه   النقع : الغبار .

(٣) الثنيات : قمم الجبال .

(٤) يريد باليتيم : اللؤلؤ . واللآل بائع اللآلىء وصائدها وصانعها .

(٥) غريبالدى و كافور : بطلان من أبطال الحركة الاستقلالية فى إيطاليا .

(٦) رهن المحبسين : أول ما أطلق هذا التعبير كان يطلق على أبى العلاء المعرى ، والمحبسان هما العمى ولزومه البيت .

حَمَلْتُم من الغرب الشموسَ لمشرقٍ تَلَقَّى سناها مُظلمًا كاسِفَ البال

عواثرَ لم تَبلغْ صِباها ، ولم تَنَلْ مَدَاها ، ولم تُوصَلْ ضُحاها بآصال

يُطافُ بهم نَعْشًا فنعشًا ، كأَنهمْ مَصاحِفُ لم يَعلُ المُصَلِّى على التالى[1]

تَوابيتُ فى الأَعناقِ تترَى زكيَّةً كتابوتِ موسى فى مَناكب إسْرال[2]

مُلفَّفةً فى حُلَّةٍ شَفقِيَّةٍ هِلاليةٍ من راية النيلِ تِمثال

أَظَلَّ جلالُ العلم والموتِ وَفدَها فلم تُلْقَ إلا فى خُشوعٍ وإجلال

تُفارِقُ دارًا من غُرورٍ وباطِلٍ إلى مَنزل من جِيرَةِ الحقِّ مِحْلال

فيا حَلبَةً رَفَّتْ على البحر حِلْيَةً وهزّتْ بها (حُلوانُ) أَعطافَ مُختال[3]

جَرَتْ بين إيماضِ العواصمِ بالضُّحَى وبينَ ابتسامِ الثَّغرِ بالموكِبِ الحالى

كثيرةَ باغى السبقِ لم يُرَ مِثلُها على عهدِ إسماعيلَ ذى الطَّوْلِ والنال[4]

للكِ اللهُ ؛ هذا الخطبُ فى الوهم لم يَقعْ وتلك المنايا لم يَكُنَّ على بال

بَلَى ، كلُّ ذى نَفسٍ أَخو الموتِ وابنُه وإن جَرَّ أَذيالَ الحداثةِ والخال

وليس عجيبًا أَن يموتَ أَخو الصِّبا ولكن عجيبٌ عَيْشُهُ عِيشةَ السالى

وكلُّ شبابٍ أَو مَشيبٍ رَهينةٌ بمُعترِضٍ من حادثِ الدهرِ مُغتال

وما الشيبُ من خَيْلِ العُلا ؛ فاركَبِ الصِّبا إلى المجدِ تركَبْ مَتْنَ أَقدرِ جَوّال

يَسُنُّ الشبابُ البأسَ والجودَ للفتى إذا الشيْبُ سَنَّ البخلَ بالنفس والمال

ويا نشءَ النيلِ الكريمِ ، عزاءَكم ولا تذكروا الأَقدارَ إلا بإجمال

---

(١) المصلى : هو الذى يجىء أول الخيل فى السبق ، التالى : هو الذى يجىء تاليا له .

(٢) تابوت موسى : هو الذى وضع فيه سيدنا موسى عليه السلام وألقى فى البحر ، فالتقطه آل فرعون وقاموا على تربيته حتى كبر . إسرال : أى إسرائيل .

(٣) الحلبة : الخيل التى تجمع للسباق . حلوان : اسم الباخرة التى أقلت رفات الشهداء فى عودتهم إلى مصر .

(٤) النال : العطاء . وفى هذا البيت إشارة إلى السباق الذى كان يقام فى مدينة حلوان فى عهد إسماعيل باشا .

فهذا هو الحقُّ الذى لا يـردُّه ... تأفُّفُ قالٍ ، أو تلطُّف مُحتـال[١]

عليكم لواءَ العلم ؛ فالفوزُ تحتَـهُ ... وليس إذا الأعلام خانت بخذَّال[٢]

إذا مالَ صفٌّ فاخلفوه بآخـرٍ ... وَصولٍ مَساعٍ ، لا ملولٍ ، ولا آلٍ[٣]

ولا يصلُحُ الفِتيانُ لا علمَ عندَهم ... ولا يجمعون الأَمرَ أنصاف جُهَال

وليس لهم زادٌ إذا ما تـزوَّدوا ... بيانًا جُزَاف الكيل كالحَشَفِ البالى[٤]

إذا جَزِعَ الفتيانُ فى وَقْع حادثٍ ... فمَنْ لجليلِ الأمرِ أو مُعْضِلِ الحال ؟

ولولا مَعانٍ فى الفِدَى لم تُعانِـهِ ... نُفـوسُ الحوارِيِّين أو مُهـجُ الآلِ[٥]

فَغَنُّوا بهاتيك المصارعِ بينَكـم ... تَرَنُّـمَ أبطـالٍ بأيـام أبطـال

أَلستم بَنـى القـومِ الذيـن تكبَّـروا ... على الضربات السبعِ فى الأبدِ الخالى ؟[٦]

رُدِدْتُم إلى فِرْعَوْنَ جَدًّا ، ورُبَّما ... رجعتم لعمٍّ فى القبائل أو خـال

●●●

(١) قال : مبغض .

(٢) عليكم لواء العلم : أى الزموا أو التزموا .

(٣) آل : من قولهم : هو لا يألو جهدا .

(٤) الحشف البالى : التمر اليابس .

(٥) الحواريون : أصحاب عيسى . والآل : أصحاب محمد صلوات الله عليهما .

(٦) الضربات السبع : يشير إلى نوازل سماوية امتحن الله بها قدماء المصريين ، ويريد بالأبد : الزمن القديم المديد .

# سعيد زغلول بك[*]

آل (زغلولَ) ، حَسْبُكم من عزاءٍ    سُنَّـةُ الموتِ فى النَّبِـىِّ وآلِـه

فى خِلالِ الخطوبِ مـا راع إلا    أنها دون صبـرِكم وجَمالِـه

حَمل الرُّزْءَ عنكمُ فى ( سعيدٍ )    بلـدٌ شيخُكـم أَبـو أَحمالـه[١]

قد دهـاهُ مـن فقْـدِه مـا دهـاكم    وبكـى مـا بكيْتُمُ مـن خِلالـه

فكمـا كان ذُخْـرَكم ومُنـاكم    كان مـن ذُخـرِه ومـن آمالـه

ليت مـنْ فكَّ أَسرَكم لم يَكِلْـه    للمنايـا تمدُّه فى اعتقالـه

حجبتْ من ربيعِه ما رجوْتم    وطوَتْ رحلة العُلا من هلالـه

آنسَتْ صحّـةً فمـرّت عـليها    وتخطَّتْ شبابَـه لم تُبالـه

إنما مِـنْ كِتابِـه يُتَوَفَّـى المر    ءُ ، لا مِـنْ شبابِـه واكتهالـه

لست تدرى الحِمامُ بالغاب هل حا    مَ على اللَّـيْثِ ، أم على أشبالـه

يا ( سعيدُ ) اتَّئِدْ ، ورِفْقًا بشيخٍ    والِهٍ من لواعج الثُّكـل والـه[٢]

مـا كفـاه نـوائبُ الحقِّ حتـى    زِدْتَ فى هَمِّـه وفى إشغالـه

فَجأَ الدهرُ ، فاقتضبْتُ القـوافى    مـن فُجاءَاته وخَطْـفِ ارتجالـه

قُمْ فشاهدْ لـو استطعْتَ قِيامًـا    حَسرَةَ الشعرِ ، والْتِيـاعَ خيالـه

كان لى مـنك فى المجامـع راوٍ    عجَزَ ( ابنُ الحسين ) عن أمثالـه[٣]

---

(*) تفتح شباب سعيد بك زغلول عن رجولة ممتازة ، وبشر طالعه عن طالع عظيم ولكنه لم يكد يؤتى ثمره حتى اقتطفه الموت ، فقضى سنة ١٩٢٢ وكان خاله سعد باشا زغلول متبنيا له .

(١) شيخكم أبو أحماله : هو الزعيم سعد باشا . والبلد : مصر .

(٢) الواله : الذى ذهب عقله أو كاد من شدة الوجد .

(٣) ابن الحسين : الشاعر المتنبى . وراوى الشعر وراويته : الذى يروى الشعر ويحفظه .

فطِنٌ للصِّحاح من لُؤلُؤِ القو ... لِ ، وأدرَى بهنّ مِن لآلِه[١]

لم يَكُنْ فى غُلُوِّهِ ضيق الصَّد ... رِ ، ولا كان عاجزًا فى اعتدالِه

لا يُعادى ، ويُتَّقى أن يُعادَى ... ويُخلِّى سبيلَ مَنْ لم يُوالِه

فامْضِ فى ذمةِ الشبابِ نقيًّا ... طاهرًا ما ثَنيْت من أذيالِه

إنّ للعصر والحياةِ لَلُومًا ... لستَ مِنْ أهلِه ولا مِنْ مَجالِه

صانكَ اللهُ من فسادِ زمانٍ ... دَنَّسَ اللومُ مِن ثيابِ رِجالِه

سيقولون : ما رثاه على الفضـ ... ـل ، ولكنْ رَثاه زُلْفَى لخالِه

أيُّهم مَنْ أتَى برأس كُلَيْبٍ ... أو شَفَى القُطْرَ من عَياءِ اَختلاله ؟

ليس بينى وبين خالِكَ إلا ... أننى ما حَيِيتُ فى إجلالِه

أتمنَّى لمصرَ أن يَجرِىَ الخيـ ... ـرُ لها مِنْ يَمينِه وشِمالِه

لستُ أرجوه كالرجال لصَيْدٍ ... من حَرامِ انتخابِهم أو حَلالِه

كيف أرجو ( أبا سعيدٍ ) لشىءٍ ... كان يُقْضَى بكُفره وضلالِه ؟!

هو أهلٌ لأنْ يرُدَّ لقومى ... أمْرَهم فى حقيقةِ استقلالِه

وأنا المرءُ لم أَرَ الحقَّ إلا ... كنتُ مِن حِزْبِه ومن عُمَّالِه

رُبَّ حرٍّ صنَعْتُ فيه ثناءً ... عجزَ الناحتون عن تمثالِه[٢]

●●●

---

(١) اللآل : صانع اللؤلؤ وبائعه .

(٢) يقول : إننى كثيرا ما أصنع للأحرار قصائد ثناء ، فتقوم فى تصويرهم وتخليد أشكالهم ومزاياهم مقام التماثيل التى تعجز المثالين الناحتين أن يصنعوا مثالها .

# أمين بك الرافعى[*]

مــال أحبابُــه خليــلاً خليــلا وتولَّـى اللَّـداتُ إلا قليــلا

نَصلوا أمسِ من غُبار الليــالى ومضى وحدَه يَحُثُّ الرحيـلا[١]

سكَنتْ منهم الركابُ ، كـأن لم تضطربْ ساعةً و لم تَمْضِ مِيلا

جُرِّدوا من مَنـازِلِ الأَرضِ إلا حَجَـرًا دارِسا ورَمـلاً مَهيـلا[٢]

وتَعَرَّوْا إلى البِلَـى ، فكساهـم خُشْنَةَ اللَّحدِ والدُّجـى المسدولا

فى يَبـابٍ مـن الثرى رَدَّه المو تُ نقيًّا مـن الحقـودِ غَسيـلا[٣]

طَرَحوا عنـدَه الهمومَ ، وقالـوا إن عِبْءَ الحيـاةِ كان ثقيـلا

إنما العالَـمُ الـذى منـه جئنـا مَلْـعبٌ لا يُنـوِّع التمثيـلا

---

(*) أمين بك الرافعى ، كان كاتبا سياسيا عظيما ، وكان فى الصحفيين السياسيين يعد مثالا عاليا ، لطهارة الذمة ، ونبل الغاية ، ونزاهة الضمير ، وله فى تمسكه برأيه وصلابته على الحق الذى يعتقده مواقف تضحية ، لا يصبر عليها إلا من وطن نفسه على احتمال جميع مكاره الحياة ، وقد وقف حياته منذ نشأته على خدمة القضية المصرية ، وظل مجاهدا فى سبيل استقلال مصر حتى مات فى سنة ١٩٢٦ .

(١) نصلوا من غبار الليالى ، تعبير كنائى عن الموت ، إذ غبار الليالى عبارة عن أحداثها ، وليس فى إمكان الحى التنصل من هذه الأحداث إلا بالموت . يقول إن أحبابه وخلانه سبقوه ، وتنصلوا من الدنيا وحوادثها ، وها هو ماض على أثرهم مسرعا ، ليلحق بهم ، وينصل من بلاء الدنيا كما نصلوا .

(٢) يصف خروج الناس من الدنيا وليس فى أيديهم من ممتلكاتها إلا الحجر الموضوع تحت رءوسهم ، والتراب المهيل فوق قبورهم ، فكأنه يقول : ليت شعرى لم يتقاتل الناس ، ويتكالبون على بناء القصور وشراء الضياع ، وهم إذا ماتوا لا يصحبهم من هذه الممتلكات إلا حجر واحد وحفنات من تراب تدارى جسومهم وتوارى رممهم .

(٣) اليباب : الخراب . يقول : إن هذا اليباب الذى نسميه بالمقابر موضع نقاه الموت من الأكدار ، وغسله من الأحقاد ، فهو من أجل ذلك صار أروح للأرواح عن المواضع الآهلة بالعمران .

بطـلُ الموتِ فى الروايـة ركـنٌ ... بُنِـيَتْ منـه هيكـلاً وفصولا
كلّمـا راح أو غـدا الموتُ فيها ... سَقط السِّتـرُ بالدمـوع بَليـلا

* * *

ذكريـاتٌ مـن الأحبَّـةِ تُمحَـى ... بِيَـدٍ للزمـان تَمحـو الطُّلـولا
كلُّ رسمٍ من منـزلٍ أو حبيبٍ ... سوف يمشى البِلَى عليه مُحيلا
رُبَّ ثُكْلٍ أساكَ مِن قُرحةِ الثُّكْـ ... ـلِ ، ورُزءٍ نسَّاك رُزْءًا جليـلا

* * *

يا بَناتِ القَرِيضِ ، قُمْنَ مَناحـا ... تٍ ، وأرْسِلْـنَ لَوْعـةً وعَويـلا
مـن بَنـاتِ الهَدِيـلِ أَنْتُـنَّ أَحْنَـى ... نغمة فى الأسى ، وأشْجَى هَديلا[1]
إن دمعًـا تَذْرِفْـنَ إثْـرَ رِفـاقى ... سوف يَبْكِى به الخليـلُ الخليـلا
رُبَّ يـومٍ يُنـاحُ فيـه علينـا ... لـو تُـحِسُّ النُّـواح والترتيـلا
بمَـراثٍ كَتَبْـنَ بالدمـع عنّـا ... أسطرًا من جوًى ، وأخْرَى غليلا
يَجِـدُ القائلـون فيها المعـانى ... يومَ لا يأذن البِلَـى أن نَقـولا

* * *

أخذ الموتُ مـن يـدِ الحقِّ سَيفـا ... خالِدىَّ الغِرارِ ، عَضْبًا ، صقيـلا[2]
من سيـوف الجهـادِ فُولاذُهُ الحـ ... ـقُّ ، فهـل كان قَيْنُه جِبريـلا ؟[3]
لمستـه يـدُ السمـاءِ ، فكـان الـ ... ـبَرْقَ والرعـدَ خَفْقَـةً وصَليـلا

---

(١) الهديل : الحمام . وصوت الحمام ، والهديل أيضا : فرخ قالوا إنه كان على عهد نوح ، فصاده جارح من جوارح الطير ، فليس من حمامة إلا وهى تبكى عليه .

(٢) العضب : السيف ، الغرار : حد السيف . وقوله : « خالدى » نسبة إلى خالد بن الوليد . الصقيل : المصقول .

(٣) القين هو الحداد الذى يصنع السيوف .

وإباءُ الرجالِ أمضَى من السيـ ـفِ على كفِّ فارسٍ مَسلولا
رُبَّ قلبٍ أصارَه الخُلْقُ ضِرْغا مًا ، وصدرٍ أصارَه الحقُّ غِيلا[1]
قيلَ : حَلَّلْهُ . قُلْتُ : عِرقٌ من التِّـ ـبْـرِ أراحَ البيانَ والتَّحليلا
لم يَزِدْ فى الحديد والنارِ إلا لَمحةً حُرَّةً ، وصبرًا جميلا
لم يَخَفْ فى حياته شَبَح الفقـ ـرِ إذا طاف بالرجال مَهولا
جاعَ حِينًا ، فكان كاللَّيْثِ آبَى ما تُلاقيه يومَ جُوعٍ هَزيلا
تأكل الهِرَّةُ الصِّغارَ إذا جا عَتْ ، ولا تأكل اللَّباةُ الشُّبولا
قِيلَ : غالٍ فى الرأى . قُلتُ : هَبوهُ قد يكون الغُلُوُّ رأيًا أصيلا
وقديمًا بَنَى الغُلُوُّ نُفوسًا وقديمًا بَنَى الغلُوُّ عُقولا
وكم استنهضَ الشيوخَ ، وأذكَى فى الشباب الطِّماحَ والتأميلا
ومِنَ الرأيِ ما يكونُ نِفاقًا أو يكونُ اتجاهُه التضليلا
ومن النقدِ والجِدالِ كلامٌ يُشبه البَغْيَ ، والخَنا ، والفُضولا
وأرى الصدقَ دَيْدَنًا لسَليل الـ ـرافعيِّينَ والعَفافَ سَبيلا
عاش لم يَغْتَبِ الرجالَ ، ولم يَجْـ ـعَلْ شئونَ النفوسِ قالاً وقِيلا
قد فقدنا به بقيَّةَ رَهْطٍ أيقظوا النيلَ وَادِيًا ونَزيلا
حَرَّكوهُ ، وكان بالأمس كالكهـ ـفِ حُزونًا ، وكالرَّقيم سُهولا[2]
يا أمينَ الحقوقِ ، أدَّيْتَ حتى لم تَخُنْ مصرَ فى الحقوق فَتيلا

---

(١) الضرغام : من أسماء الأسد . الغيل : موضع الأسد .

(٢)الكهف : كالبيت المنقور فى الجبل . الرقيم : يقال هو الكتاب ، وإذن فيكون تشبيه سهول النيل بالرقيم ، معناه أنها كانت وقتئذ مبسوطة خالية مهيأة لأن يخط فوقها حروف الحياة الأولى . ولو سئل أحد الحكماء ما هى الحروف الأولى للحياة ؟ لأجاب على الفور : هى اليقظة . ولعمرى إن ربة الحكمة إذن هى التى ألهمت أمير الشعراء قوله فى البيت السابق : « أيقظوا النيل واديا ونزيلا » ففى تصوره الذهنى لمعنى اليقظة سبق خياله إلى تشبيه سهول وادى النيل بالرقيم .

ولوِ اسْطعْتَ زِدْتَ مصرَ من الحـ ـــقِّ على نيلهـا المبـاركِ نيـــلا

لَسْتُ أَنساكَ قابعًا بين دُرْجَيْـــ ـلكَ مُكبًّـا عليهمـا مَشغـولا

قد تواريتَ فى الخُشوع ، فخالو كَ ضئيلاً ، وما خُلِقْتَ ضئيلا

سائل (الشعبَ) عنك، و (العَلَمَ) الخـ ـفَّاقَ ، أو سائل اللـواءَ الظليــلا[1]

كم إمامٍ قربْتَ فى الصفِّ منـه ومُغَنٍّ قَعَدْتَ منـه رَسيــلا ؟

تُنْشِدُ النـاسَ فى القَضِيَّة لَحْنًـا كالحوارىِّ رَتَّـــل الإنجيـــلا

ماضيًـا فى الجهـاد لم تتأَخَّـــر تَـزِنُ الصفَّ ، أو تُقيم الرَّعيـلا[2]

ما تبالى مَضيْتَ وحدَكَ تَحْمِـى حَوْزةَ الحق ، أم مضَيْتَ قَبيـلا

* * *

إن يَفُتْ فيكَ مِنْبَرَ الأَمسِ شِعرى إن لى المنبرَ الـذى لـن يـزولا

جلّ عن مُنْشِدٍ سِوَى الدهرِ يُلْقيـ ـهِ على الغابريـن جِيلاً فجيـلا

●●●

(١) الشعب ، والعلم ، واللواء : أسماء صحف كان الفقيد يحررها مناضلا فيها عن مبادئه .

(٢) الرعيل : طائفة من الخيل . والمراد أنه كان فى جيش المجاهدين فى القضية المصرية يقوم الصفوف إذا مالت ، ويرد الطوائف إذا نفرت .

# الشيخ سلامة حجازى(*)

يا ثَرى النيلِ ، فى نَواحيكَ طيرٌ    كان دنيا ، وكان فرحةَ جيلِ
لم يَـزَلْ يَنْزِلُ الخمائلَ حتـى    حـلّ فى رَبْـوَةٍ على سَلسبيـل
أَقعد الـرَّوْضَ فى الحيـاة مَلِيًّـا    وأَقـامَ الرُّبَـى بسِحْـرِ الهَديـل(١)
يـا لِـواءَ الغنـاءِ فى دَوْلـةِ الفـ    ـن ، إِلـيكَ اتجهتُ بالإِكليـل
عبقريًّـا كأَنـه زَنْبَـقُ الخُلْـ    ـدِ على فَرْعِـه السَّرِىِّ الأَسيـل(٢)
أَيـنَ مِنْ مَسْمَـع الزمـانِ أَغانـ    ـىُّ عـليهنَّ رَوْعـةُ التمثيـل ؟
أَيـن صَوتٌ كأَنـه رَنَّـةُ البلبـ    ـلِ فى الناعم الوَريفِ الظليـل ؟
فيـه مـن نَغْمـةِ المزامِير مَعنًـى    وعليـه قَـداسةُ الترتيـل
كلما رَنَّ فى المسارح « إِن كنـ    ـتُ » انثنَى بالهُتـاف والتهليـل(٣)
كعِتـاب الحبـيب فى أُذُنِ الصَّـ    ـب ، وهَمْسِ النديمِ حولَ الشَّمول(٤)
كيف إِخوانُنـا هنـاك على الكَـوْ    ثَـر بيـنَ الصَّبـا وبيـنَ القبـول ؟(٥)

---

(*) بلغ الشيخ سلامة حجازى أعلى قمم المجد فى فن الغناء والتمثيل فى عصره ، وقد رؤى أن يعترف له بهذا النبوغ اعترافا عمليا . فتألفت جماعة من أهل الفضل واتفقوا على نقل جثمانه إلى ضريح يتناسب وهذا التقدير ، ورأوا من أفضل الوسائل لهذه الغاية أن يقيموا حفلة تذكارية تمجيدا لذكرى الفقيد ، وتم لهم ذلك ، وأقيمت الحفلة فى شهر ديسمبر سنة ١٩٣١ وأنشدت فيها هذه القصيدة العصماء .

(١) الهديل : الصوت الحسن الذى يشبه صوت الحمام .

(٢) السرى : الجدول .

(٣) إن كنت ، يشير إلى أن الفقيد قد ذاعت من أغانيه قصيدة مطلعها :

إن كنت فى الجيش أدعى صاحب العلم    فإننـى فى هـواكم صاحب الألم

(٤) الشمول : الخمر .

(٥) الصبا : ريح مهبها من جهة المشرق وهى من ألطف الرياح .

كيف فى الخُلد ضَرْبُ أحمدَ بالعو  دِ ، ونفخُ الأَمين فى الأرغول ؟[١]
فـرَحٌ كُلُّـهُ النعيـمُ وعُـرْسٌ  كيف (عثمانُ) فيه كيف (الحَمُولِي)؟[٢]
فهنيئًـا لكـم ونعمـةُ بـالٍ  اِستَرحتم من ظِل كـلِّ ثقيـل
إنما مَنـزِلٌ رُفـاتُك فيـه  لَبقايـا مـن كل فـنٍّ جميـل
ذَبـلَتْ فى ثـراهُ رَيْحانـةُ الفـ  ـنِّ ، وجَفَّتْ رَيْحانـةُ التمثيـل

* * *

قـام يَجْـزِى (سلامـةً) فى ثَـراه  وطـنٌ بـالجزاءِ غيـرُ بَخيـل
قـد يُوفِـى البِنـاءَ والغرْسَ أجـرًا  ويُكافِـى على الصَّنيـعِ الجليـل
مُحسنٌ بالبنيـنَ فى حـاضرِ العَيْـ  ـشِ ، وفى سالفِ الزمانِ الطويل
ويُعِدُّ الضَّريحَ مـن مَرْمَـرِ الخُلْـ  ـدِ الكريـمِ المهـذَّبِ المصقـول[٣]
يدفنُ الصالحين فى وَرَقِ الـمُصْـ  ـحَفِ ، أو فى صحائف الإنجيـل

* * *

مصرُ فى غَيبةِ المُشايـعِ ، والحا  سدِ ، والحاقـد اللّئيـمِ الذَّليـل
قامت اليومَ حولَ ذِكراك تَجزِى  وطنيًّـا مـن الطِّـراز القليـل
مـن رجالٍ بَنَـوْا لمصر حديثًـا  وأذاعـوا مَحَاسِنًـا للنيـل
هم سُقاةُ القلوبِ بالوُدِّ والصَّفْـ  ـوِ ، وهـم تـارةً سُقـاةُ العقـول
لـيس منهم إلا فَتًـى عبقـرىٌّ  لـيس فى المجد بالدَّعى الدخيـل

---

(١) أحمد : اسم أحد المعاصرين ، اشتهر بضرب العود ، وأمين : معاصر آخر اشتهر بالأرغول .

(٢) عثمان : هو محمد عثمان ، وكان من المغنين الكبار . والحمولى : هو عبده الحمولى .

(٣) الضريح : هو البناء الذى اتفقت لجنة إحياء ذكرى الفقيد على صنعه من المرمر المصقول ليدفن فيه جثمان الفقيد تكريما له .

# أدهم باشا[*]

مُصابُ بَنِى الدنيا عظيمٌ (بأَدهمٍ) ... وأَعظمُ منه حَيْرَةُ الشعرِ فى فَمى

أَأَنطقُ والأَنباءُ تَتْرَى بطيِّبٍ ... وأَسكُتُ والأَنباءُ تَتْرَى بمؤلم ؟

أَتَيْتُ بغالٍ فى الثَّناءِ مُنَضَّدٍ ... فمَنْ لى بغالٍ فى الرِّثاءِ مُنظَّم ؟

عَسى الشعرُ أَن يَجْزِى جَرِيئًا، لفقدِه ... بَكَى التركُ واليونانُ بالدمع والدّم

وكم مِنْ شُجَاعٍ فى العِداةِ مُكرَّمٍ ... وكم مِنْ جَبانٍ فى اللِّداتِ مُذمَّم

وهل نافعٌ جَرْىُ القَوافى لغايةٍ ... وقد فَتَكَتْ دُهْمُ المنايا بأَدهم ؟[1]

رمَتْ فأَصابت خيرَ رامٍ بها العِدَى ... وما السَّهمُ إلا للقضاءِ المحتَّم

فتًى كان سيفَ الهندِ فى صورةِ آمرئٍ ... وكان فتى الفتيانِ فى مَسْكِ ضَيْغَم[2]

لَحاهُ على الإِقدام حُسَّادُ مَجْدِهِ ... وما خُلِقَ الإقبالُ إلاّ لمُقْدِم

مُزعْزِعُ أَجيالٍ ، وغاشِى مَعاقلٍ ... وقائدُ جَرّارٍ ، ومُزْجِى عَرَمْرَم[3]

سلوا عنه (ميلونا) وما فى شِعابه ... وفى ذِرْوَتَيْهِ مِنْ نُسورٍ وأَعْظُم

لَيَالِىَ باتَ الدِّينُ فى غير قَبضةٍ ... وزُلْزِلَ فى إيمانه كلُّ مُسْلِم

وقال أُناسٌ : آخرُ العهدِ بالملا ... وهَمَّتْ ظنونٌ بالتُّراثِ المُقَسَّم[4]

فأَطْلَعَ للإِسلام والمُلْكِ كوكبًا ... من النصر فى داجٍ من الشك مُظلِم

ورحنا نُباهى الشرق والغربَ عِزَّةً ... وكُنَّا حديثَ الشامتِ المترحِّم

---

(*) أدهم باشا : هو القائد التركى الذى اشتهر فى الحروب العثمانية اليونانية .

(١) دهم المنايا : أى سود المنايا .

(٢) المسك ( بفتح الميم ) : الجلد . والضيغم : الأسد .

(٣) العرموم : الجيش الكبير .

(٤) الملأ : الجماعة ، ويريد بها الدولة العثمانية . والتراث المقسم : البلاد التابعة للدولة فى ذلك الوقت .

مَفاخرُ للتاريخ تُحْصَى لأدهم ... ومَنْ يُقْرِضِ التاريخَ يَرْبَحْ ويَغْنَم

* * *

أَلا أيُّها الساعونَ ، هل لَبِسَ الصَّفا ... سَوادًا ، وقد غَصَّ الوُرودُ بزَمْزَم ؟

وهل أَقبلَ الرُّكبانُ يَنْعَوْنَ (خالدًا) ... إلى كلِّ رامٍ بالجِمارِ ومُحْرِم ؟

وهل مَسجدٌ تَتْلُونَ فيه رِثاءَه ؟ ... فكم قد تَلَوْتُم مَدْحَهُ بالترنُّم !

وكان إذا خاضَ الأَسِنَّةَ والظُّبَى ... تَنَحَّتْ إلى أن يَعْبُرَ الفارسُ الْكَمِي

ومَنْ يُعْطَ فى هٰذي الدَّنِيَّةِ فُسْحَةً ... يُعَمَّرْ وإن لاقَى الحروبَ ويَسْلَم

(علىٌّ) أبو الزَّهراءِ داهِيَةُ الوغَىٰ ... دهاهُ بباب الدّارِ سيفُ ابن مُلْجَم

( فروق ) ، اضْحكِي وابْكِي فَخارًا ولَوْعةً

وقُومِي إلى نعش الفقيدِ المعظَّم

كأُمِّ شَهيدٍ قد أَتاها نَعِيُّهُ ... فخفَّتْ له بينَ البُكا والتبسُّم

وخُطِّى له بينَ السلاطينِ مَضجعًا ... وقبرًا بجنبِ الفاتحِ المتقدِّم

بَخِلْتِ عليه فى الحياةِ بموكبٍ ... فتُوبِى إليه فى المماتِ بمأْتَم

ويا داءُ، ما أَنصفْتَ إذْ رُعْتَ صدرَهُ ... وقد كان فيه الملكُ إن رِيعَ يَحتمِى

ويٰأَيها الماشونَ حولَ سَريرِه ... أَحَطْتُم بتاريخٍ فَصيحِ التكلُّم

ويا مصرُ ، مَنْ شَيَّعْتِ أَعْلَىٰ هَمامَةً ... وأَثْبَتُ قلبًا مِنْ رَواسِى المقطَّم

ويا قومُ ، هذا مَنْ يُقام لمثلِه ... مثالٌ لباغى قُدْوَةٍ مُتَعلِّم

ويا بحرُ، تدرى قدرَ مَنْ أَنتَ حاملٌ؟ ... ويا أَرضُ، صونيه، ويا رَبِّى، ارْحَم

●●●

# عثمان باشا الغازى(*)

هالــةٌ للهــلالِ فيها اعــتصامُ    كيـف حـامَتْ حِيالَهـا الأيّامُ ؟

دخلتْها عليكَ ( عثمانُ ) فى السلـ    ـم ، وقد كنتَ فى الوَغَى لا تُرام

وإذا الــداءُ كان داءَ المنايــا    صعَّبَتْــهُ لأهلِهــا الأحــلام

فبرغـم ( المُشيـرِ ) أن يَتَوَلّــى    والخطـوبُ المُرَوِّعــاتُ جِسام

ويــدُ الملكِ تستجيـرُ يَدَيْــهِ    والسرايـا تدعـوه ، والأعــلام

وبنـوه يرجونــه وهُـمُ الجُنــ    ـدُ ، وهم قـادةُ الجنودِ العِظـام

مثَّلَتْهــم صِفاتُــه للبرايــا    رُبَّ فـردٍ سادت بـه أقــوام

بطلَ الشرقِ ، قد بَكَتْكَ المعالى    ورثــاك الوَلِـــىُّ والأخصام

خَـذَل الملكَ زنـدُه يـوم أَوْدَيْــ    ـتَ ، وأَهوَى من راحتَيْهِ الحُسام

ودَهَـى الديـنَ والخلافـةَ أمــرٌ    فادحٌ ، رائعٌ ، جليـلٌ ، جُسام

علـمُ الـعصر والممـالكِ وَلَّـى    وقليـــلٌ أمثالُـــه الأعــــلام

سَلْ ( بلفنا ) : أكنتَ تُدْرَكُ فيها    ولَــو أنّ المحاصِريــن الأنــام

خَيَّم الروسُ حولَ حِصْنِكَ ، لكن    أين مِنْ هامَةِ السِّماكِ الخِيام ؟

وأحاطت بعزمك الجنـدُ ، لكـن    عزمُكَ الشُّهْبُ ، والجنودُ الظلام

كلما جَرَّدَ ( المُحاصِرُ ) سيفًا    قطـع السيــفَ رأيُكَ الصَّمصام

وإذا كانت العقــولُ كِبــارًا    سَلِمت فى المَضايـق الأجسام

وعجيبٌ لا يأخذُ السيفُ منكـم    ويَنال الطَّوَى ، ويُعْطَـى الأوَامُ

فخـرجتم إلى العِــدا لم تُبالــوا    مـا لأُسْدٍ على سُغـوب مُقــام

(*) هو قائد تركى كبير ، اشتهر فى الحروب العثمانية الروسية .

تَخرقونَ الجيوشَ جيشًا فجيشًا ... مِثلَما يَخرقُ الخَوَاءَ الغَمام

والمنايا مُحيطةٌ ، وحصونُ الـرُّ ... وسِ تَحْمِى الطريقَ والألغام

ولِنارِ العدوِّ فيكم قُعودٌ ... ولِسيفِ العدوِّ فيكم قِيام

جُرِحَ الليثُ يومُ ذاكَ ، فخان الـ ... ـجيشَ قلبٌ، وزُلزِلَتْ أقدام

ما دفَعْتَ الحُسامَ عجزًا ، ولكن ... عَجَّزتَ ضَيْغَمَ الحروبِ الكلام

فأعادوه خيرَ شيءٍ أعادوا ... وكذا يَعرِفُ الكرامَ الكِرام

فتقلَّدتَه وكنتَ خليقًا ... سَلَبَتْنا كلَيْكُما الأيام

ما لها عَوْدَةٌ ، ولا لك رَدٌّ ... نِمتَ عنها ، ومَنْ تركْتَ نِيام

إنما الملكُ صارمٌ ويَراعٌ ... فإذا فارقاه ساد الطَّغام

ونظامُ الأمورِ عقلٌ وعدلٌ ... فإذا وليًّا تَوَلَّى النظام

وعجيبٌ خُلِقْتَ للحرب لَبْثًا ... وسجاياك كلُّهن سَلام

فهْىَ فى رأيكَ القويمِ حَلالٌ ... وهْىَ فى قلبك الرحيمِ حَرام

لكَ سيفٌ إلى اليتامَى بغيضٌ ... وحَنانٌ يُحبّه الأيتام

مُستبدٌّ على قويٍّ ، حليمٌ ... عن ضعيفٍ ، وهكذا الإسلام

●●●

# بطرس باشا غالى(*)

قبـرَ الوزيـرِ ، تحيَّـةً وسَلامـا ... الحلمُ والمعـروفُ فـيكَ أقامـا

ومحاسنُ الأخـلاقِ فيك تغيَّبَتْ ... عامًا ، وسوف تغيّب الأعوامـا

قد كنت صَوْمَعَةً فصِرْت كنيسة ... فى ظلِّها صلَّى المُطيفُ وصاما

والقومُ حَوْلَكَ يا بن (غالى) خُشَّعٌ ... يـقضونَ حقًّـا واجبًـا وذِمامـا

يَسعَوْنَ بـالأبصار نحوَ سَرِيـرِه ... كالأرض تَنْشُدُ فى السماءِ غَماما

يَكون مَوْئِلَهم ، وكَهْفَ رَجَائِهم ... والأَرْيَحىَّ المُـفْضِلَ المِقدامـا

مُتسابـقين إلى ثَـراك ، كـأنهم ... ناديكَ فى عـزِّ الحيـاةِ زِحامـا

وَدُّوا غَداةَ نُقِلْتَ بينَ عُيونِهـم ... لـو كان ذلك مَـحشرًا وقِيامـا

ماذا لقيتَ من الرّياساتِ العُـلا ... وأخذتَ مِن نِعَمِ الحياةِ جِساما ؟

اليـوم يُغنِـى عنك لَوْعَةُ بـائسٍ ... وعَزاءُ أرمَلَةٍ ، وحُزنُ يَتامـىٰ

والرأىُ للتاريخ فيك ؛ ففى غـدٍ ... يَزنُ الرجالَ ، ويَنْطِقُ الأحكاما

يَقضِى عليهم فى البَرِيَّـةِ ، أو لهم ... ويُديـمُ حَمـدًا ، أو يُؤَيِّـدُ ذامـا

أنت الحكيمُ ، فلا تَـرُعْكَ مَنِيَّـةٌ ... أعلِمْت حيًّـا غيرَ رِفْدِكَ دامـا

إنّ الـذى خلـقَ الحيـاةَ وضِدَّهـا ... جَعَـلَ البقـاءَ لِوَجْهِـهِ إكرامـا

قد عِشْت تُحدِثُ للنصارَى أُلْفَةً ... وتُجِـدُّ بين المسلـمين وئامـا

واليـومَ فـوقَ مَشيـدِ قبـرِك مَيِّتًا ... وَجَـدَ المُوَفَّـقُ للمقـال مَقامـا

---

(*) بطرس باشا غالى ، كان رئيس الوزارة المصرية فى أيام حكم الخديو عباس الثانى ، وقد اغتاله إبراهيم الوردانى فى سنة ١٩١٠ لأسباب سياسية .

الحقُّ أَبلجُ كالصبَّاح لِناظرٍ ... لو أنّ قومًا حَكَّموا الأَحلاما
أَعَهِدْتَنا والقِبْطَ إلاَّ أُمّةً ... للأَرضِ واحدة تَروم مَراما ؟
نُعْلِي تعاليمَ المسيحِ لأَجلهم ... ويُوَقِّرون لأَجلنا الإِسلاما
الدِّينُ للدَّيّانِ جلَّ جلالُه ... لو شاءَ ربُّكَ وَحَّدَ الأَقواما
يا قومُ ، بانَ الرّشدُ فاقْصُوا ما جرى ... وخُذوا الحقيقةَ ، وانبذوا الأَوهاما
هٰذى رُبُوعُكُمُ ، وتلك رُبوعُنا ... مُتقابلين نعالج الأَياما
هٰذى قُبورُكُمُ ، وتلك قُبورُنا ... مُتجاورينَ جَماجما وعِظاما
فبحُرمةِ المَوْتَى ، وواجبِ حقِّهم ... عِيشوا كما يَقضى الجوارُ كِراما

●●●

# يبكى والدته(*)

إلى اللهِ أشكو مِن عَوادِى النَّوَى سهما ... أصابَ سُوَيْداءَ الفؤادِ وما أَصْمَى(١)

من الهاتكات القلبَ أَوَّلَ وَهْلةٍ ... ومَا دَخَلَتْ لحمًا، ولا لامستْ عظما

توَارَدَ والنَّاعِى ، فأَوْجَسْتُ رَنَّةً ... كلامًا على سمعى، وفى كبدى كَلْما(٢)

فما هتَفا حتى نَزَا(٣) الجنبُ وانزَوَى ... فياوَيْحَ جَنْبِى! كم يَسيلُ؟ وكم يَدمَى؟

طَوَى الشرقَ نحوَ الغربِ ، والماءَ للثَّرى ... إلىَّ ، ولم يَركبْ بِساطًا ولا يَمَّا(٤)

أبانَ ولم يَنْبِسْ ، وأَدَّى ولم يَفُهْ ... وأَدْمَى وما داوَى ، وأَوْهَى وما رَمَّا

إذا طُوِيَتْ بالشُّهْبِ والدُّهْمِ شُقَّةٌ ... طَوَى الشُّهْبَ، أوجاب الغُدافِيَّةَ الدُّهْما(٥)

ولم أَرَ كالأَحداثِ سهمًا إذا جرَتْ ... ولا كالليالى راميًا يُبعِدُ المَرْمَى

ولم أَرَ حُكمًا كالمقاديرِ نافذًا ... ولا كلقاءِ الموتِ مِنْ بَينها حَتْما

---

(*) نظم أمير الشعراء هذه المرثية الرائعة ، على إثر إعلان الهدنة ، وهو فى منفاه فى الأندلس سنة ١٩١٨ ، إذ كان يعلل النفس بالعودة إلى الوطن العزيز ولقاء آله ، وفى مقدمتهم والدته الحبيبة ، ولكنه ما كاد يتحدث إلى نفسه بهذا الأمل المرموق ، حتى وافاه البرق بنعيها ، فأثر هذا المصاب الجسيم فى نفسه تأثيرا بالغا ، ولم تمض ساعة حتى كتب هذه المرثية ، وقد قيل إنه من فرط تأثره بها تحاشى أن ينظر إليها بعد، فبقيت مستورة ضمن أوراقه الخاصة، حتى نشرت فى الصحف غداة وفاته رحمه الله .

(١) عوادى النوى : عوائقه . وقوله : « أصاب سويداء الفؤاد وما أصمى » : أى أصاب صميم القلب ولم يقتل .

(٢) الكلم ( بفتح الكاف ) : الجرح .

(٣) نزا الجنب : يريد نزا القلب ، ويقال : نزا الطائر ، إذا هم بالطيران .

(٤) بساطا ولايما : أى لم يركب طيارة تسير فى الهواء ، كما سار بساط الريح بسليمان عليه السلام ، ولم يركب باخرة تسير على اليم ، أى البحر .

(٥) الشهب : البيض . الدهم : السود . جاب : قطع . الغدافية : السوداء ، ويقصد بالشهب وبالدهم : الخيل البيضاء والسوداء أو النهار والليل . كأنه يتعجب من سرعة هذا النعى فى وصوله إليه .

إلى حيثُ آباءُ الفَتَى يَذهبُ الفتىٰ ... سَبيلٌ يَدينُ العالَمون بها قِدْما
وما العيشُ إلا الجسمُ فى ظلِّ رُوحِهِ ... ولا الموتُ إلا الرُّوحُ فارقَتِ الجِسما
ولا خلْدَ حتى تملأَ الدهرَ حِكْمةً ... على نزلاءِ الدهرِ بعدَك أو عِلْما

* * *

زَجَرْتُ تَصاريفَ الزمانِ ، فما يَقعْ ... لِيَ اليومَ منها كان بالأمس لى وَهْما[1]
وقدَّرْتُ (للنعمانِ) يومًا وضِدَّهُ ... فما اغْتَرَّتِ البُوسَى، ولا غَرَّتِ النُّعْمَى[2]
شربتُ الأسى مصروفةً لو تعرضتْ ... بأنفاسِها بالفمِّ لم يستفِقْ غَمَّا
فأَتْرِعْ وناوِلْ يا زمانُ ؛ فإنما ... نديمُكَ (سُقْراطُ) الذى ابْتَدَعَ السَّمَّا[3]
قَتلتُكَ ، حتى ما أُبالي : أَدَرْتَ لى ... بكأْسِكَ نَجْمًا، أم أَدَرْتَ بها رَجْما؟!
للكِ اللهُ مِنْ مَطعونةٍ بقَنا النَّوى ... شهيدةِ حربٍ لم تُقارِفْ لها إثما
مُدَلَّهةٍ أَزكىٰ مِنَ النارِ زَفْرَةً ... وأَنْزَهِ مِنْ دَمْعِ الحَيا عَبْرَةً سَحْما[4]
سقاها بَشيرى وهْىَ تَبكِى صَبابةً ... فلم يَقْوَ مَغناها على صَوْبِهِ رَسْما[5]
أَسَتْ جُرحَها الأنباءُ غيرَ رَفيقةٍ ... وكم نازعٍ سهمًا فكان هو السَّهما !
تَغارُ على الحُمَّى الفضائلُ والعُلا ... لِما قبَّلَتْ منها ، وما ضَمَّتِ الحُمَّى !
أَكانت تَمَنَّاها وتَهوَى لِقاءَها ... إذا هى سَمَّاها بذى الأرض مَنْ سَمَى ؟

(١) الزجر : العيافة والتكهن ، يقول : إنه كان متكهنا بما صنعه الزمن معه وكان متوقعا له .

(٢) كان للنعمان بن المنذر يوم بؤس لا يفد فيه عليه أحد إلا قتله ، ويوم نعمى لا يُسأل فيه إلا أعطى ، ولهذين اليومين حوادث سارت من أجلها أمثال كثيرة للعرب ، ويرجع فى هذا إلى الكتب الأدبية المطولة من شاء .

(٣) سقراط : إمام الفلاسفة المتقشفين ، حكم عليه بالإعدام فشرب السم بيده ، و لم يرض أن يفر مع أصحابه الذين عزموا عليه بالفرار .

(٤) العبرة السحما : أى السوداء ، ولا يكون هذا إلا من أثر الحزن العميق .

(٥) الرسم : هو هنا مصدر « رسم المطر الديار » إذا عفاها وأبقى أثرها لاحقا بالأرض .

أَلَمَّتْ عليها ، واتَّقتْ ثمراتِها ... فلما وُقُوا الأَسْواءَ لم ترَها ذمَّا

فياجسرتا أَلاَّ تراهم أَهِلَّةً ... إذا أَقْصَرَ البدرُ التمامُ مَضوْا قُدْما!

رَياحينُ فى أُنف الوَلِىِّ ، وما لها ... عدوٌّ تراهم فى مَعاطِسِهِ رَغْما

وأَلاَّ يطوفوا خُشَّعًا حولَ نعشِها ... ولا يُشبِعوا الركنَ استلامًا ولا لَثْما

حلَفْتُ بما أَسلَفْتِ فى المهد مِنْ يَدٍ ... وأَوْلَيْتِ جُثمانى من المِنَّةِ العُظمى

وقبرٍ مَنُوطٍ بالجلال مُقَلَّدٍ ... تَلِيدَ الخلالِ الكُثْرِ، والطارفَ الجَمّا(1)

وبالغادياتِ الساقياتِ نَزِيلَهُ ... من الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، والآيِ، والأَسْما

لَما كان لى فى الحربِ رأْىٌ ولا هوًى ... ولا رُمْتُ هذا الثكلَ للناس واليُتما

ولم يكُ ظلمُ الطيرِ بالرقّ لى رِضًا ... فكيف رضائى أَن يَرَى البَشَرُ الظُّلما

ولم آلُ شُبّانَ البريّةِ رِقَّةً ... كأَن ثمارَ القلب مِنْ وَلَدِى ثَمَّا

وَكُنْتُ على نَهْجٍ من الرأْى واضحٍ ... أَرى الناس صِنفَيْنِ: الذئابَ أَو البَهْما(2)

وما الحُكْمُ إلا أُولِى البأْسِ دولةً ... ولا العدلُ إلا حائطٌ يَعْصِمُ الحُكما

* * *

نزلْتُ رُبَى الدنيا، وجَنّاتِ عَدْنِها ... فما وَجَدَتْ نفسى لأَنهارها طعما

أُرِيحُ أَرِيجَ المِسْكِ فى عَرَصاتِها ... وإن لم أُرِحْ (مَرْوانَ) فيها ولا (لَخْما)(3)

إذَا ضَحِكتْ زهوًا إلىّ سماؤها

بكيْتُ النَّدَى فى الأَرض ، والبأْسَ ، والحزما

أُطِيفُ برسمٍ، أَو أُلِمُّ بدِمْنَةٍ ... أَخال القصور الزُّهْرَ والغُرَفَ الشُّما

فما برحَتْ من خاطرى (مصرُ) ساعةً ... ولا أَنتِ فى ذى الدارِ زايَلْتِ لى هَمّا

---

(1) التليد : القديم . الطارف : الجديد .

(2) البهم ( بفتح الباء ) : صغار الغنم .

(3) مروان ولخم : قبيلتان عربيتان ، وهما من القبائل التى تولت السيادة فى بلاد الأندلس زمنا .

إذا جَنَّنِى الليـلُ ٱهْتـزَزْتُ إليكمـا ... فجُنحا إلى سُعْدَى . وجُنحا إلى سَلْمى[١]

فلما بدا للناس صُبْحٌ من المُنَـى ... وأبصرَ فيه ذو البصيرةِ والأعمى

وقَرَّتْ سيوفُ الهندِ ، وارتكز القَنا ... وأقْلَعَتِ البَلْوَى ، وأقْشَعَتِ الغُمَّى

وحَـنَّتْ نواقـيسٌ ، ورَنَّتْ مـآذنٌ ... ورَفَّتْ وجوهُ الأرضِ تَستقبلُ السلمى

أَتى الدهرُ مِنْ دونِ الهناءِ ، و لم يَزَلْ ... وَلوعًا ببُنْيَـانِ الرجـاءِ إذا تَمَّـا !

إذا جال فى الأعيادِ حَلَّ نظامَهـا ... أو العُرسِ أَبْلَى فى معالمه هَدْمـا

لئـن فـاتَ مـا أَمَّلْتِـهِ مـن مـواكبٍ ... فَدُونَكِ هذا الحشدَ والموكبَ الضَّخما !

رثَـيْتُ بـه ذاتَ التُّقَى ونظمتُـه ... لعنصره الأزكى وجوهرِهِ الأسمى

نمتكِ مَناجـيبُ العُـلا ونَمَيْتِهـا ... فلم تُلْحَقِى بنتًا و لم تُسْبَقـى أُمّـا

وكنتِ إذا هٰذى السماءُ تخايلتْ ... تواضعْتِ ، لكنْ بعد ما فُتِّها نَجما

أَتَـيْتِ بـه لم ينظـم الشِّعـرَ مثلُـه ... وجِئْتِ لأخلاق الكرامِ به نَظما

ولو نهضَتْ عنه السماءُ، ومَـخَّضَتْ ... به الأرضُ كان المُزنَ والتبرَ والكَرْما![٢]

●●●

(١) الجنح ( بضم الجيم وكسرها ) : طائفة من الليل .

(٢) يريد أنه يشبه المزن فى الكرم ، والتبر فى العرق والنفاسة ، والخمر فى السكر الذى يسكر الناس به من شعره .

# الملك حسين(*)

لك فى الأَرض والسماءِ مآتمْ — قام فيها أَبو الملائِكِ هاشمْ[١]
قعد الآلُ للعَزاءِ ، وقامتْ — باكياتٍ على الحُسين الفَواطم[٢]

* * *

يا أبا العِلْيةِ البَهاليلِ ، سَلْ آ — باءَكَ الزُّهْرَ : هل من الموتِ عاصم؟[٣]
المنايا نَوازِلُ الشَّعَرِ الأَبـ — ـيضِ ، جاراتُ كلِّ أَسودَ فاحم[٤]
ما الليالى إلا قِصارٌ ، ولا الدُّنـ — ـيا سِوَى ما رأَيتَ أَحلام نائم
انْحِسارُ الشِّفاهِ عن سنٍّ جَذلا — نَ وراءَ الكرى إلى سنٍّ نادِمِ
سنةٌ أفرحَتْ ، وأُخرى أَساءَتْ — لم يَدُم فى النعيم والكربِ حالم

* * *

المَناحاتُ فى مَمالِكِ أَبنا — ئِكَ بَدْرِيَّةُ العزاءِ قوائم[٥]
تلك ( بغدادُ ) فى الدموعِ ، وعمّا — نُ وراءَ السَّوادِ ، والشامُ واجم[٦]

---

(*) هو ملك الحجاز الحسين بن على ، زعيم الحركة العربية فى طلب تحرير أصقاع الجزيرة من حكم الأتراك ، وقد توفى سنة ١٩٣١ ودفن بالقدس الشريف .

(١) أبو الملائك : أى أبو الملوك . وهاشم هو أحد جدود النبى صلوات الله عليه .

(٢) الآل : آل البيت النبوى الشريف ، والمقصود هنا رجاله ، الفواطم : يريد بهن نساء هذا البيت من ذرية السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول ﷺ ، وزوج الإمام على كرم الله وجهه .

(٣) علية ( بكسر العين ) : جمع على ، وهو الشريف العالى القدر من الناس . البهاليل : جمع بهلول ، وهو السيد الجامع لكل خير . الآباء الزهر : هم المشرقو الوجوه ، المشابهون للنجوم الزهر فى صفاء اللون والتلألؤ والظهور .

(٤) يقول : إن المنايا تنزل بالشيب كما تنزل بالشباب ، فليس هناك من عاصم منهن .

(٥) يشبه الحزن على الفقيد بالحزن على صرعى بدر ، أولى غزوات الرسول ﷺ .

(٦) بغداد : عاصمة العراق ، والمراد بها القطر كله . وعمان : عاصمة الأردن ، كنى بها عن الأقليم جميعه . والشام : يقصد بها سوريا وما إليها من الأقاليم المحصورة بين تركيا وبلاد العرب ونهر الفرات والبحر المتوسط .

والحِجَـازُ النبيـلُ رَبْـعٌ مُصَلٍّ    من رُبوعِ الهُدى ، وآخرُ صائم[1]
واشتركنا ، فمِصرُ عَبْرَى ، ولبنا    نُ سَكُوبُ العيونِ باكى الحمائم

* * *

قُمْ تأمَّلْ بَنيك فى الشَّرق زَيْنُ التَّـ    ـاجِ ، مِلْءُ السَّرِيرِ ، نورُ العواصم[2]
الزكيّـون عُـنصُرًا مثـل إبـرا    هيمَ ، والطيِّبون مثل القـاسم[3]
وعـليهم إذا العيـونُ رَمَتْهـم    عُـوَذٌ مـن محمـدٍ وتَمـائم[4]
قـد بَنَـى اللهُ بيتَهـم فهْـوَ بـاقٍ    مـا بنى اللهُ مـا لـه مـن هـادِم
دبَّروا الملكَ فى العراقِ وفى الشا    مِ فسَنّوا الهدى ، ورَدّوا المظالم
أَمِنَ الناسُ فى ذَراهم ، وطـابت    عربُ الأرضِ تحتَهم والأعاجم
وبَنَـوْا دولـةً وراءَ فِلَسْطِـ    ـينَ ، كعابَ الهدى ، فتاةَ العزائم
سَاسَهـا بالأنـاةِ أَرْوَعُ (كالـدا    خل)، ماضى الجنانِ يقظانُ، حازم[5]
قُبْرُصٌ كانت الحديدَ ، وقد تَنـ    ـزِل قُضبانَـهُ اللُّيوثُ الضَّراغم[6]
كَـرِهَ الدَّهـرُ أن يقـومَ لِـواءٌ    تُـحْشَر البِيـدُ تحتَـه والعماعِـم[7]

* * *

---

(١) الحجاز النبيل : يقصد الحجاز الذى بقى محافظا على عهده للفقيد. الربع : الدار .

(٢) العواصم : جمع عاصمة ، وهى البلدان الكبيرة التى تقيم فيها الحكومات .

(٣) إبراهيم والقاسم : هما من أولاد النبى صلوات الله عليه .

(٤) عوذ : جمع عوذة ، وهى الرقية تحفظ من العين كالتميمة ، وجمع التميمة : تمائم .

(٥) الأناة : الرفق ، ويريد « بالأروع : الملك فيصل ، بشبهه بالداخل ، وهو عبد الرحمن الداخل صقر قريش مؤسس دولة بنى أمية فى الأندلس .

(٦) قبرص : جزيرة فى البحر الأبيض المتوسط ، قضى فيها الملك حسين بقية عمره بعد ما اعتزل الملك ، يشبهها أمير الشعراء فى حالة إقامة الفقيد فيها بالقفص الحديد الذى يحبس فيه الأسد ، وصنع الأقفاص الحديدية لحبس الأسود مألوف لمنظمى الحدائق فى عصرنا هذا .

(٧) العماعم : الجماعات المتفرقون .

قم تحدّثْ ( أبا علىٍّ ) إلينا ... كيف غامرْتَ فى جِوار الأَراقم ؟[١]
لم تُبالِ النُّيوبَ فى الهامِ خُشْنًا ... وتعلَّقْتَ بالحواشى النَّواعِم
هاتِ حَدِّثْ عن العَوانِ وصِفْها ... لا تُرَعْ فى التراب ، ما أنا لائم ![٢]
كلُّنا واردُ السَّرابِ ، وكلٌّ ... حمَلٌ فى وَلِيمَةِ الذئبِ طاعم[٣]
قد رجوْنا من المغانم حَظًّا ... ووَرَدْنا الوَغى ، فكُنَّا الغنائم

* * *

قد بَعثْتَ القضيّةَ اليومَ مَيْتًا ... رُبَّ عظمٍ أتى الأُمورَ العظائم
أنتَ كالحقِّ ألَّف الناسَ يَقظا ... نَ ، وزادَ ائتلافَهم وهْوَ نائم
إنما الهِمَّةُ البعيدةُ غَرْسٌ ... مُتَأَتِّى الجَنَى ، بَطِىءُ الكمائم[٤]
ربّما غابَ عن يدٍ غَرسَتْهُ ... وحَوَتْه على المدى يدُ قادم
حبَّذا موْقِفٌ غُلِبْتَ عليه ... لم يَقِفْهُ للعُربِ قبلك خادم
ذائدًا عن ممالكٍ وشعوبٍ ... نُقِلتْ فى الأَكفِّ نقلَ الدراهم
كلُّ ماءٍ لهم ، وكلُّ سماءٍ ... مَوْطِىءُ الخيلِ ، أو مَطارُ القَشاعم[٥]
لِمَ لَمْ تَدْعُهم إلى الهمّةِ الشَّـ ... ـماءِ والعلمِ والطِّماحِ المُزاحم ؟
وركوبِ اللِّجاجِ وهْىَ طَواغٍ ... والسمٰواتِ وهْىَ هُوجُ الشكائم ؟[٦]

---

(١) يشير إلى انضمام الفقيد فى صف الحلفاء ضد تركيا فى أثناء الحرب الكبرى ، وقد كان لهذا الانضمام أثره فى نهاية تلك الحرب .

(٢) العوان : الحرب .

(٣) كلنا فى وليمة الذئب طاعم : يريد كلنا مطعوم مأكول لهذا الذئب .

(٤) الجنى : الثمار . الكمائم : محل ما تنبت تلك الثمار .

(٥) القشاعم : النسور ، جمع قشعم . ويريد « بالنسور » الطيارين الذين يشبهون النسور .

(٦) يريد « بركوب السموات » : ركوب الطيارات ويريد بهوج الشكائم : اللجم ، أى اللجم الصعبة القياد .

وإلَى القُطْب والجَلِيدُ عليه ... والصّحارى وما بها من سَمائم ؟[١]

اغسلوه بطيِّبٍ من وَضوءِ الرُّسـ ... ـلِ ، كالوَرْدِ فى رُباه البواسم[٢]

وخذوا من وِسادِهم فى المُصَلَّى ... رُقْعةً كَفِّنوا بها فرعَ هاشم

واستعيروا لِنعشِه من ذرى المنـ ... ـبرِ عودًا ، ومن شريفِ القوائم

واحملوه على البُراق إن اسْطَعْـ ... ـتم ؛ فقد جَلّ عن ظهور الرواسم[٣]

وأديروا إلى العتيق ( حُسينًا ) ... يَبْتهِلْ رُكنُه ، وتدعو الدعائم[٤]

واذكروا للأمير مكّةَ ، والقصـ ... ـرَ ، وعهدَ الصفا ، وطِيبَ المواسم

ظَمِئَ الحُرُّ للدّيار ، وإن كا ... ن على مَنهلٍ من الخلد دائم

* * *

نَقِّلوا النعشَ ساعةً فى رُبا الفتـ ... ـح ، وطوفوا برَبِّهِ فى المعالم

وقِفوا ساعةً به فى ثَرى الأقـ ... ـمار من قومِه وتُرْب الغمائم

وادفِنوه فى القُدس بين سُليما ... نَ وداودَ والملوكِ ، الأكارم

إنما القدسُ منزلُ الوَحْى ، مَغْنَى ... كلِّ حَبْرٍ من الأوائل عالم

كُنِّفَتْ بالغيوب ، فالأرضُ أَسْرا ... رٌ مَدَى الدَّهرِ ، والسماءُ طَلاسم

وتَحلَّتْ من البُراقِ بطُغرا ... ءَ ، ومِن حافر البُراقِ بخاتم[٥]

●●●

---

(١) السمائم : جمع سموم ، وهى الريح الحارة المحرقة .

(٢) الوضوء ( بفتح الواو ) : ما يتوضأ به .

(٣) الرواسم : الإبل ، أو الخيل ، أو الركائب عامة .

(٤) العتيق : مسجد بيت المقدس حيث دفن الفقيد .

(٥) الطغراء : ما يكتب فى أول الكتاب . والبراق : هو ركوبة النبى صلوات الله عليه ليلة أسرى به .

# يرثى أباه[*]

سألونى : لِمَ لَمْ أَرْثِ أَبى ؟ ... ورثاءُ الأبِ دَيْنٌ أَىُّ دَيْنْ

أَيُّها اللُّوّامُ ، ما أَظلمَكم ! ... أَينَ لى العقلُ الذى يُسعِد أَيْنْ ؟[1]

يا أَبى ، ما أَنتَ فى ذا أَوّلٌ ... كلُّ نفس للمنايا فرضُ عَيْن

هلكَتْ قبلكِ ناسٌ وقرَى ... ونَعى الناعون خيرَ الثقلين[2]

غايةُ المرءِ وإن طالَ المدَى ... آخذٌ يأْخذه بالأَصغرَيْنَ[3]

وطبيبٌ يَتولَّى عاجزًا ... نافضًا من طِبِّه خُفَّىْ حُنَين[4]

إنّ للموتِ يدًا إن ضَرَبَتْ ... أَوشكَتْ تصدُع شملَ الفرْقَدَيْن

تَنفُذ الجوَّ على عِقبانه ... وتلاقى الليثَ بين الجبلين

وتحطُّ الفرخَ من أَيْكته ... وتنال البَبَّغا فى المئتين

أَنا مَنْ مات ، ومَنْ مات أَنا ... لقى الموتَ كِلانا مَرتين

نحن كنا مهجةً فى بدنٍ ... ثم صِرْنا مُهجةً فى بَدَنَيْن[5]

ثم عُدنا مهجة فى بدنٍ ... ثم نُلقى جُثَّةً فى كَفَنَيْن

---

(*) نظم هذه القصيدة حوالى سنة ١٨٩٧ يرثى بها والده الطيب الذكر المرحوم على بك شوقى رحمه الله .

(١) يسعد : يعين .

(٢) الثقلان : الإنس والجن . وخير الثقلين ، هو سيدنا محمد صلوات الله عليه .

(٣) الأصغران : القلب واللسان .

(٤) خفى حنين : مثل عربى يضرب عند اليأس من الحاجة المطلوبة والرجوع عن الطلب بالخيبة .

(٥) المهجة : الدم ، وقد يعبر بها عن الروح ، يقال : خرجت مهجته ، أى روحه .

ثم نَحيا فى ( علىٍّ ) بعدَنا  وبه نُبْعَثُ أُولَى البَعْثتين[١]
انظر الكونَ وقُلْ فى وصفِه  كلُّ هذا أصلُه من أبوين
فإذا ما قيل : ما أصلُهما ؟  قل : هما الرحمةُ فى مَرْحَمتين
فقدَا الجنةَ فى إيجادِنا  ونَعِمْنا منهما فى جَنَّتين
وهما العذرُ إذا ما أُغضِبَا  وهما الصَّفحُ لنا مُسْتَرضَيَيْن
ليتَ شِعرى أىُّ حىٍّ لم يَدِن  بالذى دَانا به مُبتدِئَيْن ؟
وقفَ اللهُ بنا حيثُ هُما  وأَماتَ الرُّسْلَ إلاّ الوالدين[٢]
ما أَبِى إلاَّ أَخٌ فارَقْتُه  وَدُّه الصِّدقُ ، وودُّ الناسِ مَيْن[٣]
طالما قُمنا إلى مائدةٍ  كانت الكِسْرةُ فيها كِسْرتَيْن
وشَربنا من إناءٍ واحدٍ  وغَسلنا بعدَ ذا فيه اليديْن
وتَمشَّينا يَدى فى يدِه  مَن رآنا قال عنا : أَخَوَيْن
نظرَ الدهرُ إلينا نظرةً  سَوَّت الشرَّ فكانت نظرتين
يا أَبِى والموتُ كأسٌ مُرّةٌ  لا تذوقُ النفسُ منها مَرَّتَين
كيف كانت ساعةٌ قضيَّتها  كلُّ شىءٍ قبلَها أو بعدُ هَيْن ؟
أَشرِبْتَ الموت فيها جُرعةً  أم شرِبْتَ الموتَ فيها جُرعتين ؟

---

(١) على : هو أحد نجلى أمير الشعراء .

(٢) يريد فى هذا البيت أن يقرر أن الأبوة ضرب من ضروب الرسالة التى لم تنقطع كما انقطعت رسالة الأنبياء ، وإنما هى ستظل قائمة بوظيفتها من طبع الأبناء على غرار الآباء ، مصداقا للأثر القائل : ما من مولود إلا ويولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه .

(٣) المين : الكذب . وفى هذا البيت على سهولة أدائه أعظم ألوان المدائح لوالده ، فإن الوالد الذى لا يشعر ابنه بسلطة الأب ، هو الوالد المشتمل على جميع مكارم الأخلاق ، البالغ أعلى درجات الحكمة .

لا تَخَفْ بعدَكَ حُزنًا أو بُكًا		جَمدَتْ مِنِّى ومنكَ اليومَ عَيْن
أنتَ قد علمتنى تَرْكَ الأَسىٰ		كلُّ زَيْنٍ مُنتهاه الموتُ شَيْن
ليت شعرى : هل لنا أَن نلتقِى		مَرّةً ، أَم ذا افتراقُ المَلَوَين ؟[١]
وإذا متُّ وأُودِعْتُ الثرى		أَنلقَّى حُفرةً أَم حُفْرتين ؟

●●●

(١) الملوان : الليل والنهار ، الواحد منهما ملا .

# مصطفى كامل باشا(*)

المَشرِقــانِ علــيكَ يَنتحِبـــان ... قاصيهُمــا فى مأْتَــمٍ والــدّانى

يا خادِمَ الإسلامِ ، أجرُ مُجاهِدٍ ... فى اللهِ مَن خُلْدٍ ومِــنْ رِضْوان

لما نُعيتَ إلى الحجازِ مشَى الأسَى ... فى الزائريــنَ ورُوِّعَ الحَرَمــان(١)

السّكــةُ الكُبرى حِيالَ رُباهُمــا ... مَنكـوسةُ الأعــلامِ والقُضْبــان(٢)

لم تَألُها عنـدَ الشدائـدِ خِدمــةً ... فى اللهِ والمختـــار والسلطـــان

يا لـيتَ مكــةَ والمدينــةَ فازتــا ... فى المحفِلَيْـــن بصوتِكَ الرَّنّـــان

ليرى الأواخرُ يومَ ذاكَ ويسمعوا ... ما غابَ من قُسٍّ ومِن سَحْبــان(٣)

جارَ التُّراب وأنتَ أكرمُ راحــل ... ماذا لَقِيتَ من الوجود الفــانى ؟

أبكِى صِباكَ ، ولا أعاتبُ مَنْ جَنَى ... هــذا عليــه كرامــةٌ للجـــانى

يتساءَلون: أبـ (السُّلالِ) قضيْت، أم ... بالقلبِ ، أم هل مُتَّ بالسَّرطـان ؟

اللهُ يَشهـد إنّ مــوتَك بالحِجــا ... والجدِّ والإقــدامِ والعِرفـــان

إن كان للأخـلاقِ ركــنٌ قائــمٌ ... فى هـذه الدنيا ؛ فأنت البــانى

باللهِ فَتِّشْ عن فـؤادِك فى الثّـرى ... هــل فيـه آمــالٌ وفيــه أمــانى ؟

وِجْدانُك الحيُّ المُقيمُ على المَدى ... ولَرُبَّ حَــيٍّ مَـيتِ الوجْــدان

النــاسُ جــارٍ فى الحيــاةِ لغايــةٍ ... ومُضلَّــلٌ يَجـرى بــغير عِنــان

---

(*) هو الزعيم الخالد الذكر مصطفى كامل باشا مؤسس الحزب الوطنى ، وقد تـوفى سنة ١٩٠٨ .

(١) الحرمان : حرما مكة والمدينة .

(٢) السكة الكبرى : يريد سكة حديد الحجاز ، وقد كان الفقيد أعظم الدعاة المجاهدين فى سبيل إنشائها .

(٣) قس وسحبان : خطيبان عربيان يضرب بهما المثل فى الطلاقة الخطابية والفصاحة والحكمة .

والخُلْدُ فى الدنيا — وليس بهيّنٍ — عُليـا المَراتبِ لم تُتَـحْ لجبـان
فلو آن رُسْلَ اللهِ قد جَبُنُوا لمَـا ماتـوا على ديـنٍ مـن الأَديـان
المجدُ والشَّرفُ الرفيـعُ صحيفـةٌ جُعِلتْ لها الأَخلاقُ كالعنـوان
وأَحَبُّ مِن طولِ الحياةِ بذِلَّـةٍ قِصَرٌ يُـرِيكَ تقـاصُرَ الأَقـران
دَقَّاتُ قـلبِ المرءِ قائلـةٌ لـه : إنَّ الحيـاةَ دقائـقٌ وثـوانى
فارفعْ لنفسِكَ بعدَ موتِكَ ذِكرَها فالذكـرُ لـلإنسان عُمـرٌ ثـانى
للمرءِ فى الدنيـا وجَـمٌّ شئونِهـا مـا شاءَ مِنْ رِبحٍ ومِنْ خُسران
فَهِى الفضاءُ لراغبٍ مُتطلِّـعٍ وهى المَضِيقُ لِمُؤْثِرِ السُّلْوان
النـاسُ غـادٍ فى الشَقـاءِ ورائـحٌ يَشْقى له الرُّحَمـاءُ وهْـوَ الهانى
ومُنعَّـمٌ لم يلـقَ إلاَّ لـذَّةً فى طيِّهـا شجَنٌ من الأَشجـان
فاصبر على نُعْمى الحياةِ وبُؤسِها نُعْمى الحيـاةِ وبُؤسُهـا سِيَّـان(١)
يا طاهرَ الغدَواتِ، والرَّوحاتِ، والـ ـخطراتِ، والإِسْرارِ، والإِعْلان
هل قامَ قبلَكَ فى المدائنِ فاتـحٌ غـازٍ بغيـرِ مُهنَّـدٍ وسِنـان ؟
يدعو إلى العِلْم الشريفِ، وعندَه أَن العلـومَ دعائـمُ العُمـران ؟
لفُّوكَ فى عَلَم البـلادِ مُنـكَّسًا جَـزِع الهلال على فتـى الفتيـان
ما احْمَرَّ مِنْ خجَلٍ، ولا مِن ريبةٍ لكنَّمـا يَبكـى بدمـع قـانى(٢)
يُزْجُون نعشَكَ فى السَّناءِ وفى السَّنا فكـأَنَّما فى نـعشِكَ القمـران
وكأَنَّه نعشُ الحُسينِ «بكرْبَلا» يختـالُ بين بُكًـا، وبيـنَ حَنـان
فى ذِمَّـةِ اللهِ الكريـمِ وبِـرِّهِ ما ضمَّ مِن عُرْفٍ ومِـن إحسان

(١) سيان : مثلان، الواحد سى .
(٢) قانى : أحمر .

ومَشَى جلالُ الموتِ وهْوَ حقيقةٌ وجـلالُك المصدوقُ يلتقيـان
شَقَّتْ لِمَنظرِك الجيوبَ عقائـلٌ وبَكتْكَ بالدّمع الهَتُونِ غوانى[1]
والخلقُ حولَك خاشعون كعهدِهم إذ يُنصِتُون لخطبـةٍ وبَيـان
يتساءَلون : بأىِّ قلبٍ تُرتَقَى بعدُ المنابـرُ ، أم بـأىِّ لسان ؟
لـو أنّ أوطانًـا تُصوَّرُ هَيْكَـلا دفنوكَ بينَ جوانحِ الأوطـان
أو كان يُحمَل فى الجوارح ميِّتٌ حملـوك فى الأسماع والأجفـان
أو صِيغَ من غُرِّ الفضائلِ والعُلا كفنٌ لَبِستَ أحاسنَ الأكفان
أو كان للذكـر الحكيم بقيـةٌ لم تأتِ بعدُ ؛ رُثِيتَ فى القـرآن
ولقد نظرتُك والرَّدَى بك مُحْدِقٌ والـداءُ مِـلْءُ معالـمِ الـجُثمان
يَبْغِى ويطْغَى ، والطبيب مُضلَّلٌ قَنِطٌ ، وساعـاتُ الرَّحيل دَوانى
ونواظرُ العُـوّادِ عـنكَ أمالَهـا دمـعٌ تُعالِـج كتْمَـهُ وتُعـانى
تُمْلِى وتَكتُبُ والمشاغِل جَمَّـةٌ ويَداك فى القِرطـاسِ ترتجفـانى
فهشَشْتَ لِي ، حتى كأنك عائدى وأنـا الـذى هَـدَّ السَّقامُ كِيـانى
ورأيتُ كيف تموتُ آسادُ الشَّرى وعرفتُ كيف مصارعُ الشُّجعان[2]
ووَجَدْتُ فى ذاك الخيالِ عزائمًـا مـا للمَنـونِ بدَكِّهِـنَّ يَـدان
وجَعلْتَ تسألُنى الرِّثاءَ ، فهاكـه مـن أدمُعى وسرائرى وجَنـانى
لـولا مُغالبـةُ الشُّجـونِ لخاطرى لنظمـتُ فيكَ يَتيمـةَ الأزمـان
وأنا الذى أرثِى الشموسَ إذا هَوَتْ فتعـودُ سِيرتها إلى الـدَّوَران
قد كنتَ تهتفُ فى الورى بقصائدى وتُجِـلُّ فـوق النيِّـراتِ مكـانى

---

(١) العقائل : جمع عقيلة وهى ابنة الرجل المخدرة ، أو كريمته . الهتون : من هتن الدمع ، إذا قطر . الغوانى جمع غانية ، وهى الفتاة تغنى بجمالها عن الحلى .

(٢) آساد : جمع أسد . الشرى : طريق فى جبل سلمى كثيرة الأسد .

مَاذَا دَهانِى يومَ بِنْتَ فعَقَّنى ... فيكَ القريضُ ، وخانني إمكانى ؟

هوِّنْ عليكَ ؛ فلا شماتَ بميِّتٍ ... إنّ المنيَّةَ غايةُ الإنسان

مَنْ للحسودِ بميْتةٍ بُلِّغْتَها ... عَزَّتْ على (كِسْرَى) أنوشِرْوان؟

عُوفِيتَ من حَرَبِ الحياةِ وحَرْبِها ... فهل استرحْت أم استراح الشانى ؟[1]

ياصَبَّ مِصْرَ ، وياشهيدَ غرامِها ... هذا ثرَى مِصْرٍ ؛ فنَمْ بأمان

اِخلَعْ على مصرٍ شبابَك عاليًا ... وآلبسْ شَبابَ الحُورِ والوِلْدان

فلعلَّ مصرًا من شبابِكَ ترتدِى ... مجدًا تَتيهُ به على البُلدان

فَلَوَ آنّ بالهَرَمَيْنِ من عَزَماتِه ... بعضَ المَضَاءِ تحرّك الهَرمان

علَّمْتَ شُبانَ المدائنِ والقُرى ... كيف الحياةُ تكونُ فى الشبان

مصرُ الأَسيفةُ ريفُها وصعيدُها ... قبرٌ أبرُّ على عظامِك حانى

أقسمْتُ أنك فى الترابِ طهارةٌ ... مَلكٌ يَهابُ سؤالَه الملَكان

● ● ●

(١) حربه ( كطلبه ) : سلبه ماله . الشانى : المبغض .

# حسن بك أنور[*]

تُسائِلنـى ( كرْمَتِـى ) بـالنهار … وبالليل : أين سَمِيرِى (حَسَنْ) ؟[١]
وأيـن النديـمُ الشهِـىُّ الحديثِ ؟ … وأين الطَّروبُ اللطيـفُ الأُذن ؟
نَجِـىُّ البلابِـل فى عُشِّهـا … ومُلْهِمُهـا صِبْيَـةً فى الفَنَـن ؟
فقلتُ لها : ماتَ ، واستشعَرت … ليالـِى السرورِ عليـه الحَـزَن
لَئِنْ نـاءَ مـن سِمَـنٍ جسمُـه … فمـا عَرفت رُوحُـه ما السِّمَـن
ومـا هـو مَـيْتٌ ، ولكنـه … بشاشةُ دهـرٍ محاهـا الزمـن
ومَعْنًى خـلا القـولُ من لفظِـه … وحُلـمٌ تَطَايَـر عنـه الـوَسَن[٢]

* * *

ولا يَذكُـر المعهـدُ الشرقـىُّ … ( لأنـورَ ) إلا جليـلَ المِنَـن
وما كان من صَبره فى الصِّعـابِ … ومـا كان مـن عَوْنِه فى المِحَـن
وخِدمـة فـنٍّ يُـداوِى القلـوبَ … ويَشفِى النفوسَ ، ويُذْكِى الفِطَن
ومـا كان فيـه الدَّعِـىَّ الدخيـلَ … ولكـنْ مِن الفـنِّ كان الرُّكُـن[٣]

* * *

ولو أنصف الصحبُ يومَ الوَداعِ … دُفِنْتَ ( كإسحاقَ ) لمّـا دُفِـن
فغُيِّبْتَ فى المِسْكِ ، لا فى التراب … وأُدْرِجْتَ فى الوَرْدِ ، لا فى الكَفَن

---

(*) المرحوم حسن بك أنور : أحد الاعضاء المؤسسين لنادى الموسيقى الشرق ، وكان من الأصدقاء المقربين لأمير الشعراء ، وقد توفى سنة ١٩٣٠ .

(١) كان يطلق على دار أمير الشعراء كرمة ابن هانىء .

(٢) الوسن : النعاس .

(٣) الركن : الركن ، وقد حركت الكاف من أجل الشعر . والركن من كل شيء : جانبه الأشد والأقوى .

وخُـطَّ لك القبـــرُ فى رَوْضَةٍ      يَميـلُ على الغُصْنِ فيها الـغُصُن
ويَنتـحِبُ الطيـرُ فى ظلِّهـا      ويَخلَـعُ فيها النسيـمُ الـرَّسَن[1]
وقـامت على العـود أوتـارُه      تُعيد الحنيـنَ ، وتُبـدى الشَّجَـن
وطارحَكَ (النائُ) شَجْوَ النُّواحِ      وكـنتَ تَئِـنُّ إذا النـائُ أنَّ
ومال فنـاحَ عليكَ ( الكَمـانُ )      وأظهـر مـن بَثِّـه مـا كَمَـن

* * *

سلامٌ علـيكَ سلامُ الرُّبـا      إذا نَفَحَتْ ، والغوادى الهُتُـن
سلامٌ على جِيرةٍ بالإمـام      ورَهْـطٍ بصحرائـه مُرْتَهَـن
سلامٌ على حُفَـرٍ كالقبـاب      وأخرى ، كُمنـدرِساتِ الدِّمَن[2]
وجَمْـعٍ تآلَـفَ بعـدَ الخلافِ      وصافَى وصُوفِىَ بعد الضَّغَـن
سلامٌ على كـلِّ طَـوْدٍ هُنـاك      لـه حَجَـرٌ فى بنـاءِ الوطـن

●●●

(١) الرسن : الحبل . ويقال : رسن الفرس : شده بالرسن .
(٢) الدمن : جمع دمنة ، وهى آثار الديار .

# أم المحسنين(*)

أَخَذَتْ نعشَكِ مصرٌ باليمينْ     وحَوَته مِن يد الرُّوحِ الأمينْ(١)
لَقِيَتْ طُهْرَ بَقايَاكِ كما     لَقِيَتْ ( يَثْرِبُ ) أُمَّ المؤمنين
فى سَوادَيْهَا ، وفى أحشائها     ووراءَ النَّحْرِ مِن حَبلِ الوَتِين(٢)

* * *

خرَجَتْ من قصرِكِ الباكى ، إلى     رَمْلَةِ الثَّغْر ، إلى القصرِ الحزين
أخذَتْ بينَ اليتامى مَذهبًا     ومَشتْ فى عَبَراتِ البائسين
ورَمتْ طَرْفًا إلى البحرِ ترى     مِن وراءِ الدَّمعِ أسرابَ السفين
فبَدَتْ جاريةٌ فى حِضْنِها     فَتَنُ الوَرْدِ وفرعُ الياسَمين(٣)
وعلى جُؤْجُئِهَا نورُ الهدى     وعلى سُكَّانها نورُ اليقين(٤)
حَملَتْ من شاطِئَىْ ( مَرْمَرةٍ )     جوهرَ السُّؤددِ والكنزَ الثمين(٥)
وطَوَتْ بحرًا ببحرٍ ، وجَرَت     فى الأُجاجِ المِلْحِ بالعَذْبِ المَعين
واستقلَّتْ دُرَّةً كانت سَنًى     وسناءً فى جِباه المالكين(٦)

---

(*) أم المحسنين : هى والدة سمو الخديو عباس باشا الثانى ، وقد توفيت بالآستانة سنة ١٩٣١ .

(١) أخذت نعشك مصر باليمين : تعبير مقصود به القول أن مصر كلها أظهرت اهتماما وعناية كبيرين فى استقبال نعش الفقيدة . أما الشطر الثانى من البيت فهو كناية عن أن النعش كان يحوى ذخيرة من الذخائر المقدسة ، ومن أجل ذلك قام جبريل أمين الملائكة بحراسته حتى يسلم هذه الذخيرة لقومها يدا بيد .

(٢) النحر : موضع القلادة من الصدر . الوتين : عرق فى القلب إذا انقطع مات صاحبه .

(٣) جارية : سفينة ، وفى القرآن الكريم : ﴿ وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام ﴾ .

(٤) جؤجؤ السفينة : مقدمها ، وسكانها : مؤخرها .

(٥) مرمرة : بحر فى بلاد الترك ، يقول : إن هذه السفينة لم تحمل من شاطئ تلك البلاد نعش ميتة ، وإنما حملت خلاصة السؤدد وجوهر الكنز الثمين .

(٦) السنى ، بالقصر : الضوء ، وبالمد : الرفعة .

ذهَبَتْ عن عِلْيَةٍ صِيدٍ ، وعن خُرَّدٍ من خَفِرات البيتِ عِين
والتَّقِيَّاتُ بناتُ المُتَّقِى والآميناتُ بُنَيَّاتُ الأمين
لَبِسَتْ فى مَطْلَعِ العِزِّ الضُّحى ونَضَتْهُ كالشموس الآفلين[1]
يَدُها بانيةٌ غارسةٌ كيَدِ الشمسِ وإن غاب الجبين

* * *

رَبَّةَ العَرشَيْنِ فى دولتها قد رَكِبْتِ اليومَ عرشَ العالَمين
أُضْجِعَتْ قبلَكِ فيه ( مريمٌ ) وتَوارَى بنِساءِ المُرسَلين
إنه رَحْلُ الأوالِى شَدَّهُ لهمُ آدمُ رُسْلِ الآخِرين

* * *

اِخلَعِى الألقابَ إلا لقبًا عَبقريًّا ، هو ( أُمُّ المحسنين )
ودَعِى المالَ يَسِرْ سُنَّتَه يَمْضِ عن قومٍ لأيدى آخرين
واقْذِفى بالهمّ فى وَجهِ الثَّرى واطرحى منْ حالِقٍ عِبْءَ السنين[2]
واسخرى من شانِئٍ أو شامتٍ ليس بالمخطِئِ يومُ الشامِتين
وتعزَّى عن عوادى دولةٍ لم تَدُمْ فى وَلَدٍ أو فى قَرين
وازهدِى فى موكبٍ لو شِئتِه لتغطَّى وجهُها بالدارعين[3]
ما الذى رَدَّ على أصحابه ؟ ليس يُحيى مَوكبُ الدَّفنِ الدفين
رُبَّ محمولٍ على المِدفع ما مَنَعَ الحَوْضَ ، ولا حاط العَرين[4]
باطلٌ من أُمَمٍ مَخدوعةٍ يَتحدَّوْنَ به الحقَّ المبين

* * *

(١) نضته : خلعته . الآفلين : جمع آفل . والأفول للشموس : المغيب .

(٢) حالق الجبل : أعلاه ، كأنه يقول : إن الموت ارتفاع عظيم .

(٣) الدارعين : جمع دارع ، أى لابس الدرع . (٤) العرين : مأوى الأسد . يقول كثير ممن تحمل نعوشهم فوق المدافع لم يدافعوا عن الحق ، و لم يمنعوا العدوان عن الحمى ، فما دام هذا المظهر قد يناله فى الدنيا غير مستحقه ، فهو إذن ليس بذى خطر ، وليس بالذى يعتز به حقيقة .

في ( فَروقٍ ) ورُباهــا مأتــمٌ ذرَفَتْ آماقَهــا فيــه العيــون
قام فيها ، من عَقِيلات الحِمىٰ مَلَأٌ بُدِّلْـنَ مِـنْ عِـزٍّ بهُـون
أُسَرٌ مـالت بها الدنيـا ، فلـم تَلْقَ إلا عندكِ الركنَ الـركين
قـد خـلا ( بيبكُ ) مـن حـاتمه ومن الكاسِين فيـه الطاعـمين[١]
طـارت النعمـةُ عـن أَيْكَتِـه وانقضى ما كان من خَفضٍ ولِين
اليتامـى نُـوَّحٌ ناحيـةً والمساكيـنُ يَمُـدُّون الـرَّنين
دولـةٌ مـالت ، وسُلطـانٌ خـلا دُووِلَتْ نُعمـاهُ بيـنَ الأَقـربين
مُنهضُ الشرقِ ( عَلِيٌّ ) لم يـزل من بنيه سيِّدٌ في ( عابديـن )
يُصلِـحُ اللهُ بـه مـا أَفسدَت فَتَرَاتُ الدهر من دُنيا ودين
أُمَّ عبَّـاسٍ ، ومالـيِ لم أَقُـلْ : أُمَّ مصرٍ مـن بنـاتٍ وبـنين ؟
كـنتِ كالـورد لهم ، واستقبلـوا دولـةَ الرَّيْحـانِ حينًا بعـدَ حِين
فيقـال : الأُمُّ في مـوكبها ويُقـالُ : الحَرَمُ العـالى المصون[٢]

* * *

(العفيفـيُّ) عفـافٌ وهُـدًى (كالبَقِيعِ) الطُّهْرِ ضَمَّ الطاهرين[٣]
ادخلى الجنّـةَ مـن رَوْضتِـه إنّ فيها غرفـةً للصابريـن

●●●

(١) بيبك : قصر الفقيدة فى الآستانة ، كان مصيفها كل عام . حاتم : اسم رجل يضرب به المثل فى الكرم البالغ ، فيقال : كرم حاتمى . وقد اشتهرت الفقيدة بالكرم ، ومن أجل ذلك قيل لها أم المحسنين .

(٢) يشير هذا البيت إلى أن الفقيدة العظيمة كانت أم خديو وزوجة خديو .

(٣) العفيفى : علم على الموضع الذى أقيم فيه مدفن الفقيدة بجوار مدفن قرينها .

# الدكتور أحمد فؤاد(*)

أَوْحَتْ لطَرْفِكَ فاستهلَّ شئُونـا | دارٌ مَرَرْتَ بها على ( قَيْسونـا )(١)
غاضَت بشاشتُها ، وفَضَّتْ شملَها | دنيـا تَغُـرُّ السادِرَ المفتونـا
نَزَلَتْ عَوادِى الدهرِ فى ساحاتها | وأَقلَّ رَفْرَفها الخطوبَ العُونـا(٢)
فتكادُ مِنْ أَسَفٍ على آسِى الحِمَى | من كلِّ ناحيةٍ تثور شُجونـا
تلك ( العيادةُ ) لم تكن عَبَثًا ، ولا | شَرَكًا لصَيْدٍ مَآربٍ وكَمينـا
دارُ ( ابنِ سِينَا ) نُزِّهَتْ حُجُراتُها | عن أَن تَضُمّ ضَلالـةً ومُجونـا(٣)
خَبَتِ المطالعُ مِنْ أَغرَّ مُؤَمَّـلٍ | كالفجر ثَغْرًا ، والصَّباح جَبينـا(٤)
ومِنَ الوُفـودِ ، كـأنهم مِنْ حَوْلِـه | مَرْضَى (بعيسى الروحِ) يَستشفونا
مَثَـلٌ تَصوَّر مـن حيـاةٍ حـرةٍ | للنشْءِ يَنطِق فى السكوت مُبينـا
لم تُحْصَ من عهدِ الصِّبا حَرَكاتُه | وتَخالُهنَّ من الخُشوع سُكونـا

* * *

جَمَحَتْ جِراحُ المُعْوِزين ، وأَعضلَتْ | أَدواؤهُـم ، وتَغَيَّبَ الشافونـا(٥)

---

(*) كان الدكتور أحمد فؤاد مثالا نادرا من أمثلة حسن الخلق ، ونابغة من نوابغ الطب المعدودين ، وقد توفى سنة ١٩٣١ .

(١) قيسون : علم على مسجد بهذا الاسم فى شارع محمد على بالقاهرة كانت دار الفقيد قريبة منه ، الشئون : الدموع . يقول : إن المرور على هذه الدار يجعل العين تفيض دمعا ، حزنا لما أصاب تلك الدار من الخمول بعد النباهة ، والسكون بعد الحركة ، والوجوم بعد الطلاقة والسرور ، وهذا لفقد صاحبها طبعا . (٢) أقل : حمل . الرفوف : شىء مثل الطاق يجعل عليه طرائف البيت . العون : جمع عوان . الخطوب العون : أى التى نزلت مرة قبل هذه . يريد أن هذه الدار قد عرفت عوائق الدهر وخطوبه قبل هذا الخطب الأخير الذى حل بها .

(٣) يشبه الفقيد فى الطب والأمانة للعلم بابن سينا .

(٤) خبت المطالع : انطفأ نورها . (٥) أدواء : جمع داء .

مـاتَ الجوادُ بطِبِّـه وبأجـره ولربَّمـا بـذَلَ الـدواءَ مُعينـا
وتَـجُسُّ راحتُـه العليـلَ ، وتـارةً تَكسو الفقيرَ ، وتُطعِم المِسكينا
أدَّى أمانـةَ علمِـه ، ولطالَمـا حَمـلَ الصداقـةَ وافيًـا وأمينـا
وقضى حقوقَ الأهلِ ، يُحسِن تارةً بأبيه ، أو يَصِل القرابـة حينـا
خُلقٌ وديـنٌ فى زمـانٍ لا تـرى خُلقًـا عليـه ولا تُصادِف دينـا

* * *

أمُداوِىَ الأرواحِ قبل جُسومِهـا قُـمْ داوِ فيك فـؤادَىَ المحزونـا
روِّحْ بلفظك كلَّ رُوحٍ مُعَـذَّبٍ حَيرانَ طـار بلُبِّـه الناعونـا
قد كال للقدَر العِتـابَ ، ورُبَّمـا ظـنَّ المُدَلَّـهُ بالـقضاءِ ظُنونـا[1]
داوَيْتَ كـلَّ مُحطَّـمٍ فشفيْتَـهُ ونسِيتَ داءً فى الضلوع دَفينـا
كبدٌ على دَمِها اتَّكأت ولحْمِهـا فحَمَلْتَ همَّ المسلمين سِنينـا
ظلَّتْ وراءَ الحربِ تَشقَى بالنَّوى وتَذوب للوطن الكريـمِ حنينـا

* * *

ناصرتَ فى فجر القضيَّة (مصطفى) فنَصَرْتَ خُلقًـا فى الشَّباب مَتينـا[2]
أقدمْتَ فى العشريـن تحتَ لوائِـه وروائـعُ الإقـدام فى العشرينـا
لـم تَبـغِ دُنيـا طـالما أغضَى لها حُمْسُ الدّعاةِ وطَأطَئُوا العِرنينـا[3]

* * *

رُحْمَاكَ (يوسفُ) قِفْ رِكَابَك ساعةً واعطِـفْ على يعقـوبَ فيـه حزينـا[4]

---

(١) المدله : الذى ذهب فؤاده من هم وعشق ونحوه .

(٢) يشير إلى أنه كان من الأنصار الكبار للزعيم مصطفى كامل باشا .

(٣) حمس: جمع حمس، بكسر الميم، أو أحمس: وهو الصلب فى القتال والعقيدة، والحمس: لقب لقريش، ومن تابعهم فى الجاهلية لتحمسهم والتجائهم للحمساء، أى الكعبة. العرنين: الأنف.

(٤) يشبه الفقيد بسيدنا يوسف الصديق ، ليمهد لتشبيه أبيه بسيدنا يعقوب فى صبره على فراق ابنه ومحنته .

لم يَدْرِ خلفَ النعشِ من حرِّ الجَوى أَيشُقُّ جَيْبًا ، أم يَشُقُّ وَتينا ؟[١]
ساروا بمُهجتِه ، فحُمِّلَ ثُكْلَها وقَضَوْا بعائله ، فمالَ غَبينا[٢]
أَتعودُ فى رَكْبِ الربيعِ إذا آنثنى بَهِجًا يَزُفُّ الوردَ والنَّسرينا ؟
هيهات من سَفرِ المنيَّة أَوْبةً حتى يُهيبَ الصُّبحُ بالسارينا
ويقالُ للأَرض الفضاءِ : تمخَّضِى فتردّ شيخًا أو تمجّ جنينا

* * *

اللهُ أُبقى ! أين مِنْ جَسدى يدٌ لم أُنْسَ رِفقَ بَنانِها واللِّينا ؟[٣]
حتى تَمَثَّلتِ العِنايةُ صورةً تُومِى براحٍ ، أو تُجِيلُ عيونا
فجرَتْ جُثمانى ، وهانت كُربةٌ لولا اعتِناؤكَ لم تكن لِتهونا
إنّ الشفاءَ من الحياةِ وعونِها ما كان آس بالشفاءِ ضَمينا
واليومَ أَرْتجلُ الرِّثاءَ ، وأَنزَوِى فى مأتمٍ أبكى مع الباكينا
سبحانَ من يرِثُ الطبيبَ وَطِبَّه ويُرِى المريض مصارعَ الآسينا !![٤]

●●●

---

(١) الوتين : عرق فى القلب إذا قطع مات صاحبه .

(٢) المهجة : تطلق على الدم وعلى الروح ، يقال : خرجت مهجته ، أى روحه .

(٣) يشير : إلى أن الفقيد كان أحد أطبائه الذين تمثلت عناية الله به فى عنايتهم بعلاجه واعتنائهم بشفائه .

(٤) الآسينا : جمع آسى ، وهو الطبيب .

# نجل إمام اليمن(*)

مضى الدهرُ بابن إمامِ اليَمَنْ — وأَوْدَى بزين شبابِ الزمنْ
وباتَت بصنعاءَ تبكى السيوفُ — عليه ، وتبكى القنا فى عدن[1]
وأَعْوَلَ نجدٌ ، وضجَّ الحجازُ — ومالَ الحُسينُ ، فعزَّ الحسن
وغَصَّتْ مَناحاتُه فى الخيام — وغصَّتْ مآتمُه فى المُدُن
ولو أَنَّ مَيْتًا مَشى للعزاءِ — مشى فى مآتمه ذو يَزن[2]
فتًى كاسمِه كان سيفَ الإلٰه — وسيفَ الرسولِ ، وسيفَ الوطن
ولُقِّبَ بالبدْرِ من حُسنه — وما البدرُ ؟ ما قدرُه ؟ وابنُ مَنْ ؟

* * *

عزاءً جميلاً إمامَ الحِمَى — وهوِّنْ جليلَ الرزايا يهُن
وأَنتَ المُعانُ بإيمانه — وظنُّك فى الله ظنٌّ حسن
ولكن متى رقَّ قلبُ القضاءِ ؟ — ومن أَين لِلموتِ عقلٌ يَزِن ؟
يجامِلُك العربُ النازحون — وما العربيَّةُ إلا وطن
ويجمَعُ قومك بالمسلمين — عظيمُ الفروضِ وسمْحُ السُّنَن
وأَنّ نبيَّهمُ واحدٌ — نبيُّ الصوابِ ، نبيُّ اللَّسَن
ومصرُ التى تجمع المسلمين — كما اجتمعوا فى ظلال الرُّكُن[3]

(*) هو الأمير سيف نجل الإمام يحيى ، وقد توفى غرقا وهو يحاول إنقاذ رفيق له من الغرق سنة ١٩٣٣ .

(١) صنعاء : حاضرة اليمن ، عدن : إحدى الموانى هناك ، وهى على خليج عدن المشهور .

(٢) ذو يزن : أحد أقيال اليمن الأقدمين ، ولشجاعة هذا الملك فى استرداد عرش أبيه وأجداده أضيفت إليه أساطير كثيرة .

(٣) يريد بالركن : الكعبة .

تُعـزِّى اليَمانِيـنَ فى سَيفهـم وتأْخـذ حِصتَّهـا فى الحَـزَن
وتَقعُـد فى مـأْتم ابـنِ الإمـامِ وتبكيـه بالعَبـرات الهُتُـن
وتَـنْشر رَيحانَتَـىْ زَنْبَـقٍ مـن الشِّعـرِ فى رَبَـواتِ اليمن
تَرِفَّـانِ فـوق رُفـاتِ الفقيـدِ رفيـفَ الجنَـى فى أَعـالى الغُصُن
قَضَى واجبًـا ، فـقضَى دونَـه فتًى خالص السِّر ، صافى العَلـن
تطـوَّحَ فى لُجَـجٍ كالجبـال عِراضِ الأَواسِى طِـوَالِ القُنَـن[1]
مَشَى مِشْيَةَ اللَّيْـثِ ، لا فى السلاح ولا فى الدُّروع ، ولا فى الجُنَـن[2]

* * *

متى صِرتَ يا بحرُ غمدَ السيوفِ وكنـا عهدنـاك غِمـدَ السُّفـن ؟
وكنتَ صِوانَ الجُمانِ الكريمِ فكيف أُزيلَ ؟ ولِمْ لَمْ يُصَن ؟
ظَفِـرْتَ بجوهـرةٍ فَـذَّةٍ مـن الشرف العبقرىِّ اليُمُـن
فتًـى بـذَلَ الروحَ دونَ الرِّفـاق إليكَ ، وأَعطى الترابَ البَـدن
وهـانتْ عليه مَلاهِى الشبـابِ ولـولا حقـوقُ العُـلا لم تَهُـن
وخـاضَكَ يُنقِـذُ أترابَـه وكان الـقضاءُ لـه قـد كَمَـن
غدرْتَ فتًـى ليس فى الغادريـن وخُـنْتَ امـرأً وافيًـا لم يَخُـن
وما فى الشجاعةِ حَتْفُ الشجاعِ ولا مَـدَّ عمـرَ الجبـان الجُبُـن
ولكـن إذا حـانَ حَيْـنُ الفتـى قضَى ، ويَعـيش إذا لم يَحِـن[3]

* * *

أَلا أَيُّهـذا الشريـفُ الـرَّضِىُّ أَبـو السُّجَـر الرِّمـاحِ اللُّـدُن

---

(١) القنن : جمع قنة ، وهى رأس الجبل . الأواسى من البناء : الدعائم .
(٢) الجنن : جمع جنة ، بالضم ، وهى ما استترت به من سلاح ودروع ونحو ذلك .
(٣) الحين : الأجل .

شهيدُ المُروءَةِ كان البَقِيعُ ... أحقَّ به من تراب اليمن

فهل غسَّلوه بدمعِ العُفاةِ ... وفى كلِّ قلبٍ حزينٍ سكن ؟

لقد أُغرَقَ ابنكَ صرْفُ الزمانِ ... واغرقْتَ أبناءَه بالمِنن

أتذكر إذ هو يَطوِى الشهورَ ... وإذ هو كالخِشْفِ (حُلْوٌ) أغنْ ؟[1]

وإذ هو حولَك حسنُ القصورِ ... وطِيبُ الرياضِ ، وصَفْوُ الزمَن ؟

بشاشتُه لذَّةٌ فى العيون ... ونَغْمتُه لذَّةٌ فى الأذن ؟

يلاعِب طُرَّتَه فى يَدَيْكَ ... كما لاعبَ المُهرُ فضل الرَّسَن ؟

وإذ هو كالشبل يَحكِى الأُسودَ ... أدلّ بمِخْلَبه وافْتَتَن ؟[2]

فشَبَّ ، فقامَ وراءَ العَرينِ ... يَشُبّ الحروبَ ، ويُطفِى الفِتَن ؟[3]

فما بالُه صار فى الهامدين ... وأمسى عَفاءً كأنْ لم يَكُن ؟

نظَمْتُ الدموعَ رِثاءً له ... وفصَّلْتُها بالأَسَى والشَّجَن

●●●

(١) الخشف ( مثلثة الخاء ) : الظبى ، الأغن : الذى يخرج صوته من خياشيمه وهذا كناية عن ميعة الشباب .

(٢) الشبل : ولد الأسد إذا أدرك الصيد . أدل بمخلبه : أى تباهى به وتخايل على أقرانه .

(٣) العرين : بيت الأسد . يشب الحروب : يوقدها .

# عبد الله بك الطوير[*]

يا قلبُ ، ويْحَكَ والمودّةُ ذِمّـة ماذا صنَعْت بعهدِ ( عبدِ اللهِ ) ؟
جاذَبتنـى جنبـى عَشيّـةَ نَعْيِـهِ وخَفـقْتَ خَفْقَـةَ مُوجَـعٍ أوّاه[١]
ولَـوَ آنْ قلبًا ذابَ إثـرَ حَبيبِـه لهَوَى بك الركنُ الضعيفُ الواهى
فعليك من حُسن المروءَةِ آمـرٌ وعليك مِن حُسن التجلُّدِ نـاه
نزل « الطويرُ » فى الترابِ منازلاً تهوى المكـارمُ نحوَهـا بشفـاه
عَرَصاتُهـا مَمطـورةٌ بمدامـعٍ مَوْطـوءَةٌ بمفـارِقٍ وجبـاه
لـولا يميـنُ الموتِ فـوقَ يمينـه فيها ؛ لفاضَت من جَنًى وميـاه[٢]

* * *

يا كابرا من كابريـن ، وطاهـرًا مِـن آلِ طُهـرٍ عـارفٍ بـالله
ومُحكَّمًـا عَلَـم القضاءِ مكانَـه فى المُقسطيـنَ الجِلَّـةِ الأنـزاه[٣]
وحكيمًـا آسْتعصَتْ أعِنَّتُـه على كذبِ النعيـمِ ، وتُرَّهـاتِ الجاه
وأخًا سَقى الإخوانَ مِنْ ( راووقِه ) بـودادٍ لا صَلِـفٍ ، ولا تيّـاه[٤]

---

(*) المرحوم عبد الله بك الطوير ، كان أحد رجال القانون فى مصر ، وقد توفى سنة ١٩١٥ .

(١) خفق القلب : اضطرب فى موضعه . الأوّاه : كثير التأوه . وفى القرآن الكريم ﴿ إن إبراهيم لأواه حليم ﴾ .

(٢) اليمين : يراد بها هنا القوة . الجنى : الثمار .

(٣) المقسطين : أى العادلين . الجلة ( بكسر الجيم ) : قوم سادة عظماء ذوو أخطار . الأنزاه : جمع نزه : وهو العفيف المتكرم .

(٤) الراووق : المصفاة ، كالباطية ونحوها من الآنية التى يوضع فيها المشروب . الصلف : مجاوزة قدر الظرف والادعاء فوق ذلك تكبرا .

قد كان شعرى شغلَ نفسِكَ ، فاقترح ... من كلِّ ( جائلةٍ ) على الأفواه
أُنزِلْتَ منه حينَ فاتَكَ جَمْعُه ... فى منزلٍ بَهِجٍ بنورِكَ زاه
فاقرأ على « حَسّانَ » منه ، لعله ... بفتاه فى مدحِ الرسولِ مُباه[١]
وانزل بنور الخلدِ جَدّك ، واتَّصِلْ ... بملائكٍ من آلهِ أشباه[٢]
ناعيكَ ناعى حاتمٍ أو جعفرٍ ... فالناسُ بين نوازلٍ ودواهِ[٣]

●●●

(١) حسان : هو ابن ثابت ، شاعر الرسول صلوات الله عليه .

(٢) جدك : منصوب على نزع الخافض ، أى انزل على جدك ، وكان الفقيد منسوبا لآل البيت النبوى .

(٣) حاتم : هو الطائى المشهور بالكرم . جعفر : لعله يقصد به جعفرا البرمكى ، أو عبد الله ابن جعفر أحد أجواد العرب فى العصر الأموى ، والمقصود تشبيه الفقيد فى كرمه بهذين الرجلين الذى ضرب المثل بكرمهما .

# سعد باشا زغلول(*)

شيَّعوا الشمس ومالوا بضحاها ... وانحنى الشرقُ عليها فبكاها

ليتنى فى الركبِ لما أفلَتْ ... ( يوشعٌ )، همَّتْ ، فنادَى ، فثناها(١)

جَلَّلَ الصبحَ سوادًا يومُها ... فكأنّ الأرض لم تخلع دُجاها(٢)

انظروا تَلْقَوْا عليها شَفَقًا ... من جِراحاتِ الضحايا ودِماها

وتَرَوْا بينَ يَدَيْها عَبرةً ... من شهيدٍ يقطرُ الورد شَذاها

آذنَ الحقُّ ضَحاياها بها ... وَيْحَهُ !! حتى إلى الموتى نَعاها

* * *

كفّنوها حُرَّةً عُلْوِيَّةً ... كَسَتِ الموتَ جلالاً ، وكساها

مِصرٌ فى أكفانها إلا الهدى ... لحمةُ الأكفانِ حقٌّ وسُداها(٣)

خطر النعشُ على الأرض بها ... يَحْسِرُ الأبصارَ فى النعش سَناها(٤)

جاءَها الحقُّ ، ومِنْ عادتها ... تؤثرُ الحقَّ سبيلاً واتِّجاها(٥)

ما دَرتْ مصرٌ : بدفن صُبِّحَتْ ... أم على البعثِ أفاقَتْ مِنْ كَراها ؟

صَرَخَتْ تَحسبها بنْتَ الشَّرى ... طلَبَتْ مِنْ مِخْلَبِ الموتِ أباها(٦)

وكأن الناسَ لما نَسَلوا ... شُعَبُ السيلِ طَغتْ فى مُلتقاها

---

(*) زعيم مصر الخالد سعد باشا زغلول المتوفى سنة ١٩٢٧ .

(١) يوشع : أحد أنبياء بنى إسرائيل ، دعا الله أن يؤجل الغروب فأجابه وثنى الشمس عن غروبها .

(٢) جلل الصبح : كساه وغطى ضوءه .

(٣) اللحمة : ما سدى به الثوب ، السدى : ضد اللحمة .

(٤) يحسر الأبصار : أى يردها كليلة ضعيفة .

(٥) الحق الأول : يقصد به الموت . الحق الثانى : يقصد به العدل .

(٦) بنت الشرى : أنثى الأسد .

وضعوا الـرّاحَ على النـعشِ كما ... يَلمَسونَ الرُّكنَ ، فارتدَّتْ نزاها
خَفضوا فى يوم ( سعدٍ ) هامَهم ... و ( بسعدٍ ) رَفعوا أمسِ الجِباها

* * *

سائلوا « زَحْلَةَ » عن أعراسها ... هل مَشى الناعى عليها فمحاها ؟(١)
عَطَّلَ المُصْطافَ من سُمَّارِه ... وجَلا عن ضِفَّة الوادى دُماها(٢)
فتحَ الأبوابَ ليلاً ( دَيْرُها ) ... وإلى ( الناقوسِ ) قامتْ بِيعَتاها
صدَع البرقُ الدُّجى ، تنشرُه ... أرضُ ( سورِيا ) ، وتَطويه سَماها(٣)
يَحمِلُ الأنباءَ تَسرِى مَوْهِنًا ... كعوادى الثُّكل فى حَرِّ سُراها(٤)
عَرضَ الشكُّ لها فاضطرَبتْ ... تَطأُ الآذانَ هَمْسًا والشِّفاها
قلتُ : يا قوم اجمعوا أحلامَكم ... كلُّ نفسٍ فى وَرِيدَيْها رَداها(٥)

* * *

يا عدوَّ القيدِ لم يلمَحْ له ... شبَحًا فى خطَّةٍ إلا أباها
لا يَضِقْ ذَرْعُكَ بالقيد الذى ... حَزَّ فى سُوق الأوالى وبَراها
وقعَ الرُّسْلُ عليه ، والتَوتْ ... أرجلُ الأحرارِ فيه فعَفاها
يا رُفاتًا مِثلَ رَيْحانِ الضُّحى ... كلَّلتْ ( عَدْنٌ ) بها هامَ رُباها(٦)

---

(١) يشير البيت إلى أن أمير الشعراء وقت نعى الفقيد كان يصطاف فى زحلة إحدى مصايف لبنان .

(٢) السمار : جمع سامر ، وهم إخوان الحديث فى المساء . الضفة من النهر ومن الوادى : الجانب . الدمى : جمع دمية . وهى الصورة يعملها المثال من الرخام .

(٣) صدع : شق وقطع .

(٤) الموهن : نصف الليل ، أو بعده بنحو ساعة .

(٥) الوريدان : مثنى الوريد ، أحد شرايين الجسم .

(٦) عدن : الجنة . هام رباها : أى رءوس ربواتها . الربوات : الأمكنة المرتفعة فيها .

وبقايا هيكل من كرمٍ وحياة أُترَعَ الأرض حَياها[١]
ودَّعَ العدلُ بها أعلامَه وبكتْ أنظِمةُ الشُّورى صُواها[٢]
حَضنتْ نعشك ، والتفَّتْ به رايةٌ كنت من الذل فِداها
ضمَّت الصدرَ الذى قد ضمَّها وتلقَّى السهمَ عنها فوقاها
عجبى مِنها ومن قائدها !! كيف يَحمِى الأعزلُ الشيخُ حِماها ؟

* * *

مِنبَرُ الوادى ذَوَت أَعوادُه مِن أَواسِيها وجَفَّتْ من ذُراها
مَن رَمَى الفارسَ عن صَهْوَتِها ودَها الفُصحىٰ بما أَلجَمَ فاها ؟
قَدَرٌ بالمُدْنِ أَلْوَى والقُرَى ودَها الأَجبالَ منه ما دَهاها
غال ( بَسْطورا) وأَردَى عُصبةً لمسَتْ جُرثومةَ الموتِ يَداها
طافت الكأْسُ بساق أُمّةٍ مِن رَحيقِ الوطنيّاتِ سقاها
عَطِلتْ آذانُها من وَتَرٍ ساحرٍ رَنَّ مَلِيًّا فشجاها
أرغُنٌ هامَ به وِجْدانُها وأذانٌ عَشِقتْه أُذْناها
كلَّ يومٍ خطبةٌ روحيّةٌ كالمزامير وأَنغامٍ لُغاها
دَلَّهتْ مصرًا ، ولو أَنَّ بها فَلَواتٍ دَلَّهتْ وَحْش فَلاها
ذائدُ الحقِّ وحامى حَوْضِه أَنفَذَتْ فيه المقاديرُ مُناها
أَخَذَتْ (سعدا) من (البيت) يَدٌ تأْخذُ الآسادَ من أَصل شراها
لو أَصابَت غيرَ ذى رُوحٍ لمَا سَلِمَتْ منها الثُّريّا وسُهاها
تتحدّى الطبُّ فى قفّازها عِلّةُ الدهر التى أَعيا دَواها

---

(١) أترع : ملأ . الحيا : المطر .

(٢) الصوى : جمع صوة — بضم الصاد — وهى حجر يوضع فى الطريق كعلامة يهتدى بها .

من وراءِ الإذنِ نالَتْ ضَيْغَمًا لم يَنَلْ أقرانُه إلا وِجاها
لم تصارِحْ أَصْرحَ الناسِ يَدًا ولسانًا ، ورُقادًا ، وانتباها

* * *

هذه الأَعوادُ من آدمَ لَمْ يَهْدَ خُفَّاها ، ولم يَعْرَ مَطاها
نقَلَتْ (خُوفو) ، ومالتْ (بمِنا) لم يفُت حَيًّا نصيبٌ من خُطاها[1]
تخْلِطُ العُمْرينِ : شيْبًا ، وصِبًا والحياتين : شقاءً ، ورَفاها
زَوْرَقٌ فى الدمعِ يَطفو أَبدًا عرَفَ الضفَّةَ إلا ما تلاها
تهلَعُ الثَّكْلى على آثارِه فإذا خَفَّ بها يوما شفاها

* * *

تسكُبُ الدمعَ على (سعدٍ) دمًا أُمةٌ من صخرةِ الحقِّ بناها
من لَيانٍ هو فى يَنْبُوعِها وإباءٍ هو فى صُمِّ صَفاها
لُقِّنَ الحقَّ عليه كَهلُها واستقَى الإيمانَ بالحقِّ فَتاها
بذَلَتْ مالاً ، وأمْنًا ، ودمًا وعلى قائدها أُلقَت رَجاها
حمَّلتْه ذِمَّةً أَوفى بها وابتلَتْه بحقوقٍ فقضاها
ابنُ سبعينَ تلقَّى دونها غُربةَ الأَسرِ ، ووَعْثاءَ نَواها[2]
سفرٌ من عَدَنَ الأَرضِ ، إلى منزِلٍ أَقرَبُ منه قُطْباها
قاهرٌ أَلْقَى به فى صخرةٍ دفعَ النسرَ إليها فأَواها
كرِهَتْ منزلَها فى تاجه دُرَّةٌ فى البحرِ والبرِّ نفاها
اسأَلوها ، واسأَلوا شانِئَها لِمَ لَمْ يَنفِ من الدُّرِّ سواها ؟
ولَدَ الثَّورَةَ سعدٌ حُرَّةً بحياتَىْ ماجدٍ حُرٍّ نَماها

---

(١) خوفو . ومنا : من ملوك مصر الفراعنة .
(٢) الوعثاء : الطريق العسر ، أو المشقة .

مـا تَمنَّـىٰ غيرَهـا نسلاً ، ومَـنْ  يَلِـدِ الزَّهـراءَ يَزْهَـدْ فى سواهـا
سالت الغابــةُ مـــن أشبـــالها  بين عَيْنَيْــهِ ومــاجَتْ بلبَاهـــا[١]
بـــارك اللهُ لها فى فرعِهـــا  وقَضَى الخيـرَ لـمِصرٍ فى جَناهـا
أوَ لم يَكـــتُبْ لها دُسْتورَهـــا  بالدمِ الحرِّ ، ويَرْفَـعْ مُنتداهـا ؟[٢]
قـد كتبتاهـا ، فكـــانت صورةً  صَدْرُهـا حـقٌّ وحـقٌّ مُنتهاهـا
رَقــدَ الثائـــرُ إلا ثـــورةً  فى سبيل الحقِّ لم تَخمد جُذاهـا
قـد تَولَّاهـا صبيًّـا فكَـوَتْ  راحَتَيْــهِ ، وفَتِيًّـا فرعاهـــا[٣]
جـالَ فيها قلمًـا مُستنـــهِضًا  ولِسانًا كلَّمـا أُعْـيَتْ حَداهـا[٤]
ورمَـى بالنـفس فى بُركانِهـا  فتلقَّـى أوَّلَ النـاسِ لَظاهـا
أعلِمتم بعد (موسى) مِنْ يَـدٍ  قذَفَتْ فى وجه (فِرْعَوْنَ) عَصاها ؟[٥]
وَطِــئَتْ نادبــةً صارخــةً  شاهَ وجهُ الرّق ــ يا قوم ــ وشاها[٦]
ظَفِـرَتْ بالكِبْـر مـن مُستكبِرٍ  ظافـرِ الأيّـامِ مَـنصورِ لِواهـا
القَنـا الصُمُّ تَشاوَى حولَــهُ  وسيـوفُ الهنـدِ لم تَصْحُ ظُباهـا

* * *

أيـن مِـنْ عَيْنَـيَّ نـفسٌ حُـرَّةٌ  كنتُ بـالأمسِ بعينـيَّ أراهـا ؟
كلمـا أقبـلت هَـزَّتْ نفسهـا  وتَـواصَى بِشرُهـا بى ونداهـا

---

(١) اللبا : جمع لباة ــ كقطاة ــ وهى أنثى الاسد .

(٢) المنتدى : البرلمان .

(٣) يشير إلى عمل سعد باشا فى الثورة العرابية وهو فى مقتبل شبابه .

(٤) أعيت : تعبت . حداها ، من قولهم : حدا الإبل ، أى ساقها وزجرها .

(٥) إشارة إلى تحدى موسى لفرعون وسحرته بالعصا ، فكانت كما ورد فى القرآن : « تلقف ما يأفكون » .

(٦) شاه وجه الرق : أى قبح .

وجَرى الماضى ، فماذا ادَّكَرَتْ — وادِّكارُ النفسِ شيءٌ من وَفاها ؟

أَلمحُ الأيَّـــــامَ فيها ، وأرى — من وراءِ السِّنِّ تِمثـالَ صِباهـا

لستُ أدرى حينَ تَنـدَى نَضرةً — عَلَتِ الشَّيبَ ، أم الشَّيبُ عَلاها ؟

حَـلَّت السبعـون فى هيكلهـــا — فَتَدَاعَـى وهْـىَ مَوْفـورٌ بِناهـا

رَوْعةُ النادى إذا جدَّتْ ، فـإن — مَزحَتْ لم يُذهِب المَزْحُ بَهاهـا

يَظفَرُ العُـذْرُ بـأقصى سُخطِهـا — ويَنـالُ الـودُّ غايـاتِ رِضاهـا

ولها صبـــرٌ على حُسَّادهـــا — يُشبه الصَّفْحَ ، وحِلْمٌ عن عِداها

لستُ أنسَى صفحـةً ضاحكـةً — تأْخذ النفسَ وتَجرِى فى هواهـا

وحديثًـــا كرِوايـــات الهوى — جَـدٌّ لـلصَّبِّ حَنيـنٌ فرواهـا

وقنـــاةً صَعْـــدَةً لـــو وُهِـــبَتْ — للسِّماكِ الأعـزلِ اختـالَ وتاهـا[1]

أيــن منِّـــى قلـــمٌ كـــنتُ إذا — سمتُه أن يَرثِىَ الشمسَ رَثاهـا ؟

خانَنى فى يوم ( سعدٍ ) ، وجَرى — فى المراثى فكَبـا دونَ مَداهـــا

فى نـــعيم الله نـــفسٌ أُوتِـــيَتْ — أنعُـمَ الدنيـا فلـم تَـنسَ تُقاهـا

لا الحِجَى لمَّـا تَناهَـى غَرَّهـا — بالمقاديـرِ ، ولا العِلـمُ زَهاهـا

ذَهَـــبَتْ أوَّابـــةً مُؤمِنَـــةً — خالصًا من حَيْـرَةِ الشكِّ هُداها

آنَسَتْ خَلْقًـــا ضعيفًـــا ورأَتْ — مـن وراءِ العالَـمِ الفانِـى إلٰهـا

مـــا دعاهـــا الحقُّ إلا سارَعَتْ — ليتَه يومَ « وَصيفٍ » ما دعاهـا[2]

---

(١) القناة : الرمح . الصعدة : هى التى نبتت مستوية ، فلا تحتاج لتثقيف . السماك : أحد كوكبين نيرين ، يوصف أحدهما بالرامح ، لأن أمامه كوكبا صغيرا يسمى رمح السماك ورايته ، ويوصف الآخر بالأعزل ، حيث لا يوجد أمامه شيء . يقول إن له قواما لو منح للسماك الأعزل فى السماء لاختال به وتباهى على السماك الرامح .

(٢) وصيف : يقصد مسجد وصيف ، وهى القرية التى توجد فيها ممتلكات الزعيم ، والتى قضى بها .

# الشاعر الموسيقى فردى(*)

فتـى العقـلِ والنَّغْمـةِ العالِيَـهْ مضى ومَحاسِنُـــه باقِيَـــهْ
فــلا سُوقَــةٌ لم تكـــن أُنسَهُ ولا مَــلِكٌ لم تَــزِن نادِيَــه
ولم تَخْــلُ مِــن طِـيبها بَلــدةٌ ولم تَخلُ من ذِكرها ناحيه
يكــادُ إذا هــو غَنَّــى الــورَى بقافيـــةٍ يَنْطِـــق القافيــــه
يَتِيهُ على الماس بعضُ النُّحـاسِ إذا ضَمَّ أَلحانَـــه الغاليــــه
وتَحكـــم فى النــفس أوتــارُه على العــودِ ناطقــةً حاكيـــه
وتبلـــغ مـــوضعَ أوطارِهـــا وتُــفشِى سَرِيرَتَهــا الخافيــه
وكم آيــةٍ فى الأَغانِـــى لـــه هى الشمسُ ليس لها ثانيــه !
إذا مـــا تَنــادَى بها العارِفــون قل : البرقُ والرعدُ مِنْ غاديه
فــإن هَــمَسُوا بعــدَ جَهْــرٍ بها فَخَفْــقُ الحُلِىِّ على الغانيــه
لقد شاب (فردى) وجاز المَشِيبَ و (عَيْــدا) شَبِيبتُهــا زاهيـــه [1]
تُمَثِّـــلُ مِصرَ لهذا الزمـــانِ كما هــى فى الأَعْصُرِ الخاليــه
ونذكـــر تـــلكَ الليالـــىِ بها وننشد تلك الرُّؤَى الساريـه
ونَبكــى على عِزِّنــا المُنــقَضِى ونَنْــدُبُ أَيَّامَنــا الماضيـــه
فيـا آلَ ( فــردى ) ، نُعزِّيكُــمُ ونبكـى مع الأُسرةِ الباكيــه
فَقَدنـــا بمفقـــودِكم شاعِـــرًا يَقِـــلُّ الزمـــانُ لـــه راوِيَــه

---

(*) الشاعر الموسيقى فردى أحد أعلام إيطاليا العالميين ، وقد توفى سنة ١٩٠١ .

(١) عيدا : رواية تمثيلية للفقيد .

# إسماعيل أباظة باشا(*)

سقى اللهُ (بالكَفْر الأَباظىّ) مَضْجَعًا ... تَضَوَّع كافورًا من الخلد ساريا

يَطيب ثَرى (بُرْدِينَ) من نَفح طِيبه ... كأَنَّ ثرى (بُرْدِينَ) مَسّ الغَواليا[1]

فيالَكَ غِمدًا من صَفيحٍ وجَنْدَلٍ ... حوَى السيفَ مَصقولَ الغِرارِ يَمانيا[2]

وكنا استَلَلْنا فى النوائب غَرْبَهُ ... فلم يُلْفَ هيّابًا ، ولم يُلْف نابيا[3]

إذا اهتزَّ دونَ الحقِّ يَحمِى حِياضَه ... تأَخَّر عنها باطلُ القومِ ظاميا

طَوَتْهُ يدٌ للموت ، لا الجاهُ عاصمًا ... إذا بَطَشتْ يومًا ، ولا المالُ فاديا

* * *

تنالُ صبا الأَعمارِ عند رَفِيفهِ ... وعندَ جُفوفِ العُودِ فى السِّنِّ ذاويا

وبعضُ المنايا تنزِلُ الشُّهْدَ فى الثرى ... ويَحْطُطْنَ فى التُّرب الجبالَ الرواسيا

* * *

يقولون: يَرثى الراحلين، فوَيْحَهُم! ... أَأَمَّلْتُ عندَ الراحلين الجَوازيا؟

أَبَوْا حسدًا أَن أَجعلَ الحىَّ أُسْوَةً ... لهم ، ومثالاً قد يُصادِفُ حاذيا

فلما رثَيْتُ الميْتَ أَقْضِى حقوقَه ... وَجَدْتُ حسودًا للرُّفات وشانيا

إذا أَنت لم ترْعَ العهودَ لهالكٍ ... فلستَ لحىٍّ حافظَ العهد راعيا

---

(*) إسماعيل أباظة باشا : أحد سراة الزعماء فى البلاد المصرية ، كان صاحب الصوت المتبوع فى الجمعية التشريعية ، وقد توفى سنة ١٩٢٧ بعد أن ترك خلفه تاريخا حافلا بالمواقف الوطنية المحمودة .

(١) بردين : قرية الفقيد ، وهى من أعمال مديرية الشرقية . الغوالى جمع غالية ، وهى المسك .

(٢) الغرار من السيف : حده .

(٣) غرب السيف : حده أيضا . نابى : كليل لا يقطع .

فلا يَطْوِيَن الموتُ عهدَك من أخٍ ... وهَبْهُ بـوادٍ غيـرِ واديك نائيـا
أقام بـأرضٍ أنت لاقِيه عندَهـا ... وإن بِتُّمـا تستبعـدان التلاقيـا

* * *

رَثـيْتُ حيـاةً بالثنـاءِ خليقـةً ... وحَلَّيْتُ عهدًا بالمفاخِر حاليـا
وعـزَّيْتُ بيتًا قـد تبـارَتْ سماؤه ... مَشايِخَ أقمـارًا ، ومُرْدًا دراريـا[1]
إلى الله ( إسماعيلُ ) وانزِلْ بساحةٍ ... أظلَّ النَّدَى أقطارَهـا والنواحِيـا
تَرَى الرحمةَ الكبرى وراءَ سمائهـا ... تَلُفُّ التُّقَى فى سَيْبِها والمَعاصيا
لدى مَلِكٍ لا يَمنع الظلَّ لائِـذًا ... ولا الصَّفحَ توّابًا ، ولا العفوَ راجيا
وأُقسمُ كنتَ المرءَ لم يَنْسَ دِينَـهُ ... ولم تُلْهِـهِ دُنيـاؤه وهْـىَ ماهيـا
وكنتَ إذا الحاجاتُ عَزَّ قضاؤها ... لحاجِ اليتامى والأرامِلِ قاضيـا[2]
وكـنتَ تُصلِّى بالملوكِ جماعـةً ... وكنت تقوم الليلَ بالنفس خاليـا
ومَن يُعْطَ من جاهِ الملوك وَسيلةً ... فلا يَصنع الخيراتِ ؛ لم يُعْطَ غاليا
وكنتَ الجرىءَ النَّدْبَ فى كلِّ موقفٍ ... تلفَّتَ فيـه الحقُّ لم يَلْـقَ حاميـا[3]
بَصُرتُ بأخلاقِ الرجالِ فلم أجِـدْ ... ـ وإن جَلَت الأخلاقُ ـ للعزم ثانيا
من العزمِ ما يُحيى فُحولاً كثيرةً ... وقدَّمَ كافورَ الـخَصِىِّ الطَّواشِيا
وما حطَّ مِنْ رَبِّ القصائد مادحًا ... وأنزلهُ عـن رتبةِ الشعـر هاجيـا
فليس البيانُ الهجوَ إن كنتَ ساخطًا ... ولا هو زُورُ المدحِ إن كنتَ راضيا
ولكنْ هُدَى اللهِ الكريمِ ووَحْيُـه ... حَملتَ به المصباحَ فى الناسِ هادِيا

---

(١) يشبه شيوخ الأسرة الأباظية بالأقمار ، وشبابها المردِ بدرارى النجوم ، على حين أن هذه الأقمار والنجوم تتبارى فى الإشعاع والإضاءة .

(٢) حاج : جمع حاجة .

(٣) الندب : الخفيف عند الحاجة إليه .

تُفيض على الأحياءِ نورًا ، وتـارةً     تُضىءُ على الموتى الرِّجامَ الدَّواجيا[١]

هياكـلُ تَفْنَـى ، والبيـانُ مُخلَّـدٌ     ألا إنَّ عِتْقَ الخمرِ يُنْسِى الأَوانيـا

* * *

ذهبْت (أبا عبـدِ الحميـدِ) مُبَـرَّءًا     من الذَّام ، محمودَ الجوانبِ ، زاكيا[٢]

قليلَ المساوِى فى زمانٍ يَرى العُلا     ذُنوبًا ، وناسٍ يَخْلُقون المساويـا

طوَينـاك كالماضى تَلقَّـاه غِمـدُه     فلم تسترح حتى نشرناك ماضيـا[٣]

فكنتَ على الأفواه سِيرةَ مُجمِلٍ     وكنت حديثًا فى المسامع عاليـا

وَفَيْتَ لمن أدناكَ فى الملك حِقبـةً     فكانَ عجيبًا أن يَرى الناسُ وافيا

أثـاروا على آثـار مَوْتِكَ ضَجّـةً     وهاجُوا لنا الذكرى ، وَردُّوا اللياليا

ومَن سابَقَ التاريخَ لم يَأْمَن الهوى     مُلِجًّا ، و لم يَسلَم منَ الحِقْدِ نازيا[٤]

إذا وضعَ الأحياءُ تاريخَ جِيلِهـم     عَرفتَ المُلاحى مِنهمو ، والمُحابيا

* * *

إذا سلم الدستورُ هان الذى مضى     وهان من الأحداثِ ما كان آتيـا[٥]

ألا كـلُّ ذَنْب لِليـالى لأجلـه     سَدَلْنـا عليـه صَفحَنـا والتناسيـا[٦]

●●●

---

(١) الرجام : القبور . الدواجى ـــ جمع داجية : المظلمة .

(٢) زاكيا : أى ناميا مباركا .

(٣) الماضى ، فى أول البيت : السيف ، وفى آخره : من الزمن الماضى .

(٤) نازيا : أى واثبا . والملح المتمادى فى الخصومة .

(٥) الأحداث : نوازل الأيام .

(٦) سدلنا عليه الصفح : أى سحبنا على كل الذنوب إعراضنا وسترناها بغفراننا .

## على بهجت(*)

أحـــقٌّ أنهم دفنـــوا عَلِيًّـــا وحَطُّوا فى الثَّرى المرءَ الزكيّـا ؟
فما تركوا من الأخلاق سَمْحًـا على وجه الترابِ ، ولا رَضِيًّا ؟
مَضوْا بالضاحك الماضى وألْقـوْا إلى الحُفَر الخَفيـفَ السَّمْهَرِيَّـا
فَمَنْ عَـوْنُ اللغـاتِ على مُلِـمٍّ أصاب فصيحَها والأعجميَّـا ؟
لقـد فَقَـدَتْ مُصَرِّفَهـا حنينًـا وبـــات مكانُـــه منها خَلِيًّـــا
ومن يَنْظُرْ يَرَ الفُسْطاطَ تبكـى بفـائضةٍ مـن العَبَـرَاتِ رِيًّـا
ألم يَـمْشِ الثرى قِحَـةً عـليها وكان رِكابُهـــا نحوَ الثُّريّـــا ؟
فنَـقَّبَ عـن مواضعهـا عَلِـىٌّ فجَـدَّدَ دارسًا ، وجَـلا خَفِيّـا
ولولا جُهْدُهُ احتجَبَتْ رُسومًـا فـلا دِمَنًـا تُـريكَ ولا نُؤيًّـا
تلفَّـتَت الفنـونُ وقـد تَوَلّـى فلـم تَجِـد النصيـرَ ولا الوَلِيّـا
سَلوا الآثارَ : مَنْ يَغدو يُغـالى بها ، ويـروحُ مُحتفِظًا حَفِيًّـا ؟
ويُنْزِلُهـا الرُّفـوفَ كجوهـرىٍّ يُصَفِّـفُ فى خـزائنها الحُلِيَّـا ؟
ومـا جَهِـلَ العَتِيـقَ الحُـرَّ مِنها ولا غَبِـىَ المُقَلَّـدَ والدَّعِيَّـــا
فتىً عـاف المشاربَ مـن دَنايـا وصان عن القَـذَى مـاءَ المُحَيَّـا
أبـىُّ النـفِس فى زمـنٍ إذا مـا عَجَمْتَ بنيـهِ لم تجِـدِ الأَبِيَّـا
تعـوّدَ أن يـراه النـــاس رأسًا ولـيس يَرَوْنـه الـذنبَ الدَّنِيَّـا
وَجَدْتُ العلـمَ لا يبنى نُفُـوسًا ولا يغنـى عـن الأخـلاق شَيَّـا

(*) رثى أمير البيان « أحمد شوقى » فقيد العلم والعاديات المغفور له « على بهجت » بهذه اليتيمة العصماء التى قيلت فى حفلة تأبينه ، وهى كما يراها القارئ الكريم ، أخذة من أخذ السحر ومعجزة من معجزات الشعر ( نشرت بجريدة الأخبار بتاريخ ١٠ مايو سنة ١٩٢٤ ) .

ولم أر فى السلاح أضلَّ حـدًّا ... مِنَ الأخلاق إنْ صَحِبَتْ غَوِيّا
هما كالسيف ، لا تُنصِفْهُ يَـفْسُدْ ... عليكَ ، وخُذْهُ مُكتمِلاً سَوِيّا

* * *

غديرٌ أترعَ الأوطانَ خيرًا ... وإن لم تَمتلئ منه دَوِيّا
وقد تأتى الجداولُ فى خشوعٍ ... بما قد يُعْجِزُ السَّيلَ الأَتِيّا
حياةُ مُعَلِّمٍ طفِئَتْ ، وكانتْ ... سراجًا يُعجبُ السارى وَضِيّا
سبقتُ القابسين إلى سَناها ... ورُحتُ بنورها أَحْبُو صَبِيّا
أخذْتُ على أريبٍ ألمَعِيٍّ ... ومَنْ لكَ بالمعلِّم ألمَعِيّا ؟
ورُب مُعَلِّمٍ تلقاه فَظًّا ... غليظ القلبِ ، أو فَدْمًا غَبِيّا
إذا انتدب البنون لَها سيوفًا ... من الميلاد ردَّهُمُ عِصِيّا
إذا رَشَد المعلمُ كان مُوسَى ... وإن هو ضَلَّ كان السامِرِيّا
ورُبَّ معلِّمِينَ خَلَوْا وفاقوا ... إلى الحرية انساقُوا هديّا
أناروا ظلمةَ الدنيا ، وكانوا ... لنار الظالمين بها صِلِيّا

* * *

أرِقْتُ وما نَسِيتُ « بناتِ بومٍ » ... على « المطريَّة » اندفعَتْ بُكِيّا
بكَتْ وتأوَّهَتْ ، فَوَهِمْتُ شَرًّا ... وقبلى داخَلَ الوَهْمُ الذَّكِيّا
قلبتُ لها الحذَىَّ ، وكان منى ... ضلالاً أن قلبتُ لها الحذيّا
زعَمْتُ الغَيْبَ خلفَ لسانِ طيرٍ ... جَهِلْتُ لسانَه فزعَمْتُ غَيّا
أصاب الغيبَ عند الطير قومٌ ... وصار البومُ بينهمو نَبِيّا
إذا غنّاهمو وجدوا سَطِيحًا ... على فمه ، وأفْعَى الجُرْهُمِيّا
رمى الغربانُ شيخَ تَنوخَ قبلى ... وراش من الطويل لها دَوِيّا
نحا من ناجذيْهِ كلُّ لحمٍ ... وغُودِرَ لحمُهنّ به شَقِيّا
نَعَسْتُ فما وجدتُ الغَمْضَ حتى ... نَفَضْتُ على المَناحَةِ مُقْلَتَيّا

فقلتُ : نذيرةٌ وبـلاغُ صِدْقٍ ... وحَـقٌّ لم يُفاجـئْ مَسْمَعَيّـا
ولكنَّ الـذى بَـكَتِ البَوَاكِـى ... خليـلٌ عـزَّ مَصرعُـه عَليًّـا
ومَـن يُفجَـعْ بِحُـرٍّ عبقـرىٍّ ... يَجِـدْ ظلـمَ المنيّـةِ عبقريّـا
ومـن تَتـراخَ مُدَّتُـه فيُكثِـرْ ... من الأَحبابِ لا يُحْصِى النَّعِيّـا

* * *

أخى ، أَقبِلْ عَلَىَّ مـن المنايـا ... وهاتِ حديثَك العذبَ الشَّهيَّا
فلم أَعدِم إذا مـا الدُّورُ نـامت ... سميـرًا بالمقابـر أَو نَجِيّـا
يُذكِّرنى الدُّجى لِـدَةً حَمِيمًـا ... هنالكَ بـاتَ ، أَو خِـلاًّ وَفِيَّـا
نَشَدْتُكَ بالمنيّـة وهْـىَ حـقٌّ ... أَلم يَكُ زُخْـرُفُ الدنيـا فَرِيّـا
عَرفْتَ الموتَ معنًى بعد لفـظٍ ... تَكلَّمْ ، وآكشِفِ المعنى الخَبِيَّـا
أَتـاك من الحيـاة الموتُ فانظُـرْ ... أَكنتَ تموت لو لم تُلْفَ حَيًّـا ؟
وللأَشيـــــاءِ أَضدادٌ إليها ... تصير إذا صبَـرْتَ لها مَلِيًّـا
ومُنْقَلَبُ النجـومِ إلى سكـونٍ ... مـن الـدَّوَرانِ يَطـوِيهنّ طيًّـا
فـخَبِّرْنى عـن الماضين ؛ إنى ... شدَدْتُ الرَّحْلَ أَنتظرُ المُضِيَّـا
وَصِفْ لِـي منزلاً حُمِلوا إليـه ... ومـا لحوا الطريـقَ ولا المُطِيّـا
وكيـف أَتى الغنـىُّ لـه فقيـرًا ... وكيف ثَـوى الفقيرُ به غَنِيًّا ؟
لقـد لَبِسُوا لـه الأَزيـاءَ شتَّـى ... فلـم يقبـل سوى التَّجريـدِ زِيًّـا
سواءٌ فيــه مَـــنْ وافى نهارًا ... ومَـنْ قـذف اليهودُ بـه عَشِيّـا
ومَنْ قطع الحياة صَدًا وجوعًـا ... ومَـنْ مَـرّتْ بـه شِبَعًـا ورِيًّـا
ومَـيْتٌ ضَجَّتِ الدنيـا عليـه ... وآخَـرُ مـا تُحِسُّ لـه نعِيًّـا

●●●

تم الجزء الثالث

# إيضاح لا بد منه

## للأستاذ محمود أبو الوفا

حين طلب إلى أن أشرف على طبع هذا الجزء من « الشوقيات » لم يكن في الوقت متسع لإخراجه على كل ما كنت أتوق له من ضبط وشرح وتعليق ، فقد كان الاتفاق بين الناشر والمطبعة قد تم على إنجازه فى عشرين يوما لا تزيد ، ولقد كان لزاما على أن أكون أداة إنجاز لا أداة تعويق .

لهذه الاعتبارات رأيت أن أسير فى العمل على الوجه الآتى :

أولا : ترك الشرح والضبط كلما أمن اللبس ووضح الكلام سواء أكان خوف اللبس من جهة الإعراب أم من جهة النطق بالمفردة اللغوية ، وحيث وجد اللبس فكان لا بد من الضبط أو التعليق أو كليهما .

ثانيا : رأيت أيضا أن أترك الكلمات التى تستعمل عين الفعل المضارع فيها على وجهين أو ثلاث بدون شكل مطلقا حيث عدم الخطأ مضمون .

أما الشرح فتركته لا لضيق الوقت ومراعاة الاختصار فقط ، لأنى أحببت أن لا أتحكم فى ذوق القراء والأدباء وأفرض عليهم فهمى أنا ، فقد يجوز أن يفهم البيت على أكثر من وجه .

وهذا على ما فيه من تطويل فهو تمرين للعقول على نوع من الكسل الذهنى أحب أن يتحاشاه كل طابعى الدواوين .

أما بعد ، فكل ما فى هذا الكتاب من خطأ أو من مؤاخذة فهو إلى ، أما ما فيه من فضل فمرجعه إلى الأستاذ حسين شوقى .

فإلى ذوقه وحسن تنسيقه يرجع كل ما فى هذا الكتاب من ذوق وجمال .

محمود أبو الوفا

# فهرس

## الجزء الثالث من الشوقيات

صفحة

صفحة

صفحة



●●●

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

الثمن ٥ جنيهات